

محمد ابراهيم مصطفى

أبو إسلام

# للشُّرَفَاءِ فَقَطُ !! ..

( مجموعة قصصية )

مكتبة وهبة

٤ شارع الجمهورية . عابدين  
القاهرة - تليفون ٣٩١٧٤٧٠

الطبعة الأولى - القاهرة

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م

حقوق الطبع محفوظة

### تحذير

جميع الحقوق محفوظة لمكتبة وهبة (للطباعة والنشر). غير مسموح بإعادة نشر أو إنتاج هذا الكتاب أو أى جزء منه، أو تخزينه على أجهزة استرجاع أو استرداد إلكترونية، أو ميكانيكية، أو نقله بأى وسيلة أخرى، أو تصويره، أو تسجيله على أى نحو، بدون أخذ موافقة كتابية مسقة من الناشر أو المؤلف.

All rights reserved to Wahbah Publisher. No Part of this Publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without the prior written permission of the publisher.

تُطلب الكتب من مكتبة وهبة ١٤ ش الجمهورية - عابدين - القاهرة

تليفون - ٣٩١٧٤٧٠

أو من المؤلف : ١٧ ش عبد العزيز جويش - المهندسين ت ٣٠٢٨٣٨٩ -

٣٠٥٢٤١٦ موبايل : ٠١٠١٤٦٧٠٣٩

ر العلاف من تصميم : مهندس علاء الدين محمد ابراهيم )

## الإهداء

إلى الشرفاء الذين يشعرون في وطنهم بأنهم غرباء !!  
وإلى من يقاومون سطوة البيروقراطية والروتين العقيم وما يسببه من عناء !!  
وإلى الذين يؤثرون على أنفسهم ميمًا لاقوا في سبيل ذلك من شقاء .  
وإلى الذين يُخلصون مجتمعاتهم وأسرتهم وتمون للجميع السعادة والهناء !!  
وإلى من بررعون في الصدور حب الوطن ، والإحساس بالولاء والانتماء !!  
وإلى الذين يحفظون أسرار بيوتهم بعيدًا عن الفضوليين والدخلاء !!  
وإلى الذين بصرخون بالحق فتضع سرحانهم في الهواء !!  
وإلى الكادحين الذين يسقطون فريسة للمرض ولا يجدون الدواء !!  
وإلى المصلحين الذين ينادون بالإصلاح ، فلا يُسمع لهم نداء !!  
وإلى الذين يبحثون في نور الشمس لعالمهم يعثرون على الأوفياء !!  
إلى كل هؤلاء .. أهدى هذه المجموعة من القصص ..  
لعلمهم يجدون فيما من العظات ، ما يُعتبر لهم راحة وشفاء !!

محمد ابراهيم مصطفى

أبو إسلام

obeikandi.com

## المقدمة

كثير من الشرفاء في هذا الزمان ، يعانون أشد المعاناة ، لمحاولاتهم تنبيه الغافلين عن جادة الصواب ، وكم يشعرون بالحزن والأسى ، لأن المسئولين لا يستجيبون لنصحهم ، ولا يسمعون لقولهم .. وكم من أبرياء يُطْلَمُونَ !!.. وكم من أصحاب أمراض يعانون !!.. وكم من شهداء الحق يسقطون !!.. وكم من الأزواج ينفصلون !!.. وكم من الأطفال يُشَرَّدُونَ !!.. وكم من العقلاء بالجنون يُصابون !!.. وأولو الأمر عن كل ذلك غافلون .. ورجال الدين عن الدعوة الحقيقية بعيدون !!. والمصلحون عن تصحيح المسار عاجزون !!.

وإنني كواحد من الذين عانوا كثيرا ، وطلبوا بتصحيح المسار في كثير من الأمور ، ووجدوا آذانا صماء لا تسمع ولا تعي ، ورأى الشرفاء يُضطهدون ، ورأى الأزواج لقسية الحياة الزوجية لا يفهمون ، وعلى أسرار بيوتهم لا يحافظون ، ولحقوق الأطفال لا يراعون .. عندما وجدت أنه لا فائدة من الصراخ ، ولا سميع ولا مجيب .. رأيتُ أن أترجم دعوتي ونصيحتي في هذه القصص التي أقدمها للقراء في هذا الكتاب ، لعل الآذان الصماء تُشْفَى من الصمم ، ولعل العقول تُبْعَثُ من العدم .. راجيا الله تعالى أن يوفق القراء الأعزاء إلى استنباط ما وراء هذه القصص من دروس وعبر ، وأن يعددوا حساباتهم قبل أن يستفحل الضرر ..

فلنصلح ما أفسده المفسدون في هذا الزمان .. قبل أن يعجز العلاج ، ويفوت

الأوان !!..

محمد ابراهيم مصطفى

أبو إسلام

## للشرفاء ... فقط !! ..

إنه الدكتور أحمد إبراهيم ، أحد أسانذة كلية الاقتصاد بجامعة القاهرة ، الذي رفض أكثر من مرة العمل خارج مصر ، رغم الفرص العديدة التي أتاحت له للسفر إلى بعض الدول العربية في إغارة أو عن طريق التعاقد ، وكم حاول زملاؤه وأصدقائه بل وأفراد أسرته أن يقنعوه بالسفر ولو لفترة محدودة للخارج حتى يحسّن مستوى معيشة أسرته ، خاصة وأن له بعض الأبناء والبنات ما زالوا يدرسون في المدارس والكليات ، ولكنه كان دائماً يرفض مبدأ السفر ، بحجة أنه يُفَضُّ أن يؤدي رسالته وواجبه نحو أبناء بلده ، وأن الشباب الذين يدرسون لهم في حاجة إليه أكثر مما هو في حاجة إلى المال ، وأن المبادئ عنده أفضل من أموال الدنيا كلها ..

وحدث ذات مرة أن عرض عليه زميل له فرصة السفر معه إلى لندن للعمل في مؤسسة اقتصادية هناك ، وحاول أن يقنعه بأن السفر لا يتعارض مع الوطنية أو المبدأ ، بل إن الدّين نفسه يأمر الناس بالهجرة في بعض الأحوال .. ولكن الدكتور أحمد لم يفتنع ، وتمخى لزميله التوفيق ، وقال : إن لكل إنسان وجهة نظر ، يتصرف في حياته على أساسها ، وسافر زميله الدكتور سالم ، وطلب منه أن يتصل به إن غيّر رأيه .. أما لدكتور أحمد ، فإن المبدأ الذي كان يؤمن به يفرض عليه ألا يترك بلده وهو يرى لشباب يمرّ بمرحلة من أصعب وأدق وأخطر المراحل التي تمرّ بها بلاده ، فهو يعتقد أن هناك مؤامرات خطيرة تُدبّرُ وتُسارَسُ فعلاً لتقصاء على شباب البلد ، بهدف القضاء على القوة القادرة على حَمَلِ الأمانة ، ودفع عجلة الإنتاج ، وذلك بإيقاع الشباب فريسة للجنس والمخدرات وتكوس العصابات ، وتشجيعهم على الهجرة وترك البلاد .

حتى لا يبقى في الصورة إلا العجزة والشيوخ والنساء .. وحتى الأطفال الذين ينتظرون دورهم للسقوط في شباك هذه المؤامرات .

وظل الدكتور أحمد يحمل على عاتقه مسئولية التوعية الفكرية في الجامعة ، ويخطب في الندوات ، ويكتب في بعض الجرائد والمجلات . وكان بسهر كثيراً في بيته ليُعَدّ المحاضرات والخطب والمقالات ، وظل كذلك حتى بدأ يظهر عليه الإرهاق، وبدأ يشعر بآلام المرض ، دون أن يهتم بصحته .. واشتد عليه الألم ، وبدأ يتعرض لبعض حالات الإغماء التي فاجأته إحداها وهو يحاضر في إحدى الندوات ، فأخذ زملاؤه إلى بيته ، وأحضروا له الطبيب ، الذي صمم على ضرورة ذهابه إلى المستشفى فوراً لإجراء بعض الفحوص والتحليل الطبية اللازمة .

وذهبوا به إلى أحد المستشفيات الاستثمارية الذي طلب المسئولون فيه دفع مبلغ ألف جنيه مقدماً تحت الحساب قبل إجراء أية فحوص أو تحاليل .. ودفع زملاؤه المبلغ الذي جمعه من بعضهم ، لينقدوا زميلهم ، وأجريت له الفحوص والتحليل اللازمة .. وأخيراً قرّر الأطباء أن لديه ورماً سرطانياً في الكبد ، ونصحوا بسفره إلى لندن . لعرض حالته على الأطباء هناك .

وخرج الدكتور أحمد من المستشفى إلى بيته لأنه لا يقوى على تكاليف الإقامة في المستشفى الاستثماري ، ولجأ إلى مستشفيات التأمين الصحي باعتباره موظفاً له حق الرعاية الصحية المجانية .. وطلب من المسئولون في التأمين الصحي مساعدته للعلاج في لندن كما نصح الأطباء .. ولما اجتمعت اللجنة الطبية المختصة في هيئة التأمين الصحي ، رأب أن الحالة لا تستدعي السفر للعلاج في الخارج ، وأنه يمكن متابعة الحالة في مصر .

وفشلت جميع محاولات الدكتور أحمد ومحاولات زملائه في إقناع المسئولين في التأمين الصحي ، وأخيراً اضطر زملاؤه إلى جمع التبرعات منهم ومن الطلاب الخبيرين له . وانفقوا مع روحته على إبلاغه بأن السفر سيكون على نفقة الدولة . لأنه لو علم

بفكرة التبرعات ربما رفض السفر ، فهم يعرفون طباعه ومادته .. وفعلاً أبلغوه بما انتقوا عليه .. وتولّى رملأزه إجراءات سفره ، وسافر الدكتور أحمد ترافقه زوجته ، السيدة سهير .

وفي المستشفى في لندن بدأت على الفور الفحوص والتحليل الطبية اللازمة ، وقرّر الأطباء الإنجليز ضرورة زراعة كبد كامل جديد ، واستئصال الورم السرطاني وضرورة تغيير دم المريض بالكامل ، للفضاء على فيروس الكبد ..

وعرف الدكتور أحمد أن العملية تكلف مائة ألف جنيه استرليني .. وأرسلت الروجة قرار الأطباء الإنجليز إلى هيئة التأمين الصحي بالقاهرة ، واتصلت تليفونياً بزملاء زوجها لمتابعة الموضوع للحصول على موافقة التأمين الصحي لتمويل عملية زرع الكبد الجديد وتغيير الدم .

وبعد اجتماعات ومشاورات وإجراءات روتينية عقيمة ، رفض المسئولون بالتأمين الصحي قرار الأطباء الإنجليز المعالجين .. وكان قرار اللجنة الطبية بالتأمين الصحي هو عدم الموافقة على إجراء العملية لارتفاع تكاليفها ، وعدم جديدها ، بحجة أن مثل هذه العمليات ما زالت تحت الاختبار وطلبوا من الدكتور أحمد المريض العودة إلى مصر .. ولكن زوجته رفضت عودته إلى مصر قبل إجراء العملية .

وبنما كانت سير في أحد ممرات المستشفى وهي غارقة في التفكير في هذه الخد ، وقعت عنها على شخص دُهِشت عندما رآته ، وتوقفت أمامه نسترجع ذاكرتها لتذكر أين رآته من قبل .. ولم تكن دهشتها أقل من دهشته ، إذ وقف هو الآخر ينظر إليها مسدوداً .. وبعد أن نادىها بادرها بسؤاله : مدام سهير ، زوجة الدكتور أحمد؟! .. فردت عليه : نعم ، وأنت الدكتور سالم ، أليس كذلك؟! .. فأجابها : نعم، أنا الدكتور سالم ، ولكن ، ماذا تفعلين هنا ؟ وأين الدكتور أحمد؟! ..

وهنا عرّت عليها نفسها فيكت ، وحاولت أن تستمد إلى الحائط وكأنها على وشك الانهيار .. فأحدها الدكتور سالم وأجلسها على أحد المقاعد حيث هدأها ، وأنى

لها بكوب من الماء .. وبعد أن شربت ، وهدأت قليلاً سألتها عما في الأمر ، فروتُ له القصة من بدايتها .. ولقد تأثر الدكتور سالم جدًا لما حدث لزميله الدكتور أحمد ، وقال مُعلّقًا إنه حاول كثيرًا أن يقنعه بالسفر والاهتمام بسنونه وشئون أسرته ، ولكنه كان عنيّدًا .. وقال : إن البيروقراطية والروتين العقيم الذي مازال يتمسك به بعض المسؤولين في مصر هو الذي يعوق التقدّم والتطوّر ، وهو الذي يدفع بأصحاب الكفاءات والأفكار الجديدة ، إلى الهرب والمجرة إلى خارج مصر ، مما قتل الإحساس بالولاء والانتماء في صدور الكثيرين من شباب مصر ، الذين فقدوا الأمل في مستقبل آمن لهم ، فأنحصرت أحلامهم في السفر إلى أوروبا وأمريكا بحثًا عن الأمل المفقود في وطنهم ولو علم المسؤولون الغيورون في مصر ما يحققه المصريون في الخارج من نجاح ، وما يساهمون به في تقدّم الدول الأجنبية ، لقاموا بثورة على أقطاب البيروقراطية وأصنام الروتين العقيم والمتخلفين في الفكر والإحساس !! ..

وطلب الدكتور سالم من السيدة سهير أن تذهب به إلى حجرة الدكتور أحمد .. وأثناء سيرهما ، طلبتُ السيدة سهير مند الآخبجر الدكتور أحمد بموضوع تبرعات زملائه في عملية سفره ، لأنه يعلم أن ذلك قد تم على نفقة الدولة .. ووصلنا إلى حجرة الدكتور أحمد ، وكانت مفاجأة سارة ، حيث تعانق الزميلان .. وجلس الدكتور سالم إلى جانب زميله . بتبادلان الأحاديث وسردان الذكريات .

وأثناء الحديث ، وجّه الدكتور سالم اللوم إلى زميله لإرهاق نفسه في العمل ، والإصرار على عدم السفر إلى خارج مصر ، وأنه لو كان قد عمل بنصيحتك لكان له شأن كبير هنا !! .. فابتسم الدكتور أحمد وقال : ألا نرى أن مصر لا تتخلّى عن أبنائها الشرفاء في أوقات المحن ؟ .. وهانذا في محنتي المرضية ، لم تتخلّ عني مصر الوطن ومصر الدولة .. وإن كان بعض المسؤولين فيها ليسوا على مستوى المسئولة ، فهذا ليس عيب مصر الوطن ، ولا مصر الدولة ، وإنما هو عيب يشترك فيه الآباء والأمهات ، والمعلمون في المدارس والكلليات . وكذلك الفاسيون على وسائل الإعلام .. فلو أن

هؤلاء جميعًا أدورًا واحدهم بما يُرضي الله ، لما كان هذا الجمود والتخلف .. ومن هنا يأتي دورنا في توعية الشباب ، وعلى كل الشرفاء من أبناء مصر نبتعاونوا لإنقاذ المجتمع المصري مما يُحاكُّ ضده من مؤامرات .. لا بد أن يعلم المصريون جميعًا أن مصر مُستهدفة ، وأن أعداءها يُسَخِّرون كل إمكاناتهم للثبيل ، منها ونشر الفساد بين شبابها ، ومحو الصفحات الناصعة من تاريخها، وطمس معالم البطولة والعداء ، وكفاح الأبطال والشهداء الذين ناضلوا للدفاع عن وطنهم .. ولا بد أن يعرف شباب اليوم كل هذه الحقائق ، حتى يستطيع أن يُصحِّح الأوضاع المقلوبة ..

ولاحظ الدكتور سالم أن الدكتور أحمد يتحدث بانفعال ، وكأنه يُحاضر في ندوة وطنية ، ونسى أنه مريض ويرقد على سرير في مستشفى لندن للعلاج ، وتبادل الدكتور سالم وزوجة الدكتور أحمد النظرات ، وكأنهما يريدان أن يُسكِّتا ، فبادر الدكتور سالم بقوله : على أي حال ، إن شاء الله ، بعد عودتك بسلام الله إلى مصر تستأنف نشاطك ، ونسأل الله أن يُوفق الجميع إلى إصلاح الأحوال .. ثم حاول أن يُحوِّل مجرى الحديث ، فقال : أحب أن أطمئنتك إلى أن الأطباء هنا ماهرون ، وقد أجروا كثيرًا من مثل هذه العمليات بنجاح ، وإن شاء الله قريبًا جدًا نُهنئك بنجاح العملية ، وتعود إلى مصر سالمًا بإذن الله .. ثم استأذن ليصرف على أن يعود لزيارة زميله غدًا إن شاء الله .

وعندما هم بالخروج أشار لزوجة الدكتور أحمد لتلحق به خارج الحجر ، فخرجت وراءه .. وتوقف في الممر ، وقال الدكتور سالم : رأيته؟! .. لا فائدة من محاولات تغيير أفكاره!! .. وسألها عما يمكن أن يقوم به للمساعدة في هذه الظروف .. فأخبرته بأنها تودُّ مقابلة السفير المصري في لندن ، لعله يساعدها في مشكلة التأمين الصحي الذي يرفض الموافقة على علاج الدكتور أحمد في لندن . فوعدها بمحاولة الاتصال بالسفير المصري ، وأعطاهما " كارت " به عنوانه ورقم تليفونه لكي تتصل به

عند الحاجة ، ثم انصرف ، وعادت هي إلى حجرة زوجها ، الذي سألها إن كان رد التأمين الصحي قد وصل أم لا .. فأخبرته أنها ما زالت تنتظر لعل الرد يصل قريباً !! .  
وفي اليوم التالي ، اتصل بها الدكتور سالم وأخبرها بأنه وُفِّقَ في الاتصال بالسفير المصري ، وحصل على موعد لمقابلته اليوم الساعة الخامسة مساءً . وأنه سيمرّ عليها في الساعة الرابعة والنصف .

وأمام باب المستشفى كانت في انتظار الدكتور سالم الذي وصل في مواعده . وركبت معه حيث ذهباً معاً ، والتقيا بالسفير المصري الذي رحّب بهما .. وشرحتُ له القصة كلها ، فأبدى السفير استياءه مما حدث من سليات التأمين الصحي ، ووعدهما ببذل مساعده والاتصال بوزير الصحة المصري ، والاتصال بها ليخبرها بالنتيجة ، كما وعد بزيارة الدكتور أحمد في المستشفى .. وشكرته هي والدكتور سالم على اهتمامه ، وخرجا معاً ولديهما إحساس كبير في أن يُوفِّقَ السفير المصري في هذه المهمة .

وبعد ثلاثة أيام أخبر الدكتور سالم السيدة سهير بأنه علم من السفارة المصرية في لندن أن مساعي السفير المصري أسفرت عن أن الدولة سوف تساهم في تكاليف العلاج بمبلغ عشرة آلاف جنيه استرليني ، كمساهمة في شراء الدواء المانع لرفض الجسم للكبد المزروع ، وسداد الفواتير المتأخرة . ولكن السيدة سهير شعرت بصدمة فلم تكن تتوقع أن تُسْفِرَ مساعي السفير المصري عن هذا الجزء اليسير من مساهمة الدولة .. وظلت تتساءل : كيف لهم أن يحصلوا على بقية المبالغ اللازمة للعملية والعلاج ؟؟ .. وكانت هذه الأحاسيس والصراعات النفسية ، نشعرها بالتمزق من الداخل .. وكان في داخلها صرخات مكنومة لا تستطيع أن تُطْلِقَها وتتمنى لو تستطيع أن تصرخها بأعلى صوتها في سماء مصر ، لسمعها جميع المصريين : أهكذا يكون مصير الشرفاء من أبناء مصر ، الذين يُعطون وطهم كل ما يملكون من عطاء؟! .. وضحون بوقتهم ومالهم وصحتهم .. وبعد أن بقعوا فرصة للمرض لا يجدون الوفاء .. بينما لو مرض أحد لاعبي الكرة ، أو أحد الممثلين أو المطربين ، نجد القرارات السريعة التي

تصدر بسفره للعلاج في الخارج على نفقة الدولة ، رغم أن أيًا منهم ليس في حاجة إلى عون مادّي لما يملكونه من ثروات تغنيهم عن مساعدة الدولة !! هل هذا عدل !!؟؟ ..

وكانت بينها وبين نفسها ، تُلقِي اللوم على زوجها الذي لم يستجب لواقع الحياة ، وأنه لو كان قد قبل فرصة من الفرص المتكررة التي أُتيحت له للعمل خارج مصر ، لما كان هذا المأزق الحرج ، ولما اضطرتهم الظروف إلى اللجوء إلى التأمين الصحي وتعقيداته البيروقراطية والروتينية.

كانت السيدة حرم الدكتور سالم تلازم السيدة سهر في معظم الأوقات ، وسمعتها تقول لابنها في مكالمة تليفونية أن يأخذ جميع مصوغاتها الموجودة في دولاب حجرة النوم ، لبيعها ، وبيع كل ما يمكن بيعه ، ليرسل ما يجمعه ، كما ذكرت له أن يطلب من خاله أن يتصرّف في نصيبها من البيت الذي ورثته مع أخيها من أيهما ... وتأثرت السيدة زوجة الدكتور سالم لما رأته وسمعته ، وأبلغت زوجها بما سمعته ... فاتصل ببعض أصدقائه من المصريين العاملين في لندن ، والتقى بأربعة منهم ، وعرض عليهم المشكلة ، واقترح عليهم أن يساهموا معًا في المشاركة في تكاليف العملية والعلاج للدكتور أحمد ، على الآ يُشعروهم بمساهماتهم ، بل سيجمعونه يعتقد أن كل شيء سيتم على نفقة الدولة ، حتى لا يُصاب بإحباط ويأس ، لأنه يؤمن بواجبه نحو بلده ، ويعتقد أن بلده لن ينحليّ عهد في محنته مع المرض ، ووافق الجميع على الاقتراح وفعلاً أخرج أحدهم دفتر الشيكات ، وحرّر شيكًا بمبلغ عشرة آلاف جنيه استرليني ، ثم تبعه الثلاثة الآخرون ، وفعّلوا نفس الشيء ، وحرّر كل منهم شيكًا بمبلغ عشرة آلاف جنيه استرليني ، ثم حرّر الدكتور سالم شيكًا بمبلغ عشرين ألف جنيه ، فأصبحت الحصيلة ستين ألف جنيه استرليني.. وعلّق أحدهم على الموقف بقوله : أهكذا يكون مصير الشرفاء في مصر !!؟.. ويقول آخر : بعد أن يُعطوا شبابهم وصحتهم لبلدهم ، لا يجدون من يقول لمن يمرض : سلامتكَ !!.. ويقول الثالث: بينما هناك الكثيرون ممن يسافرون خارج مصر تحت مسميات مختلفة ، وتُرصدُ لهم الميزانيات الضخمة ، وأمام

هؤلاء تخفي اللوائح والقوانين ، ويصاب الروتين بالخرس ، وليس لأحد أن يعترض ..  
ويقول الرابع : لو أن مطرباً من مطربي الدرجة الثانية شكوا يوماً من ألم في حنجرتهم ،  
وأراد أن يُعالج في الخارج ، لتكفلت الدولة بدفع تكاليف علاجه ، رغم أنه في غنى  
عن مساعدة الدولة بما لديه من إمكانيات مادية هائلة ، وكان ألم حنجرتهم سبب  
أزمة للأمن القومي في البلاد !!.. أما أستاذ الجامعة ، الذي يُربّي الشباب ، ويفرس  
فيهم الإحساس بالولاء والانتماء للبلد ، فهو لا يستحقّ عونَ الدولة عندما يسقط  
ضحية للمرض ، أليس هذا هو الظلم بعينه ؟! وكيف يكون الانطباع لدى الطلاب  
الذين يرونُ أستاذهم يصرع المرض دون أن تمتد إليه يد الدولة بالرعاية اللازمة !!؟؟ ..  
لا حول ولا قوة إلا بالله !!.. لك الله يا مصر !!..

وهنا يقول الدكتور سالم : وهذا ما يُفسّر أسباب ظاهرة تهافت الشباب المصري  
على محاولات الحجرة إلى الخارج .. لقد آن الأوان لتغيير كثير من المفاهيم السائدة في  
مصر ، وإعادة النظر في كثير من السلوكيات التي تعوق التقدم والتطور . ويقول  
أحدهم غاضباً : لقد بُحّت الأصوات الي تنادي بجمية الغير في الفكر والسلوك ،  
ولكن المشكلة في الآذان التي لا تُصغي لهذه الأصوات .. فيقول آخر : فعلاً ، لك الله  
يا مصر !!..

وفي اليوم التالي ، ذهب الدكتور سالم ومعه أصدقاؤه المصريون الذين تبرعوا  
للمساهمة في علاج ابن بلدهم ، الدكتور أحمد ، ذهبوا إلى المستشفى لزيارته ..  
وقدمهم له الدكتور سالم قائلاً : هؤلاء بعض أولاد بلدك جاءوا ليطمئنون عليك ..  
فنظر إليهم الدكتور أحمد ، ثم بكى ، واشد بكاءه . ودُهِش الدكتور سالم ، واستبد به  
القلق ، وقال : ماذا حدث ؟!.. لماذا نكي ؟!.. فحنف الدكتور أحمد دموعه ثم قال :  
هذه دموع السعادة .. السعادة التي أشعر بها وأنا أرى أبناء بلدي حوي ، جاءوا  
ليطمئنون عليّ ، وهما أقلوا عليّ يُقبَلون ويحتضرون ، وسيل الدموع في أعين الجميع ..  
ثم نظر إلى زوجته التي كانت تحفف دموعها وقال لها : أرابنت يا سهر ؟ ألم أقل لك

إن مصر بخير؟!.. وهؤلاء أبناء مصر ، بأصالة مصر ، وشهامة مصر!!.. وعلق الدكتور سالم قائلًا : إن مصر فعلاً بخير مادام فيها رجال شرفاء من أمثالك .. فقال الدكتور أحمد : المصريون كلهم شرفاء .. مهما حدث من سليات .

وقال الدكتور سالم : إن لديّ خبراً سيّسرك كثيراً .. إن الدولة ستتكفل بنفقات العملية والعلاج بالكامل .. وهنا ارتسمت علامات السعادة والارتياح على وجه الدكتور أحمد الذي نظر إلى زوجته وقال لها : رأيت؟!.. إن الدولة لم تتخلّ عني في محنتي ، ثم سرح بخاطره وكأنه يتذكّر بلده ، وتنهّد ثم قال : بارك الله فيك يا مصر .. بينما كانت ترتسم على وجه زوجته علامات الدهشة والحيرة ، وراحت تنظر إلى زوجها تارة ، وإلى الدكتور سالم تارة أخرى ، وكأنها تقول : ما هذا الذي قلته؟!.. وهل هذا صحيح؟!.. فنظر إليها الدكتور سالم وكأنه يقول لها : انتظري ، وستفهمين كل شيء بعد قليل .. واستأذن الدكتور سالم وقال إنه يريد أن يقبل الدكتور المعالج ليعرف منه موعد إجراء العملية ، وخرج من الحجرة ، فأسرعت السيدة سهير وراؤه ، وأوقفته وسألته عن تفسير ما ذكره منذ لحظات للدكتور أحمد.. فاضطر أن يشرح لها أنه وأصدقاؤه تبرّعوا بمبلغ ستين ألف جنيه استرليني مساهمة في تكاليف العلاج ، وأنهم فضلوا عدم ذكر الحقيقة أمام الدكتور أحمد حتى لا تنأر نفسه ، فهم يعرفونه جيداً ، وربما رفض إجراء العمليّة إذا عرف الحقيقة .. وطلب للدكتور سالم من السيدة سهير ألاّ تخبر زوجها بهذه الحقيقة إن كانت حريصة على إجراء العملية ونجاحها .. فوعده بذلك ، وشكرته لما يقوم به من واجب . وذهبا معاً إلى مكتب الدكتور المعالج ، وعرفا منه أن العملية سيتم إجراؤها بعد ثلاثة أيام ، وسيزرع الطبيب للدكتور أحمد كبد فساءة إيرلندية .

وتابع الدكتور سالم نشاطه ، وتولّى مع زملائه عملية جمع المبالغ التي أمكن جمعها من تبرعات المصريين المقيمين في لندن ، بالإضافة إلى المبلغ الذي جمعه السيدة سهير

من حصيلته بيع مصوغاتها ونصيبها في ميراث والدها . ومه سديد جميع تكاليف  
العملية للمستشفى

وفي اليوم المحدد لإجراء العملية ، جاء الدكتور سالم ومعه أصدقاءه المصريون  
الذين ساهموا في تكاليف العملية ، وقابلوا الدكتور أحمد وطمانوه ، وأبلغوه بأن  
الطبيب المعالج ، دكتور جورج براون متفائل جدا .. وأدمعت عينا الدكتور أحمد ،  
وأبلغهم بأنه ليس خائفاً من نتيجة العملية ، لأنه يؤمن بأن لكل أجل كتاباً ، وبأن  
الموت حق ، ولكن ما يقلقه هو مصير الأولاد والبنات إذا ما قدر له أن يموت .. ونظر  
إلى زوجته وقليل لها : أرجو أن تغفري لي أبي لم أستجب لصائحك بالسفر والعمل  
بالخارج ، والادحار لمثل هذا اليوم .. وعذري أنني كنت أرى أن مصر بلدي أولى  
بجهدي وكفاحي .. فأبناء مصر كلهم أبنائي .. ثم نظر إلى أصدقائه وقال : أرجو أن  
أكون قد قمتُ بواجبي نحو بلدي وأبناء بلدي بقدر ما منحني الله من قدرات . فقال  
الدكتور سالم : لقد قمتُ بواجب لم يُقْمَ به كثيرون غيرك ممن لديهم القدرات  
والإمكانيات .. فاطمنن .. وبق أننا جميعاً نحسدك على وطيبك الجارفة .. وناكد بأن  
طلابك الذين غرستَ فيهم المبادئ والقيم ، سيكونون صورة أخرى للدكتور أحمد ،  
المصري الأصل . بمبادنة وفسد وأخلافاته "

ولم نستطع زوجته أن تكلم ، لأن دموعها عّرت بما هو أبلغ من الكلام .. وفي  
هذه الأثناء ، دخلتُ ممرضة ومعها عدة برفات سلّمتها للدكتور أحمد قائلة له  
برقيات لك من القاهرة .. فأخذها وقرأ بعضها ، ثم علبت دموعه فبكى ، وأجهس  
بالبكاء ، مما جعل الحاضرين يتأهبهم القلق والحيرة .. وإذا به يهدأ ويتسم ، ثم تناول  
البرقيات للدكتور سالم ويتسم ، ويقول في سعادة : اقرأوا هذه البرقيات ، لتعرفوا أن  
مصر مازالت بخير ، وأن شبابها مازال وفيًا فداً الدكتور سالم ومن معه يقرأون  
البرقيات ، وإذا بها من بعض الأسادة الرملاء بالجامعة وبعض الطلاب .. فهذه برفد

نقول : " أستاذنا الدكتور أحمد ، سلامتك سلامةً لمصر ، أسرة مصطفى كامل " و برقية أخرى تقول " غُذِّبنا بالسلامة أيا القائد ، لكسل مغا مسرة الحر والوفاء لمصرنا الحبيبة .. زملاؤك وطلابك " - و برقية ثالثة تقول : " قدوت نُصَلِّي وندعو لك بالشفاء العاجل ، والعودة إلى طلابك ومبيك " ، و برقية رابعة تقول: حتى جدران المدرجات ومقاعدنا نشاركها الحنين إلى سماع صوتك ونوحيتناك لي نسير لنا الطريق " اتحاد الطلاب بالكلية " .

وبعد أن تبادلوا قراءة البرقيات ، حيث سألت دموع التأثر بهذا الحب الجارف والوفاء من أبناء مصر ، قال الدكتور سالم : فعلا ، مازالت مصر بخير ، ومازال الكيرون من شبابها بخير ، وستظل مصر إن شاء الله بخير ، مدام فيها أناس أمثالك يؤمنون بها ، كما تفعل أنت !! ..

وهنا تنهَّد الدكتور أحمد بعمق ، ثم قال : الآن أستطيع أن أواجه قدرتي وأنا سعيد .. ودخلتُ ممرضة لتعلن أن الوقت قد حان لدخول الدكتور أحمد حجرة العمليات . وحاء رحلان بحرّان " التروللي " لحسلا عليه المريض . وقام الدكتور أحمد ، ورفض أن يحمّله أحد ، وصعد بنفسه على " التروللي " ، ثم نزل عنه وقال : لا .. لن أرقد عليه .. بل سأمشي معكم حتى حجرة العمليات .. فأنا لا أشعر بأني مريض ، فلك البرقيات قد ملأني إحساساً بالسعادة والرضى .. وأنا مستعد لإجراء العملية ، ومتوكّل على الله .. وسار مع أصدقائه حتى حجرة العمليات .. وعند بابها تمّنى الجميع له نجاح العملية . ونظر الدكتور أحمد وقال لهم : أوصكم بمصر ، وأبناء مصر ، واحتموها من أعدائها الذين يعسبون على أرضها ، فبهم أخطر من أعدائها في الخارج .. ثم نظر إلى زوجته التي كانت تحاول التغلب على دموعها ، وقال لها : ساعيني يا سهير .. ساعيني إن كنتِ قد قصرتُ في حنك وحن الأولاد .. ثم وضع على جبينها قبلة أودعها كل مساعره ، وكانت تحسبها رسالةً لتسعى لأولاده وبانه .. ثم دخل على قدمه إلى حجرة العمليات ، وأغلق بابها وراءه

وهنا كانت زوجته على وشك الاثتبار . ولحقها الدكتور سالم وزوجه وأصداقاه ، وأجلسوها على أحد المقاعد . وظلوا إلى جوارها يخفون عنها . ولكنهم في الحقيقة كانوا جميعاً في غاية القلق . فالعملية واحدة من العمليات الكبيرة والحديثة . وحاول الدكتور سالم إقناع السيدة سهير أن تذهب لتستريح بعض الوقت في حجرة زوجها . لأن العملية ربما تستغرق ساعات طويلة ، ولكنها أبت إلا أن تنتظر معهم .

ومضى الوقت ثقيلًا ، وكان عقارب الساعة لا تتحرك . وكانوا جميعاً يتبادلون النظرات ، ويرفعون أبصارهم إلى السماء ، يدعون الله أن يشمل برحمته وعنايته صديقهم ، وأن تتم العملية بنجاح . وكانوا يُشْفِقُونَ على السيدة سهير التي استبد بها القلق والخوف على زوجها ، وكانت عيناها تتجه معظم الوقت إلى السماء لتضرع وتتوسل إلى الله أن يُعيد زوجها إليها وإلى أولاده سالمًا !!... واقترح الدكتور سالم أن يسجدوا جميعاً على الأرض ، يسألون الله تعالى أن يُتمَّ الشفاء لصديقهم ، وسجدوا جميعاً لدقائق قليلة ، حيث لفوا أنظار المارين بجوارهم الذين كانوا يُدون دهستهم . وبعد قيامهم من السجود رفع جميعهم أكفهم بالدعاء ، لعل الله تعالى يُحقق رجاءهم ويستجيب لدعائهم !!...

وظلوا منتظرين بجوار حجرة العمليات ، وأبدىهم على قلوبهم ، حتى فُتِحَ باب الحجرة ، فهبوا جميعاً واقفين ، وقلوبهم مضطربة ، وعيونهم على باب حجرة العمليات . ومعجرد أن رأوا الطبيب يخرج من الباب حتى اندفعوا جميعاً في اتجاهه ، متلهفين ومتشوقين لمعرفة نتيجة العملية . وأحاطوا بالطبيب وعيونهم على وجهه لعلهم يروُن في قسامته ما يُطمئنهم ، وتحمل نظراتهم جميعاً تساؤلاً واحداً لا تقوى ألسنتهم على النطق به ، وكان بادياً على الطبيب الارهاق ، ولكنه عندما رأى تلك العيون المحملقة ، والوجود التي تحمل علامات الاستنهام ، ابسم لهم ، ثم قال لهم بالإنجليزية ما معناه : الحمد لله فقد نجت العملية وهما صاح الجميع قائلين . الله

أكبر والحمد لله .. ثم سجدوا جميعاً لله حمداً وشكراً . ووقف الطبيب مشدوها ، وانتظر حتى وقفوا ، ثم سألهم ماذا كانوا يفعلون !!... فقال له الدكتور سالم : كنا نعبر عن شكرنا لله بنجاح العملية .. وأقبلت السيدة سهير على الطبيب ، وبمجرد سماعها كلام الطبيب وصياح الحاضرين ، ألهمرت دموعها وقالت بصوت عالٍ : الحمد لله .. الحمد لله .. أشكرك يا رب !!.. وأحاطها الجميع بهنوتها والسعادة تكاد تقفز من عينيها ، ودموع الفرح مازالت تنساب من عينيها .. وشعرت بأن كل ما عانته من قلق وألم قد زال . وقال الطبيب : إنه الآن بخير ، ولكنه مازال تحت تأثير البنج .. وظل الجميع يرددون عبارات الحمد والشكر لله ، وبعد قليل ، رأى الجميع " التروللي " الذي يعمل الدكتور أحمد ، ويدفع بعض المرضى والمرضات ، حيث يسرون به إلى حجرتهم ، وقد أحاط الجميع به حتى أدخلوا الحجرة ..

وسمحوا لزوجته وزوجة الدكتور سالم بالدخول إلى الحجرة والجلوس إلى جواره حتى يُفيق .. ووقف الباقون خارج الحجرة .. وكانت إحدى المرضات تدخل بين الحين والآخر لتلقي عليه نظرة ثم تخرج ، فيسألها الواقفون خارج الحجرة ، فتقول : إنه مازال تحت تأثير البنج ..

وكانت السيدة سهير وزوجة الدكتور سالم قد أرهقهما التعب والسهرة ، فغلبهما النوم وهما على الكرسيين .. وبعد قليل ، بدأ الدكتور أحمد يُفيق من البنج ، وينظر حوله ، حتى وقعت عيناه على زوجته ، وبدأ يناديها باسمها بصوت خافت .. وسمعت صوته وكأنها تعلم ، ثم تلفت حوله لتتأكد من أنها بقطة وليست نائمة .. ثم نظرت إلى زوجها ، وكم كانت فرحتها عندما رأتها ينظر إليها ويتسمم ، فلم تستطع من فرط سعادتها أن تمنع نفسها من الإقبال عليه صانحة : أحمد .. حمداً لله على سلامتك ، ومالت عليه وقبلت رأسه واحتضنته وهي تحمد الله وتشكره أن حفظ لها زوجها .. واستيقظت زوجة الدكتور سالم التي فرحت لما رأتها ، وهنأت السيدة سهير ، ثم أسرعت إلى خارج الحجرة ، لتخبر المنتظرين بأن الدكتور أحمد قد أفاق ، فاندفع

الجميع إلى الداخل فرحين ، فهناك الجميع وهناك زوجته التي راحت تمسك بيده وتقبلها .. فقال لها الدكتور سالم : أرجو ألا تنسي يا مدام سهر أنه قد خرج توًا من حجرة العمليات . ثم نظر إلى الدكتور أحمد وقال له : ألف مبروك يا دكتور أحمد ، وحمداً لله على سلامتك .. فقالت السيدة سهر : إنهم جميعاً لم يتركوني طوال الوقت ولو للحظة ، وتركوا أعمالهم وبيوتهم ومصالحهم ، للوقوف بجانبنا .. فشكرهم الدكتور أحمد ، وقال لزوجته : ألم أقل لك إن المصريين بخير ! .. مهما تشغلهم أعباء الحياة ، فإن أوقات الشدة تُظهرُ أصالتهم ، وتبين حقيقة مشاعرهم .. إذن فأنا على حق في موقفني من شباب مصر ، وإيماني بالدفاع عنهم ، وحميتهم من أعدائهم .. وبدأت الكلمات تنساب منه مقطعة ، مما يدل على حاجته إلى الراحة .. فطلب منه الدكتور سالم أن يتوقف عن الكلام ويستريح .. ولكنه قال : الحمد لله .. أنا بخير ، وأريد أن أعود إلى مصر في أقرب وقت .. إن أبنائي في الكلية ينتظرونني .. وهنا قالت زوجته وهي تبسم : وأبناؤك في البيت !؟ .. فقال : أبنائي في البيت يكفي أن أمهم سهر .. فضحك الجميع .. وبعد لحظات وصل دكتور " جورج براون " الطبيب المعالج ، الذي ابتسم ، وطلب من الحاضرين أن يتركوه بعض الوقت حتى يستريح ، وقال للدكتور أحمد : سأمرّ عليك بعد ربع ساعة ، ثم خرج ، وسار معه الدكتور سالم إلى مكتبه ليحصل على مزيد من المعلومات ، فقال له دكتور " جورج براون " : لا بد أن يبقى بالمستشفى لمدة أسبوع على الأقل ، ليكون تحت المتابعة .. بعدها يستطيع الخروج ، ولكن عليه أن يظل في دور النقاهة لمدة عشرين يوماً قبل أن يستأنف عمله . ومرّ الأسبوع الذي حدده دكتور براون ، وحين الوقت لخروج الدكتور أحمد من المستشفى .. وحضر الدكتور سالم وأصدقائه .. وفي مكتب دكتور " جورج براون " كان الجميع يشعرون بالسعادة ، وكان الدكتور أحمد بملابسه العادية ، استعداداً لترك المستشفى .. وقال له دكتور جورج براون : أرجو أن تعلم أنك في حاجة إلى الراحة التامة لمدة عشرين يوماً قبل مزاولة عملك . بالإضافة إلى أمر آخر

في غاية الأهمية ، أرجو أن تلتزم به ، وهو أنه نظرا لدقة العملية التي أُجريت لك ، لا بد أن تقوم بعمل تحليل للدم كل ثلاثة أسابيع ، لمعرفة كيفية عمل وظائف الكبد المزروع ، على أن تُرسلَ إلينا تقرير التحليل بالفاكس فوراً لكي نتابع حالتك أولاً بأول ، وعلى أي حال ، لقد سجّلتُ لك كل التعليمات الواجب اتباعها في هذه الأوراق التي يجب أن تقرأها بين الحين والآخر، وأتمنى لك حظاً سعيداً ، وسلمه الأوراق وصافحه ، كما صافح الباقين ، وكذلك السيدة سهر التي شكّرتُه كثيراً ، ونظر دكتور جورج براون إلى الدكتور أحمد وقال له : أريد أن أهنئك لأن لك زوجة مثل هذه ، وأرجو أن تعتني بها كما اعتنت بك .. وشكره الدكتور أحمد ، ثم انصرف الجميع إلى بيت الدكتور سالم ، الذي أصرّ على ألا يقيم الدكتور أحمد في الفندق ، وصمم على يتزل ضيفاً عليه حتى يحين موعد سفره إلى مصر .

وفي المساء ، جاء عدد من المصريين المقيمين في لندن من أصدقاء الدكتور سالم ، وبعضهم من زملاء الدكتور أحمد وتلاميذه السابقين ، جاءوا ليهنئوه بنجاح العملية .. وطلب الدكتور أحمد من الدكتور سالم أن يمجز له في أقرب وقت للسفر إلى مصر .. ولكن الدكتور سالم قال إنه يجب أن يبقى معهم لمدة أسبوع على الأقل ، وأصرّ على ذلك .. وفعلاً حجزوا للسفر بعد أسبوع ، قضاه الدكتور أحمد وزوجته بمنزل الدكتور سالم الذي كان كريماً للغاية ، وكذلك كانت زوجته .

وفي الليلة السابقة على موعد السفر ، كانت هناك مفاجأة أعدّها الدكتور سالم ، عندما طلب من الدكتور أحمد وزوجته الخروج من حجرتيهما ، والتزول إلى الطابق الأرضي .. وارتدى الدكتور أحمد وزوجته ملابسهما ، وخرجا من الحجرة فوجدا الدكتور سالم وزوجته في انتظارهما أمام الحجرة .. وما أن هبطا إلى الدور الأرضي حتى فوجئا بمشهد من الضيوف المصريين من الرجال والسيدات الذين استقبلوهما بالتصفيق المتواصل والابتسامات المشرقة .. وبدت على وجهي الدكتور أحمد وزوجته الدهشة الكبيرة لهذه المفاجأة السارة .. وبدأ الضيوف يُقبِلونَ عليهما ويصافحوهما ،

والدكتور أحمد يقوم بمهمة تقديم الضيوف لهما .. وبعد أن جلس الجميع ، كانت الدهشة لم تفارق الدكتور أحمد وزوجته .. وبعد لحظات ، وقف الدكتور سالم وقال :  
بسم الله الرحمن الرحيم .. الأخ العزيز الدكتور أحمد .. يسرني أن أفسر لكم سر هذا التجمع الذي أثار دهشتكم .. لقد صمم إخوانكم وزملائكم وبعض المخلصين من أبنائكم ، المقيمون في لندن أن يقيموا لكم هذا الحفل المتواضع ، تعبيراً عن إحساسهم بالسعادة لنجاح العملية ، ولتوديعكم قبل سفركم إلى مصر .. وإنا جميعاً نعتبر هذا الحفل الذي نقيمته لتكريمكم هو رسالة شوق وحب وعرفان لبلدنا مصر، وإلى إخواننا من أبناء مصر الذين يعيشون على أرضها، يكافحون في سبيلها ، ويتحملون من أجلها الكثير .. وإنا نحبي شعب مصر كله ، مُمثلاً في شخصكم .. كما نُهنئكم على الدور الوطني الذي تقومون به في مجال التوعية للشباب المصري إزاء ما يُحاك ضدهم من مؤامرات ، وما يُرادُ بهم من سوء .. ونسأل الله تعالى أن يوفقكم في أداء رسالتكم السامية ، وأن يتعكم بالصحة والسعادة .. وباسم كل المصريين والمصريات المقيمين في لندن ، أرجو أن تقبلوا هدية متواضعة تقديراً لوطنيتكم وجهادكم المستمر لصالح مصر وأبنائها ، كما نرجو أن تقبل السيدة حرمكم ، السيدة سهير ، هدية أخرى ، تعبيراً عن إعجابنا بوفائها وإخلاصها أثناء محنتكم حيث وقفت إلى جواركم ، وضربت المثل الأعلى على وفاء الزوجة المصرية ، وأصالتها التي تتجلى عند الشدائد .. ثم قام الدكتور سالم ، وتناول هديتين كان يحملهما أحد الواقفين إلى جواره ، واتجه إلى الدكتور أحمد ، حيث فتح له علبة هديته ، وكان بها ميدالية ذهبية على شكل قلب ، ومكتوب عليها " مصر " .. فأخذها الدكتور أحمد وقبلها ، وقد اغرورقت عيناه بالدموع التي تُعبّر عن إحساسه بالحب نحو بلده ، كما تعبر عن سعادته بهذا التكريم الذي يلقاه من إخوانه المصريين في المهجر .. ثم قدّم الدكتور سالم للسيدة سهير الهدية الثانية ، وكانت عبارة عن عقد ذهبي قِيم ، فتسلمته ، وقد بدا عليها التأثير الشديد .. هذا بينما ظل الحاضرون يصفقون في حماس ، وقد بدا عليهم السرور .

وعندما جلسوا ظل الدكتور أحمد واقفاً ، ثم بدأ يتحدث إليهم فقال : باسم الله الرحمن الرحيم .. إخواني وأخوتي ، وأبناء بلدي .. لا أدري من أين آتي بالكلمات التي تستطيع أن تترجم مشاعري التي أحسها الآن ، لكي أُعَبِّرَ لكم عن مقدار سعادي وشكري لكل ما قمتم به نحوي من عون وومساندة وتكريم .. ولقد سبق أن سمعتُ من بعض الإخوة في مصر أن الذين يهاجرون إلى خارج مصر ، سرعان ما ينسى كل منهم بلده وأهل بلده ، ولا يفكرون إلا في تكوين الثروات .. وإني أقول لهؤلاء الإخوة : ليتكم كنتم معي الآن ، لتلمسوا بأنفسكم ، ولتروا بأعينكم أن المصريين الشرفاء لا يمكن أن ينسوا بلدهم ، ولا أبناء بلدهم .. فإنهم في حياة المهجر يرفعون اسم بلدهم عالياً بما يحققونه من تقدّم في المجالات المختلفة ليثبتوا للعالم أن الشعب المصري شعب متحضّر ، شعب أصيل ، شعب يؤمن بالإنسانية .. وإن شاء الله ، سأنقل هذه الصورة المشرقة عنكم لإخواكم في مصر ، ليعلموا أن المصريين مهما اغتربوا عن مصر ، فهي تعيش في قلوبهم ووجدانهم ، ولا يمكن أن ينسوها أبداً .. والحمد لله ، فقد أثبتتم بكرمكم أن مصر مازالت بخير ، وأن أبناء مصر مازالوا أوفياء .. ثم جلس فصفق الحاضرون ، وأقبلوا عليه يصفحونه ويقبلونه .. ثم دعا الدكتور سالم الجميع إلى مائدة العشاء التي أُعدتْ لهذه المناسبة .

وفي الصباح جاء عدد من المصريين ، لمصاحبة الدكتور أحمد وزوجته إلى المطار ، ونزلوا جميعاً حيث ركبوا عدداً من السيارات التي شكّلت موكباً جميلاً ، ووصلوا إلى مطار لندن ، وصافحوه جميعاً وعانقوه ، بينما عجز الدكتور أحمد عن الكلام ، فأرادت عيناه أن تقوم بالتعبير عما عجز عد ، فأطلقت العنان للدموع التي لم يستطع إيقافها . وكانت الدموع المتزجة بابتسامة السعادة على وجهه تنطق بالكثير مما عجز لسانه عن قوله .. ودخل الدكتور أحمد وزوجته صالة المطار حتى وصلا إلى سلم الطائرة ، والجميع يُلَوِّحون لهما مُودِّعين .. وعندما استقرّ على مقعد الطائرة ، مسح دموعه ، وتنهّد بعمق ، ثم نظر إلى زوجته ، فوجدتها مسح دموعها هي الأخرى ، وقد بدا عليها

التأثر الشديد ، ثم قال لها : ألم أقل لك إن المصريين مازالوا بخير !؟.. لقد كنت بلوميني  
أحياناً في دفاعي عن الشباب .. فقالت : أنا لم أكن ألومك لدفاعك عنهم ، ولكني  
كنتُ ألومك لأنك كنت تُرهقُ نفسك أكثر من اللازم ..

وبينما كان يشاهد مسار الطائرة على شاشة تليفزيون الطائرة كان يتابع ما بقي من  
مسافة للوصول إلى مصر والشوق يملاً قلبه ، شوق المحب الذي غاب عن محبوبته  
سنوات طويلة .. ولما أعلن قائد الطائرة أنهم الآن فوق القاهرة ، ارتسمت علامات  
السرور على وجهي الدكتور أحمد وزوجته ، وتبادلا عبارات التهنية: حمدًا لله على  
السلامة، وعندما نزلا من الطائرة ، سجد الدكتور أحمد على أرض المطار ، شكرًا لله ،  
ثم قبل الأرض وهو يقول : حمك الله يا مصر .. ثم نظر إلى الآفاق ثم قال :  
يا مَصرِيا أم الدنيا .. يا أخلَى دُنْيا في عَينِي  
إن طَالَ غَياي وَحَشايا .. ولا بَدَّ أَرْجَعُ لِكَ تَاني  
وأبُوسُ تَرابِكَ بِعَينِي .. يا مَصرِيا أم الدُّنيا !!..

وخرجا ليجدا أولادهما ، وعدداً من زملائه وطلابه في انتظارهما ، حيث  
عانقوهما ، وباركوا لهما بنجاح العملية وسلامة الوصول ، وغادروا المطار أيضاً في  
موكب من سيارات المستقبلين ، تماماً كما حدث في موكب المؤدعين في لندن .  
ووصل الركبُ حتى منزل الدكتور أحمد ، وخرجوا جميعاً من السيارات وصافحوه  
وهتأوه بسلامة الوصول ، وفضلوا أن يتركوه لكي يستريح من عناء السفر .. ودخل  
البيت وسط أولاده الذين ملأت السعادة وجوههم .. وكان ينظر إلى جوانب البيت ،  
وكانه يشعر بالوحشة ، ثم قال : الحمد لله على كل حال .. وظل في البيت يتلقى  
برقيات ومكالمات التهنئة ، وعلى مدى عدة أيام كان يستقبل الزائرين المهنيين من  
الأهل والزملاء والطلاب والطالبات .. ومكث في البيت في دور النقاهة . كما نصحه  
الطبيب الإنجليزي المعالج .

ومرّت الفترة المحددة ، وهي عشرون يوماً ، عاد بعدها إلى كليته حيث أُقيم له حفل استقبال أعدّه له زملاؤه وطلّابه في الكلية ، وألقوا بعض الخطب وبعض قصائد الشّعرا التي تشيد بإخلاص الدكتور أحمد ووطنيته وحب مصر ، وحرصه على حماية الشباب المصري والدفاع عنه .. وقدموا له بعض الهدايا الرمزية .. وألقى هو كلمة شكرهم فيها على هذا الحب والتقدير ، وتحدّث عن الإخوة المصريين في لندن ، وأشاد بمصريتهم ووطنيتهم ، وذكر ما فعلوه معه من عون وتكريم ، وأنه أحسنّ بأنهم إنما يُكرمون بلدهم مصر وأبناء مصر .. وطمأن الجميع بأن المصريين في المهجر لا يقلّون حماساً عن المصريين الذين يعيشون على أرض مصر .. وقال : إن مصر أمانة في أعناق جميع المصريين .

وبدأ الدكتور أحمد يستعيد نشاطه بتنظيم المؤتمرات الطلابية ، ويعقد الندوات ، ويُلقِي المحاضرات لتوعية الشباب ، وكشّف المؤامرات التي تُحاك ضد مصر بهدف القضاء على شبابها بإفساده .. وكان زملاؤه ينصحونه بين الحين والآخر أن يُخفف من هذا النشاط حرصاً على صحته ، فكان يُطمئنهم على أنه بخير .. وكانت زوجته تُذكره دائماً بعدم الإرهاق .. وذات مرّة عندما أطلال الوقت وهو يكتب في حجرة مكتبه بالبيت ، دخلتْ عليه وصممت أن يتوقف عن الكتابة ويذهب للنوم فوراً وإلاّ فسُضربُ عن الطعام ، ولتحمّل هو المسؤولية .. فقد ملّتُ الطلب بأن يُخفف من العمل حرصاً على صحته دون أن يستجيب ، فاضطر أن يترك المكتب حينئذ لكي يرضيها ولو مؤقتاً ، ولكنه ظل على أسلوبه المرهق ، وكان في هذه الأثناء يحرص على عمل تحليل للدم كل ثلاثة أسابيع ويُرسل نتيجة التحليل إلى الطبيب المعالج في لندن .. وظل على هذه الحال مدّة عامين ، إلى أن وصلته برقية من الطبيب المعالج في لندن ، يطلب منه الحضور إلى المستشفى بلندن لإجراء بعض الفحوص والاختبارات الضرورية ... وبدأ الدكتور أحمد يتصل بالمسئولين في هيئة التأمين الصحي ، ليوافقوا

على سفره إلى لندن ، ولكنهم رفضوا .. واستمرت محاولات بعض المخلصين لإقناع مسئولى التأمين الصحي ، ولكنهم صمموا على الرفض ، وقالوا إنهم يستطيعون إجراء الفحوص والاختبارات المطلوبة في مستشفيات التأمين الصحي .

وبدأ الدكتور أحمد يشعر ببعض الآلام ، حتى أنه اضطر أن يرقد على السرير في بيته بضعة أيام .. وفجأة ، وصلت رسالة بالفاكس إلى رئيس الجامعة من لندن ، ويقول نص الفاكس : ( من الدكتور جورج براون بمستشفى كلية الطب " free royal " لندن - إلى الدكتور مدير جامعة القاهرة ، كلية الطب .. أفيدكم بأن الدكتور أحمد ابراهيم الذي أجريت له عملية زرع كبد واستئصال ورم سرطاني منذ عامين .. آخر الفحوص التي وصلت لنا عن الحالة كانت مشوشة وخطيرة ، وأنه لا بد وللأهمية القصوى من حضوره إلى لندن لتقييم الحالة وعمل فحوص واختبارات بمعرفتنا ، وأخذ عينة من الكبد المزروع له ، لدراستها مجهرياً حيث أن هناك احتمالاً أن يعاوده التهاب الكبد ، أو يحدث رَفُضٌ للكبد المزروع ، وطالب الفاكس بضرورة منح المريض إجازة للحضور إلى لندن على وجه السرعة .. وأرسلت الجامعة صورة من الفاكس الوارد من لندن إلى المسئولين في التأمين الصحي .. ومرة أخرى توالت اجتماعات اللجنة الطبية .. وذهب الدكتور أحمد ومعد زميلان لمعرفة قرار اللجنة الطبية ، وقابلوا الدكتور مدير الشؤون العلاجية بالتأمين الصحي ، فأخبرهم بأن اللجنة التي شكلها الدكتور رئيس الهيئة لبحث هذا الموضوع أصدرت قرارها برفض الموافقة على السفر، وزعمت اللجنة أن هذا قد تم بناء على قرار من المجالس الطبية بعلاجه داخل مصر .. وحضر هذا اللقاء أحد الأطباء الشبان الذين كانوا ضمن أعضاء اللجنة ، وكان معارضاً لقرار اللجنة ، وقال لمدير الشؤون العلاجية أمام الدكتور أحمد وزميليه : إنني مازلت معارضاً لقرار اللجنة لأنها لم تكن تضم متخصصاً واحداً في حالة الدكتور أحمد ولأن اللجنة ضربت عرض الحائط بكل التقارير القادمة من الطبيب المعالج في لندن .

وأمام هذا الموقف المؤسف ، لم يجد الدكتور أحمد ما يقوله إلا أن جلس يانسأ على مقعد مجاور ، ثم بدأ يشعر بآلام ، وأسرع إليه زميلاه ليسانداه .. واقترب منه مدير الشئون العلاجية وقال : دعوني أرى ما به ، فقال له الزميلان : شكراً يا دكتور ، فعلاجه ليس عندكم ، ونحن أدرى بعلاجه منكم ، وأخذاه معهما وهو يستند عليهما . وبعد أن خرجوا ، وقف الدكتور مدير الشئون العلاجية يفكر فيما حدث .. وهنا بادره الطبيب الشاب الذي كان يعارض قرار اللجنة قائلًا : رأيت يا دكتور؟! .. إن الرجل لم يحتمل الصدمة ، صدمة القرار الظالم والغير مسئول .. هذ القرار الذي يُعتبر حكمًا بالإعدام على بريء .. هذه القرارات التي لا تصدر إلا للشرفاء فقط .. أما غير الشرفاء ، فهم ليسوا في حاجة لمثل هذه القرارات ، ولا للتأمين الصحي أصلاً .. وأنا لا أستطيع أن أقف كالمفرج على المهازل التي ترتكها هذه اللجنة .. وسأكتب تقريرًا مفصلاً يبين فيه رأيي ، وأقدمه للدكتور رئيس الهيئة .. وإذا لم يُنصَر في الأمر بأسلوب موضوعي ، فسأقدم استقالتي ، ثم قال : عن إذنك يا دكتور ، وانصرف .

وصل الدكتور أحمد مع زميله إلى البيت ، وكان في حالة نفسية سيئة ، وإحباط تام ، ووقد على سريريه ، وطلبوا له الطبيب الذي حاول أن يتكلم مع الدكتور أحمد ، ولكنه لاذ بالصمت ، ولم يتكلم لا مع الطبيب ولا مع غيره .. وعرف الطبيب من الزميلين ما حدث ، فقال : إن ما حدث له هو نتيجة تأثر نفسي بالغ لشيء لم يكن يتوقعه .

وبدأ يخيم على البيت جو من القلق والحزن .. وتساءلت زوجته وأولاده : هل هذا جزاء الإنسان الذي أعطى شبابه وصحته لبلده وللدفاع عن قضايا بلده؟! .. وهنا قال أحد الزميلين ، واسمه الأستاذ علي : لابد أن نجد حلاً .. ولابد أن يسافر الدكتور أحمد .. ثم طرأت له فكرة ، فقال للسيدة سهير: لو سمحت ، أريد التليفون ، وخرج إلى الصالة وأمسك بالتليفون وطلب أحد أصدقائه ، وهو محرر بجريدة كبرى ، وأحبره بأنه يريد مقابله لأمر عاجل وفي منتهى الأهمية، واتفقا على أن يذهب الأستاذ

على إلى مكتب صديقه المحرر فوراً .. وما هي إلا دقائق قليلة وصل بعدها إلى مكتب صديقه الذي قابله وهو متلهف لمعرفة الأمر العاجل الذي حدثه عنه في التليفون ، فقال له : اسمع يا محمود .. أنا أعرف أنك تحارب دائماً الروتين والجمود ، كما تحب أن تصدّي لكل ما هو خطأ .. فقال محمود : لقد أثرت فضولي ، أسرّع لو سمحت ، وأخبرني بالأمر ، إذ يبدو أن لديك شيئاً يحتاج إلى معركة .. فقال الأستاذ على : نعم ، فما جئتُ من أجله يستحق أن تقوم له أكبر المعارك .. وهي فرصة لك لتعبّر فيها عن ثورتك على الظلم والجمود والتخلف .. وبدأ يسرد الموضوع منذ بدايته إلى آخر ما وصل إليه .... وهنا وقف الأستاذ محمود ، وقال : إنه موضوع يستحق إعلان الحرب على ذلك المشروع الذي يسمّونه التأمين الصحي .. وليست هذه هي المرّة الأولى التي كتبتُ فيها عن سلبيات هذا المشروع .. وسبق أن قلتُ إن المشروع في حد ذاته مشروع عظيم لو أحسنَ تنفيذه ، وقلتُ يجب أن يعمل فيه أناس يؤمنون بأهدافه.. ولكن يبدو أنهم صمّ لا يسمعون .. وإن الموضوع الذي ذكرته الآن سيجعلني أعلنُ الحرب عليهم من جديد ، ولكنها ستكون في هذه المرّة حرباً شرسة ، لن أتوقف عنها إلا بعد تحقيق الهدف .. وسأبدأ أول مقال ليُنشرَ في صباح الغد ، ولكني أريد منك بعض المعلومات والمستندات .. فقال الأستاذ على : وهو كذلك .. وأحضر له بعض المستندات والتقارير الطبية وصورة من الفاكس المرسل من لندن .

وفي صباح اليوم التالي صدرت الجريدة وعلى صفحاتها الأولى مقال بعنوان : ( مأساة جديدة في التأمين الصحي ) .. وتلاه في اليوم الثاني مقال بعنوان : ( التأمين الصحي يحكم بالإعدام على مريض ) .... ثم بمقال آخر يحاطب فيه وزير الصحة بعنوان : ( أين أنت يا وزير الصحة؟! ) .. وذكر في هذا المقال ما حدث للدكتور أحمد ، وطالب بوقف هذه المهزلة فوراً .. وكتب مقالاً بعنوان : ( أين صوتك يا مجلس الشعب؟! ) ، وطالب أعضاء مجلس الشعب باستجواب وزير الصحة ومطالبته بسفر الدكتور أحمد إلى لندن فوراً .

وكانت هذه المقالات الملتهبة سبباً في إثارة الرأي العام . فأصبح المواطنون في المقاهي وفي الأوتوبيسات وفي البيوت يقرأون ويعلقون على ما يُكْتَبُ عن مهازل التأمين الصحي .. وبدأت تُنشرُ صور الكاريكاتير التي تسخر من التأمين الصحي .. وبدأت الأصوات تعلو في مجلس الشعب مطالبة بسفر الدكتور أحمد ، وطالبوا بحضور وزير الصحة واستجوابه .

وكان آخر مقال للأستاذ محمود بعنوان : ( يا رئيس مجلس الوزراء .. هل هو تأمين صحي .. أم تأمين صحي؟! .. ) .. واشتدت المناقشات في مجلس الشعب أثناء استجواب وزير الصحة ، وطالب المجلسُ الوزيرَ ورئيسَ مجلس الوزراء بالعمل على سفر الدكتور أحمد ، وإعادة النظر في أسلوب هيئة التأمين الصحي في معالجة مثل هذه الحالات .. وعقد مجلس الوزراء اجتماعاً طارئاً ، حيث وجّه رئيسُ المجلس اللومَ إلى وزير الصحة لعدم التصرف في الوقت المناسب مما أدى إلى إثارة الرأي العام ضد التأمين الصحي وضد الحكومة ، بسبب المقالات الصحفية التي أثارت الجماهير .. وطالب رئيسُ المجلس وزيرَ الصحة بضرورة التحقيق مع المتسببين في إثارة هذه المشكلة وضرورة إجراء تعديلات في الأشخاص القائمين على المشروع وتعيين آخرين من الأطباء الأكفاء الذين يُقدِّرون مسئولية هذا المشروع .. ثم أصدر مجلس الوزراء قراراً بالموافقة على سفر الدكتور أحمد ابراهيم إلى لندن ، لمتابعة الفحوص اللازمة لحالته على أن تكون تكاليف السفر والعلاج على نفقة الدولة .

وفي صباح اليوم التالي نُشرَ في الصفحة الأولى بالجريدة مقال للأستاذ محمود بعنوان : ( قرار مجلس الوزراء بسفر الدكتور أحمد ابراهيم إلى لندن - الحكومة تتحمل نفقات السفر والعلاج ) ويتبادل المواطنون في كل مكان التعليقات على انتصار الحملة الصحفية ، وتنهال برقيات التهنة على الجريدة وعلى المحرر ، الأستاذ محمود ، مما جعل رئيس التحرير يستدعيه ويهنئه على انتصار حملته

الصحفية ، ويعلن عن منح مكافأة ... ويتصل الأستاذ علي تليفونيا بصديقه الأستاذ محمود، المحرر ، ويهنئه بنجاح الحملة الصحفية ، ويشكره على الجهد الذي بذله .. ويتفقان على اللقاء بعد دقائق في مقر الجريدة ، ليذهبا معا إلى منزل الدكتور أحمد ، ليهنأه بقرار سفره وانتصار قضيته .. ويصل الأستاذ على الذي يحتضن صديقه المحرر ويقول له : لقد سَمَّيْتَهَا حربًا ، وهأنت قد كسبتَ الحرب .. فقال الأستاذ محمود : إنها فقط مجرد معركة ، ومازال أمامي كثير من المعارك ، ولن أتوقف عن الكتابة ضد البيروقراطية والروتين والجمود ، الذي يُضَيِّعُ حقوق المواطنين ، والذي يتسبب في هجرة الشرفاء من أبناء البلد !! ..

ويخرج الصديقان ومعهما الجريدة التي تحمل قرار مجلس الوزراء في صفحتها الأولى .. ويركبان السيارة ويتوجهان إلى منزل الدكتور أحمد .. ويفتح لهما الباب خادمُ البيت .. ويقول له الأستاذ علي : أبلغ السيدة سهير بأن معي الأستاذ محمود المحرر ، وأنه يريد لقاء الدكتور أحمد .. فيردّ الخادم : الدكتور أحمد .. تعيش انت .. لقد تُوفِّيَ منذ ربع ساعة !! ..

ويتزل هذا الخبر نزول الصاعقة على الرجلين .. ويشهق الأستاذ على ، ثم يُخْفِي وجهه بين يديه ، بينما يُذْهَلُ الأستاذ محمود المحرر .. وتسقط الجريدة من يده .. وينظر إليها وهي على الأرض ، وقد ظهر بوضوح العنوان الذي يقول : ( قرار مجلس الوزراء بسفر الدكتور أحمد ابراهيم إلى لندن ) .. ( الحكومة تتحمّل تكاليف السفر ونفقات العلاج ) .. ويقول الأستاذ محمود ساخرًا : أهكذا يكون مصير الشرفاء !!!؟ ..

وتهب ريح قوية فتطيح بالجريدة حيث يطير بها الهواء بعيدًا .. وكأنه يُعَبِّرُ عن رحيل الدكتور أحمد ، أحد القلائل من المواطنين الشرفاء !!!! ..

# مَطَبَّات .. فِي الْهَوَاءِ !!..

وفجأة وجدّني أطيّر في الهواء ، وفوق السحاب ، حقيقةً أطيّر ، ولكن ليس بمجنّحين كما تفعل الطيور ، ولكن لأنّي كنتُ أحد ركّاب الطائرة المتجهة إلى نيويورك ، تلك المدينة التي تناطح السحاب " كما يقولون " ، وحيث يعيش نجلاي الطيب والمهندس . وكنتُ أنظر من نافذة الطائرة ، فأرى السُّحُبَ تحتنا وهي تجري بسرعة مذهلة ، وتتلاحق حتى بدت متلاحمة ، وكأنّها كتلة واحدة بيضاء ، تخفي تحتها معالم الأرض وما كانت هذه السرعة حقيقةً للسحب ، إنّما هي سرعة الطائرة النفاثة التي تطير فوقها ، فيُخَيِّلُ لينا أن السحب هي التي تجري ، مع إيماني بأن السحاب هو الآخر يجري كما نراه ونحن على الأرض ، ولكن ليس بهذه السرعة التي نراها من خلال نافذة الطائرة . وسرحتُ بخيالي في محاولات الأخوين " رايت " لإنشاء أول طائرة يطير بها الإنسان في الجو .. ثم تذكّرتُ الأشكال والتصميمات المختلفة للطائرات ، وتطورات أحجامها وسرعاتها حتى فاقت سرعة الصوت والضوء .. كما سرحتُ في تطوّر بناء سفن الفضاء التي فاقت كل خيال .

وبينما كنتُ أعيش في هذه الخيالات ، حُيِّلَ إليّ أيّ أسمع صوتنا يهمس في أذني ، ولكنني لم أكرّث ، إذ كنتُ مستغرقاً في تخيلاي .. ولكن الصوت عاود الهمس ، وأحسستُ بيد تمسك بذراعي ، ولما نظرتُ إلى يساري إذا بالراكبة التي تجاورني في المقعد تشدّت قبضتها على ذراعي ، وقد ارتسم على وجهها شيء من الخوف والهلع والذعر ، وجحظتُ عينها من الرعب ، وكانت فتاة شقراء ، تبدو في أواخر العشرينات ، بعينين زرقاوتين ، وكانت خصلة من شعرها الأصفر الناعم قد حجبت جزءاً من وجهها ، مما أكسبها جمالاً على جمالها الذي لم يستطع الفرع أن يخفيه ، وظننتُ أنّها أمريكية . فسألته بالإنجليزية عما في الأمر .. ولكنها بادرتني بسؤال باللغة العربية

عما إذا كنتُ أتكلّم العربية .. وهنا عرفتُ أنها عربيّة ، وليست أمريكية كما ظننت .. فأفهمتها بأنّي مصري .. ولما استفسرتُ منها عما بها قالت : ألم تسمع ما قاله قائد الطائرة منذ قليل ؟!.. فقلتُ لها : لا ، لم أسمع شيئاً ، فقد كنتُ مستغرقاً في الخيال وأنا أنظر من خلال نافذة الطائرة ، ماذا قال ؟ فقالت : لقد طلب من الركّاب أن يربطوا أحزمة الأمان ، فسألتهما : لماذا ؟. ولم يمض على بدء الرحلة أكثر من ساعة ؟!.. فقالت : لا أدري .. ولكنني أخشى أن يكون قد حدث أمر يضطر بسببه قائد الطائرة إلى الهبوط الاضطراري .. ثم سألتني : ألم تشعر ببعض الاهتزازات منذ دقائق قليلة مضت ؟!.. وهنا بدأ القلق يساورني ، وبدأت الأفكار السوداء تتداخل وتتراحم في رأسي ، حتى شعرتُ برعدة عنيفة تهزّ بدني كله ، أحسست بعدها كأن رأسي يدور ، وكان عقلي قد توقف عن التفكير ، ووجدتني دون أن أدري أضغ كلتا يديّ على الجهة اليسرى من صدري وكأنني أتحسس قلبي لأرى إن كان ما زال ينبض أم توقف . وبينما أنا شارد هكذا ومذهول ، بل ومذعور من تلك الأفكار التي راودتني ، إذا بشيء يمسك بذراعي ويهزّه بشدّة ، مما زادني رعباً ، ونظرتُ فإذا بجارتي في المقعد هي التي تمسك بذراعي ، وقد بدت الدهشة الكبيرة ترسم على وجهها وقالت : ماذا بك يا أستاذ ؟!.. يا أستاذ ماذا بك ؟!.. ألا تسمعي ؟!..

وكانت عيناّي تمحلقان في كل ما حولي ، وكأنّي لا أرى شيئاً إلّا علامة استفهام كبيرة تتراقص أمامي مترجمة للسؤال الذي أحس به ولا يستطيع أن ينطق به لساني من هول ما أشعر به من خوف وقلق !!.. وإذا بيد رقيقة حانية تمسك بيدي وتجذبها برقة ، ثم تمسح عليها ، وكأنّها تداعب قطعة صغيرة .. ولما التفتُ إلى هذه اليد الرقيقة وجدتها يد إحدى مضيفات الطائرة التي استدعتها جارتي في المقعد عندما وجدتني لا أردّ عليها ورأت على وجهي ما ضاعف انزعاجها .. وإذا بالرؤية التي كانت قد انعدمت أمام عينيّ ، بدأت تتضح شيئاً فشيئاً حتى بدأت أرى أشباحاً وأشكالاً غير واضحة المعالم ، تماماً كما في الصور " المهزوزة " التي تُلتقطُ بكاميرا غير مثبتة ، وبدأت هذه الأشباح

والأشكال تزداد وضوحًا بالتدرج ، حتى استطعتُ أن أرى المقعد الذي أمامي ، والجيب الذي يقع خلفه ، وتلك المجالات التي تُطلُّ منه ، وهذه المضيفة التي تمسك بيدي وتحاول تهدئتي ، ورأيتُ وجهها بوضوح ، حيث كانت تبسم ابتسامة وظيفية ينقصها الصدق ، تريد بها أن تخفف عني ، وإلى جوارِي رأيتُ جارِي في المقعد الذي بدأت علامات الارتياح ترتسم على وجهها بالتدرج ، وتنهَّد كأنها خارجة من تجربة ومحنة مثيرة وإذا بها تبسم هي الأخرى ، ولكن ابتسامتها تختلف عن ابتسامة المضيفة ، فقد كانت ابتسامة صادقة ، شجعتني وأحسست بعدها أي أعود إلى نفسي وكأني كنت غائبًا عن الوعي .. وارتسم على وجهي تساؤل ، سرعان ما ترجمه لساني حين قلتُ : ماذا حدث لي ؟.. فقالت المضيفة : لا شيء .. فقط يبدو أنك نمتَ بعض الوقت ، وأنتَ رأيتَ حُلْمًا مزعجًا بعض الشيء .. ولكنني لم أثق في كلام المضيفة ، كما لم أثق في ابتسامتها ، فأنا أعرف أن من متطلبات وظيفتها أن تعمل على إبعاد الخوف عن الركَّاب ، وطمأنتهم بأن كل شيء على ما يرام ، حتى ولو كان الأمر على شفا حفرة من الموت .

واستدرتُ إلى جارِي في المقعد وسألْتُها : أخبريني بحق .. ماذا حدث ؟.. فقالت : كنتُ أسألك إن كنتَ قد سمعتَ قائد الطائرة وهو يرجو الركَّاب أن يربطوا أحزمة الأمان ، وسألتُك عما إذا كنتَ قد شعرتَ باهتزازات الطائرة ، فلم تُجِبني ، ويبدو أن سُؤالي قد فاجأك وأقلقك بعض الشيء .. هذا كل ما في الأمر .

وهنا تذكَّرتُ ما حدث فعلاً ، وتبينتُ صدق جارِي في المقعد .. وهزرتُ رأسي وقلتُ : حقًا .. ما أضعف الإنسان !!.. وهنا قالت المضيفة وعلى وجهها نفس الابتسامة الوظيفية الباهتة : لعلك الآن أحسن !!.. فقلتُ : الحمد لله .. فقالت : هل تحب أن أحضِرَ لك حبة أسبرين وكوبًا من الشاي ؟.. فقلتُ لها : بل يكفي كوب من الشاي .. فقالت : حبة أسبرين تُهدئُ أعصابك .. فقلتُ : شكرًا ، فأنا لا أتناول أي نوع من الحبوب .. وانصرفتُ المضيفة .. وبادرتُ جارِي في المقعد بسؤالي : لماذا لا

تناول أي نوع من الحبوب؟!.. فقلت لها : ربما ندهشين إذا قلتُ لك إنني لا أتق في جميع الأدوية التي يصنعها الإنسان ، وفي هذه الأيام بالذات .. كما لا أتق في أطباء هذا الزمان !!..

فقلت جاري في المقعد : يبدو أنك مررتَ بتجربة جعلتك تخاف من الدواء ، ولا تثق في الأطباء .. فقلت لها : ليس نتيجة تجربة شخصية لي ، ولكن ما نقرأ عنه في الصحف والمجلات يكفي لأن نقاطع الأدوية والأطباء ، فكم من أبرياء ضاعت صحتهم بسبب الأدوية " المغشوشة " أو التي انتهت مدّة صلاحيتها ، ومازالت تُباع في الصيدليات .. وكم من صيدليات ضُبطتْ ، وكم من أطنان الأدوية التي ضبطتها السلطات المختصة وأعدمتها حفاظاً على صحة المواطنين !!.

أما أطباء هذا الزمان ، فأغلبهم قد سيطر عليهم الجشع والطمع ، ولا يهمهم صحة الناس بقدر ما يهمهم أن يجمعوا الثروات .. وكم من القصص التي تحكي عن الأطباء الذين يتسببون ياهمالهم أو بعدم دقة التشخيص ، في كثير من الوقّيات، أو في حدوث المضاعفات فقلت : وماذا تفعل إذا شعرتَ يوماً بألم ما ؟.. فقلت : أولاً ومن حيث المبدأ ، فأنا أسير بقدر الإمكان على القول المأثور الذي يقول : " الوقاية خير من العلاج " ولهذا فأنا أجتهد ألا أعرض نفسي لأسباب الأمراض .. ثانياً .. إذا حدث أن أصبتُ مثلاً بصداع .. أحاول أن أعرف السبب ، فربما كان الإجهاد أو قلة النوم أو الجوع ، بعد ذلك أتخلص من الصداع بمزيد من الراحة والاسترخاء ، وأن أعرض نفسي للشمس والهواء ، وطبعاً الشمس الهادئة ، والهواء البعيد عن التيارات الشديدة كما أني أحرص على تناول حبتين من الثوم ، وملعقة صغيرة من حبة البركة ثم ملعقتين من عسل النحل صباح كل يوم .. وحبّة البركة تحدّث عنها الرسول الكريم فقال : ( عليكم بتلك الحبة السوداء ، فإن فيها شفاء لكل داء ) .. أما عسل النحل فيكفي أن الله تعالى قال عنه : [ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ] . كما أحرص على العمل بمنطق حديث الرسول الكريم الذي يقول فيد : ( المعدة بيت الداء ، والحميّة رأس الدّواء ) ومعنى

" الحَمِيَّة " الإقلال من الطعام . وفي ذلك سلامة للمعدة وراحة لها . ولهذا فلا آكل إلا إذا أحسستُ بالجرع .. وإذا أكلتُ فإني أحرص على ترك الطعام قبل أن أشبع . عملاً بقول الرسول صلى الله عليه وسلم ( نحن قومٌ لا نأكل حتى نجوع ، وإذا أكلنا لا نشبع ) .. وهناك حكمة أخرى تقول : " أَقْبِلْ على الطعام وأنت تشتهيهِ ، وَاَتْرُكْهُ وأنت تشتهيهِ " ... وهناك أمرٌ آخر ربما يُزيدُ دهشتك كما يثير دهشة الكثيرين من أهلي وأصدقائي .. هذا الأمر هو أنني أؤمنُ بأن الجسم يُصلِحُ نفسه بقدره الله .. لأنه من صنع الله ، والله أعلمُ بخلقهِ .. [ ألا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ] .. ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : ( داووا مرضاكم بالصدقة ) .. وأذكرُ أنني ذات يوم أحسستُ بنعب ، ونصحني أصدقائي بالذهاب إلى الطبيب .. وتذكرتُ الحديث الشريف ، فقلتُ في نفسي : سأفترض أن الطبيب سيأخذ مني عشرين جنيهاً ، وسيصف لي دواءً ثمنه عشرة جنيهاً أخرى .. وبذلك تكون قيمة الكشف الطبي والدواء أربعين جنيهاً .. وقلتُ : فلأرذ المبلغ عشر جنيهاً أخرى ، وهكذا تصدقتُ بمبلغ خمسين جنيهاً .. وستندهشين إذا قلتُ لك إن الله شفاني ، وفي اليوم التالي كنتُ صحيحاً تماماً .. وإني لَحَسَنُ الظَّنِّ بالله .. والله تعالى يقول في الحديث القدسي : ( أنا عند ظن عبدي بي ) ..

فقلت جاري في المقعد : هل معنى ذلك أنك لست على استعداد للتعامل مع الأطباء مهما حدث؟! .. فقلت لها : وقانا الله شرهم .. لست مستعداً للتعامل معهم إلا في حالات الضرورة القصوى ، ونسأله تعالى أن يحفظنا برحمته .  
وفجأة ، وجدتُ جاري في المقعد نفهقه بصوت مرتفع ومجاجي ، ولما رأته مندهشاً لضحكها ازداد ضحكها ، وهي تحاول جاهدة أن تتوقف عن الضحك ، وتضع يديها على فمها وكأنها لا تستطيع .. وظلت هكذا لمدة دقيقة تقريباً ، وهي تنظر إلي بين الحين والآخر ، وأنظر إليها فتلتقي عينانا فنضحك معاً ..

وبعد أن هدأنا وتوقف ضحكنا ، إلا من أجزاء متقطعة ، إلى أن توقف الضحك تماماً ، قلتُ لها : ماذا أضحكك كل هذا الضحك ؟! فقالت : لقد تذكّرتُ أبي كنتُ أسألك لتفسّر لي ما يحدث مما كان يقلقني من أمر الطائرة ، وبدلاً من أن تحييني إلى سوالي ، تحولت في لحظات إلى سائل تريدني أن أفسّر لك ما حدث .. هذا ما جعلني أضحك ، وتذكّرتُ المثل العامّي الذي يقول " جنّك يا عبد المعين لتعيني ، فوجدتُك تحتاج غوثي " ، ثم قالت : هذا ما أضحكني ، فماذا أضحكك أنت ؟!.. فقلت : حقيقة .. لا أدري ، فبمجرد أن رأيتك تضحكين بلا توقف ، وجدّتي أضحك معك !!..

وفي هذه اللحظة كانت المضيضة قد جاءت بكوب الشاي ، وناولتني إياه وقالت : هل من خدمة أخرى ؟!.. وفجأة تذكّرتُ ما قالته جاري في المقعد عما قاله قائد الطائرة عن ربّط أحزمة الأمان ، فسألْتُ المضيضة عن سبب ذلك ، فقالت : لقد تعرّضت الطائرة لبعض مطبات الهواء ، وهذا أمر عادي ، يحدث كثيراً ، فلا تقلقوا .. ثم انصرفت المضيضة ، وكنت أنظر إليها وأقول لها في نفسي : " لعلك لا تكذبن كما تكذب ابنتامتك !!..

ثم سرختُ بخيالي في حكاية " مطبات الهواء " ، وتذكّرتُ المطبات الأرضية الكثيرة في شوارع القاهرة التي تعرّض لها السيارات والأوتوبيسات ، حتى يكاد الركّاب يقفزون من مقاعدهم عند كل مطب ، ومسكين أولئك الركّاب الواقفون الذين يرتطمون بعضهم ببعض ، ثم يعلو صراخ بعض النساء وبكاء الأطفال ، ثم تتوالى لعنات الركّاب على هيئة النقل ، وعلى المسئولين الذين يهملون في رصف الطرق ، وعلى المقاولين معدومي الضمير الذين لا يخشون الله في عمليات الرصف التي تُستند إليهم ، والتي لا تعيش إلاّ شهور قليلة ، ثم تعود المطبات كما كانت !!..

ووجدتني أقول في نفسي : إن مطبات الهواء أرحم بكثير من مطبات الأرض ..  
وإذا بجارتي في المقعد تشد ذراعي مرة أخرى وتقول : يا أستاذ .. هل عُذتَ تَسْرَحُ من  
جديد !؟.. ولما نظرتُ إليها وجدتها مندهشة ، وقالت : لقد ناديتك ثلاث مرّات فلم  
ترد .. فقلت لها : آسف يا آنسة ، ثم استدركتُ قائلاً : ألسنِ آنسة كما أعتقد ؟ ..  
قالت : نعم ، واسمي " نوال " . فقلت : وإلى أين أنتِ ذاهبة ؟ .. فقلت : نيويورك ،  
ثم قالت : ألا تلاحظ أنني كلما هممتُ بسؤالك بادرته أنت بالسؤال !؟ . فقلت : هل  
كنتِ تسأليني الآن ؟ قالت : كنت أنوي أن أسألك عن وجهتك ، وعمّا إذا كنتِ  
تعرف الكثير عن نيويورك ، فقلت : أنا أيضاً ذاهب إلى نيويورك ، وحقيقة لم أسافر  
إليها من قبل ، ولكنني أعرف عنها الكثير من قراءاتي ، ومن حكايات أبنائي وأبناء أخي  
الذين يعملون ويعيشون فيها .. ولا تنسي الأفلام الأمريكية التي نرى فيها نيويورك ،  
وما فيها من مباح ، وما بها من مفاسد أيضاً .. وما تتمتع به من ديمقراطية وحرية ،  
وما تسبح فيه من مافيا وعنصرية .. تُرى !؟.. ماذا تريدان أن تعرفي عن نيويورك ؟ ..  
إذا كنتِ تقصدان شوارعها وأحياءها فأنا لا أعرفها ، أما إذا كنتِ تريدان الذهاب إلى  
أي مكان فيها ، فهذا أمر سهل ، فإن تجلّي سكونان في انتظاري في المطار بسيارة ،  
ويمكننا أن نوصلك إلى حيث تريدان ، أو على الأقل إرشادك لكيفية الوصول إلى أي  
مكان ، فقالت : شكراً .. أنا لم أفصد ذلك ، فإن عمّي سيكون في انتظاري في المطار ،  
إنما كنتُ أريد فكرة عامة عن نيويورك ، وطبيعة الحياة فيها .. فأنا ذاهبة إليها بدعوة  
من عمّي ، وهو من رجال الأعمال ... فقلت : إن ما أعرفه عن نيويورك أنها سريعة  
الإيقاع ، والحركة فيها كخلية النحل ، وأند مزدحمة ، والوقت فيها كالناس ، وليس  
كالذهب كما نقول نحن أحياناً ، رغم أننا نعامل الوقت في مجتمعنا على أنه من  
" صفيح " .. والعمل في نيويورك يأخذ معظم الوقت من الناس ، لأن ارتفاع مستوى  
المعيشة يتطلب العمل المتواصل ، حتى يستطيع الإنسان فيها أن يفي بمتطلبات الحياة ..  
فلا تأخر عن مواعيد العمل ، وإلا كان الجزء الفصل من الخدمة ، أو الخصم القاسي

من المرتب ، والعمل هناك يُقدَّرُ بالساعة وليس باليوم . والمرتبات تُحدّد على أساس كمية الإنتاج ، وعدد ساعات العمل .. وتجدين كل فرد منهمكًا في عمله ، فلا قراءة للجرائد أثناء العمل ، ولا تسلية في حل ألغاز " الكلكسات المتقاطعة " ، ولا التهام " للسندويشات " ، ولا أكواب الشاي والقهوة المبعثرة هنا وهناك ، ولا أحاديث بين الزملاء عن أحداث الأمسيات والسهرات ، ولا احتدام المناقشات والتشنجات حول نتائج مباريات الكرة ، ولا خصومات حولها ، أو تعصبات بسببها .. ولا صورة من هذه الصور الكئيبة التي نراها في مجتمعا في سائر المصالح ، مما يعوق الإنتاج ويزيدنا تأخرًا وتخلّفًا .. وكان الله في عون حكوماتنا التي تجري وراء المستحيل لكي تُشبع تلك البطون الجائعة ، التي جعلت الطعام أكبر همها .. والشعوب جميعها تتسابق مع الزمن ، وتجري بالخطوة السريعة إلى الأمام .. ونحن أيضًا نجري بالخطوة السريعة .. ولكن .. إلى الخلف .. وإلى الضياع !!..

وهنا استوقفتني جاري في المقعد ، الأنسة نوال قانلة . يا أستاذ .. سألتك عن نيويورك وطبيعة الحياة فيها ، فإذا بك تتحوّل إلى طبيعة الحياة في مجتمعنا !!.. فسألتها : هل أنتِ مصرية ؟ فقالت : نعم .. ومن شبرا .. فقلت : الحمد لله أنك " بلديّاتي " فأنا لا أحب أن أتحدّث عن سليات مجتمعنا مع أحد من الأجانب .. فقالت : لقد كنتُ تتحدّث بانفعال ، وهذا لا يتفق مع الأسلوب الصحّي الذي تسير عليه ، وهو " الوقاية خير من العلاج " .. ألا تعلم أن الانفعال يؤدّي أحيانًا إلى أضرار صحّيّة ؟.. فقلت : لك الحق فيما تقولين .. واعدريني .. فأنا مصري لحمًا ودمًا وإحساسًا ، وأدين بالولاء لبلدي .. وكم أشعر بالحزن عندما أجد دولة من الدول تحقّق الإنجازات العلمية والاقتصادية ، وتتطوّر في السياسة والتعليم ، وتحقّق الرخاء لمواطنيها ، بينما أجد بلدي يزرع تحت وابل من الديون للدول الأخرى بعد أن كنا ندين الدول الكبرى في الأربعينيات من القرن العشرين ، كما يصيبيني الإحساس بالأسى عندما أرى حكومات العالم توكّد حقوق شعوبها ، وتحترم كلمة هذه الشعوب ، بينما نسمع بين

أخين والآخِر أنا نسير نحو الديمقراطية ( وكأنا لم نعرف الديمقراطية من قبل !! ) ..  
ونسَمع كثيراً أن حكوماتنا تسعى جاهدة لتحقيق الرخاء .. ولكي يمتلك كل مواطن  
" فيللا وسيارة " .. وتمضي السنون ، وتتعاقب الحكومات .. فلا بتحقيق رخاء ، ولا  
" يجزونون " ، بل يوجد فقط " يجزونون " !! ..

فَقالت نوال : أنا أسمع من عمِّي أحيانا عندما يزورنا أن مصر ليست دولة فقيرة  
كما يُشاعُ عنها ، بدليل أن فيها عدداً كبيراً من المليونيرات والمليارديرات .. فقلت :  
هذا صحيح .. فإن أصحاب الملايين أصبحوا بالئات .. ولكن لا خير في كثير منهم ..  
ففي النصف الأول من القرن العشرين كان في مصر عدد قليل جداً من المليونيرات ،  
يقترَبون من عدد أصابع اليد الواحدة ، من أمثال طلعت حرب وسيد ياسين وعَبود  
وأبو رجيلة .. وكان هؤلاء مصريين حقاً ، ويعملون من أجل مصر ، فأسسوا البنوك  
والشركات ، وأقاموا المصانع الشاححة ، وأفادوا بأموالهم الاقتصاد المصري ، حتى تفوق  
الجنيه المصري على الدولار والجنيه الاسترليني !! ..

وكان هؤلاء المصريون الشرفاء يبنون المدارس والمستشفيات المجانية ، والمطاعم  
الخيرية التي تُطعم الفقراء ، كما كانوا يوصون في وصاياهم بأن تستمر ثرواتهم في  
خدمة الاقتصاد المصري ، والمجتمع المصري ، والمواطن المصري !! ..

أما أصحاب الملايين والمليارات الذين يُعَدُّون الآن بالئات . فماذا قدّم أغلبهم  
لمصر أو لشعب مصر ؟! .. ماذا فعلوا للاقتصاد المصري ؟! .. تقريباً لا شيء .. فهم  
يصدرون ثرواتهم للخارج ليزدهر بها الاقتصاد الأجنبي ، رغم أن هذه الثروات قد  
جَنَوْها من خير مصر وعَرَّقِ المواطنين المصريين !! ..

هل هناك مستشفى مجانيّ أو حتى اقتصاديّ بناه مليونير ؟! .. هل سمعنا عن  
مدرسة مجانية أنشأها ملياردير ؟! ..

إننا نسمع عن المستشفيات الاستثمارية التي تتدفق ونسيل على أبوابها دماء  
المصابين من الفقراء ، دون أن يُسَمَّحَ بدخولهم إلا بعد دفع الآلاف مقدّماً ، مما يزيد في

خراب البيوت ، كما نسمع عن جثث الأموات التي تحتجزها هذه المستشفيات كرهينة حتى يتم تسديد فواتير العلاج ، حتى أصبح الشعار في هذه المستشفيات " موت و خراب ديار " ..!!

وقبل أن أكمل حديثي ، بادرتني الأنسة نوال بقولها : لكن لا تنسَ أن بعض الأثرياء ساهموا بأمورهم في تخفيف أزمة التعليم في مصر ، بتلك المدارس التي أنشأوها بأمورهم ، خاصة مدارس اللغات التي رفعت مستوى الطلاب في اللغات الأجنبية ، وخاصة اللغة الإنجليزية ، التي تُعتبر لغة عالمية .. فقلت لها : إن معظم أصحاب هذه المدارس - وأقول معظمهم - لكي لا أظلم بعض الشرفاء منهم ، لا يقصدون من إنشاء هذه المدارس المساهمة في حل أزمة التعليم كما يدعون ، بل إنهم يعتبرون ذلك وسيلة من وسائل الإثراء السريع أما حكاية اللغات ومدارس اللغات ، فهذه " نكتة " أخرى و خدعة ابتلعها بعض أولياء الأمور ، ممن يعشقون التباهي والتفاخر بأن أولادهم يدرسون في مدارس لغات .. ولكنهم لا يعلمون حقيقة هذه المدارس .. فاللغات لديهم مجرد ستار لابتزاز أولياء الأمور .. فمعظم الذين يقومون بتدريس اللغة الإنجليزية ليسوا مؤهلين لذلك .

فقلت الأنسة نوال : إن بعض هذه المدارس يعمل بها مدرّسون أجنبي .. فقلت لها : وهذه وسيلة أخرى للخداع ، يلجأ إليها أصحاب المدارس ، فهم " يصطادون " بعض الأجنبي الذين لا علاقة لهم بالتدريس ، ولم يسبق لهم العمل في هذا المجال ، ويجزلون لهم العطاء في المرتبات السخية ، ليجعلوهم واحهة ودعاية للمدرسة ، ولينخدع أولياء الأمور بوجود هؤلاء الأجنبي في المدرسة .. وأنا شخصياً أعرف سيدة أمريكية كانت تعيش في القاهرة بعد زواجها من طبيب مصري حديث التخرّج ، ولما ضاقت الحياة المعيشية أمام هذا الطبيب ، ذهب بامرأته إلى إحدى مدارس اللغات بمنطقة الهرم ، لعلها تجد عملاً يساهم في نفقات المعيشة ، وما أن عرف المسئولون في

المدرسة أنها أمريكية ، وأنها تتحدث الإنجليزية بطلاقة ، حتى رحبوا بها ووافقوا على عملها كمدرسة للغة الإنجليزية ، ولما اعترضت الأمريكية وأخبرتهم بأنها لم تعمل في هذا المجال من قبل ، وليس لديها معرفة بكيفية التدريس ، وأخبرتهم بأنها لم تكمل دراسة المرحلة الثانوية في بلدها حينما تزوجت .. فقالوا لها : ليس هذا مهماً .. بل يكفي أنك أمريكية وتحدثين الإنجليزية بطلاقة .. فأولياء الأمور يهتمون أن يتأكدوا بأن لدينا مدرسات أجنبيات .. وحرروا معها عقداً بمرتب ستمائة جنيه شهرياً بينما كان مرتب زوجها الطيب لم يصل بعد إلى مائة جنيه !!..

ومعظم مدارس اللغات كان الطلاب فيها يرسبون في اللغة الإنجليزية " المستوى الرفيع " في امتحانات الشهادة الابتدائية ، فيضطر أولياء الأمور إلى تحويل أبنائهم إلى المدارس الأميرية العربية بعد قضاء سبع سنوات في الحضنة والابتدائي ، ثم تبدأ بعد ذلك مشاكل الأولاد مع المواد التي كانوا يدرسونها بالإنجليزية ، وعليهم أن يدرسوها من جديد باللغة العربية .. إذن ، فهذه المدارس أو أغلبها لا تخفف من أزمة التعليم ، بل إنها تزيد من حدتها .

قالت نوال مُعلّقة : إنك تتحدث وكأنك خبير في التربية والتعليم !!.. فقلت : نسيتُ أن أذكر لك أنني كنتُ أعمل مديراً للتعليم الخاص بإدارة عابدين التعليمية بالقاهرة .. فقالت نوال : آه .. هذا هو السبب .. فأنت بحكم عملك تعرف الكثير عن حقيقة المدارس الخاصة ، ولماذا تحدث هذه الأمور ؟.. أليست هناك ضوابط وشروط لا بد من توافرها فيمن يعمل بالتدريس بالمدارس الخاصة أو من يديرونها ؟!.. قلت : الضوابط موجودة ، والقوانين المنظمة للعمل معروفة ، ولكن العيب في المتابعة ، إذ أن كل شيء عند بداية إنشاء المدرسة يكون متوافقاً مع القوانين واللوائح ، وبعد أن يصدر الترخيص للمدرسة بالعمل ، يتغير كل شيء حسب أهواء أصحاب المدارس، وما دامت المكافآت والهدايا تتدفق على المسؤولين ، فالعين لا ترى ، والأذن لا تسمع ، واللسان لا ينطق .. ورحمة الله على التعليم وعلى المعلمين !!..

وقالت نوال : ألم تحاول أن تفعل شيئاً وقد كنت أحد المسئولين عن التعليم الخاص ؟!.. فقلت : وماذا يستطيع مثلي أن يفعل مع العيون العمياء والآذان الصماء والألسنة الخرساء ؟!..

لقد قمتُ ذات مرة بعمل بحث بعنوان ( التعليم الخاص - مشاكل وحلول ) ذكرتُ فيه أهمية التعليم الخاص ، وشرحتُ أهم متساكله ، وقدمتُ بعض المقترحات لحل هذه المشاكل ، وأرسلتُ نَسْخًا منه إلى وزير التربية والتعليم ، وإلى وكيل أول الوزارة بالقاهرة ، وإلى إدارة التدريب ، وإلى مديري التعليم الخاص بالمديرية والوزارة وبعض مديري العموم .. ولم يتحرك أحد ليبحث ويتحقق من المشاكل التي ذكرتها ، أو حتى يناقشني فيما جاء بالبحث .. والأغرب من ذلك أن بعضهم كان يثني على البحث ويقول إنه عمل عظيم وأفكار بناءة ، وأنا واثق تمام الثقة أنه لم يقرأ صفحة واحدة منه !!..

وأثناء حديثي مع نوال ، أحسستُ بهزة خفيفة ، أعقبها هزتان خفيفتان .. فلما رأيتُ نوال خَشِيَتْ أن يملكني الخوف كما حدث من قبل ، فبادرتُ وهي تمسك بيدي برقة وتبتسم ابتسامة مُطمِئِنَةٌ وقالت : لا تخفْ .. إنها بعض مطبات الهواء .. ولن تتكرر .. ثم قالت : ألا تلاحظ أنك عرفتَ اسمي ، بينما أنا حتى الآن لم أعرف اسم حضرتك ؟!.. فقلتُ لها : معذرة .. فإن الحديث قد أخذني بعيداً .. اسمي " محمد ابراهيم " .. فقالت : في سياق حديثك قلتُ إنك كُنْتَ تعمل مديراً للتعليم الخاص ، فهل معنى ذلك أنك تركتَ الخدمة ؟!.. قلتُ لها : إنك ذكية ولَمَاحَةٌ .. فعلاً تركتُ الخدمة في شهر أبريل سنة ١٩٩٦ ، فقالت : معنى هذا أنك من مواليد شهر أبريل ، أي أنك من برج " الحَمَل " .. فقلتُ : لا ، أنا من مواليد شهر فبراير ، أي من برج " الدلو " فقالت : إن مواليد برج " الدلو " معروفون بأنهم عاطفيون ومتسامحون ، ولكنهم عندما يغضبون تكون ثورتُهم عارمة ، ولا يتراجعون .. ولكن اسمح لي أن أسألك .. إذا كنتَ من مواليد فبراير ، فكيف تركتَ الخدمة في أبريل ؟!..

تهدتُ تهيدةً طويلةً ثم قلتُ : إن لهذا قصةً طويلةً لا داعي لسردها بالتفصيل ، ولكن سأذكرها لك بإيجاز .. قبل أن تنتهي مدة خدمتي في فبراير ، أصدر السيد وزير التربية والتعليم قراراً بجد خدمتي حتى شهر يونيو من نفس العام .. وحدث أن نشبت أزمة بيني وبين مجلة " آخر ساعة " ، حيث أساءت محررة بها إلى شخصي ، وحققةً إنها لم تكن تتعمد الإساءة ، ولكن عدم التزامها بميثاق الشرف الصحفي ، وابتعادها عن واجب التقصي الدقيق للحقيقة ، جعلها تتورط في هذه الإساءة ، فاضطرتُ إلى تحرير محضر وإبلاغ النيابة ضد المحررة والمجلة ، ورفعتُ قضيةً ضدهم .. ولكن هالني أن أجد أحد المسؤولين الكبار بالوزارة ، يأخذ مني موقفاً معادياً عندما اتصلتُ به المحررة ، وبدأ المسئول الكبير يُحرّضُ بعض المسؤولين في المديرية والإدارة التعليمية لمضايقتي ، لإرغامي على التنازل عن القضية التي حررتها ضد المحررة والمجلة .. ولما وجدتُ أن الموقف يتناقض مع أبسط قواعد الأصول .. إذ المفروض أن أرى المسؤولين بالوزارة يدافعون عني باعتباري واحداً من رجال التربية والتعليم ، خاصةً وأني صاحب حق .. ولكن يبدو أن هؤلاء الناس يعتبرون أن المفروض شيء والواقع شيء آخر .. فاضطرتُ إلى طلب إعفائي من استكمال المدة التي قررها السيد الوزير .. وكان طلبي من خلال برقية أرسلتها للسيد الوزير وطلب رسمي لمدير عام الإدارة التعليمية ، وهكذا تركتُ العمل في أبريل ، لأني اعتبرتُ الموقف السلبيّ لمسئولين هو بمثابة مجاملة للصحفية وعلى حساب كرامتي .. فآثرتُ الانسحاب من العمل لأتفرغ للدفاع عن كرامتي أمام القضاء .

فقلت نوال : ألم أقل لك إن مواليد برج الدلو عندما يفضبون لا يتراجعون ١٢ .. فقلت : لاحظي أيضاً أنك قلت منذ لحظات ، إن مواليد برج الدلو متسامحون .. وهم فعلاً كذلك ، ولكن مع الذين يؤمنون بأن الرجوع للحق فضيلة ، أما المستكبرون الذين لا يعترفون بأخطائهم ، ويتمادون في غطرستهم ، فالتسامح معهم لا يكون إلا صورة من صور الضعف والهوان ، وهذا ما لا يقبله من يعتز بكرامته ..

ثم قلت لها : دعينا من الحديث عن مشاكل مجتمعنا ، فقد أطلنا فيها ..  
ولتحدّث عنك ، وسألتها : هل زيارتك لنيويورك من أجل الزيارة فقط ؟ .. أم من  
أجل العمل أو الدراسة ؟ فقالت: بل للزيارة فقط .. فأنا أعمل مدرّسة للتربية الفنية في  
مدرسة ثانوة بالقاهرة ، وأنا من خريجات الفنون الجميلة ، وأبي مدير مرحلة بالتربية  
والتعليم .

وهنا وجدّني أسرح من جديد ، وأنظر إليها وكأني أفحصها جيّداً وأقول لنفسي :  
ربما تصلح زوجة لنجلي حسام ، مهندس الديكور ، فهو أيضاً من خريجي الفنون  
الجميلة ، هذا إذا لم يكن قد وقع اختياره على واحدة بعد ..

وبينما كنت أفكّر في هذا الموضوع ، إذا بهزة شديدة للطائرة ، أفقتُ على أثرها  
لأجد الذعر قد سيطر على الآنسة نوال ، وعلى الركّاب في المقاعد المجاورة ، حتى أن  
بعض السيدات أطلقن بعض الصرخات ، وتعالّت بعض الأصوات المستفسرة ..  
وأعترف أنني كنتُ ممن اعتراهم الخوف والرعب ، وحاولتُ التظاهر بالتماسك ،  
وقلتُ للآنسة نوال : لا تخافي فإنّها مجرد مطبات في الهواء ، ثم يعود الهدوء للطائرة ..  
وما كذتُ أنّهي هذه العبارة ، حتى اهتزّت الطائرة مرّة أخرى ولكنها كانت أشدّ  
عنفاً في هذه المرّة .. وبدأ الأمر يأخذ في مخيلتي شكلاً آخر غير مطبات الهواء التي  
كنتُ أتحدّث عنها .. وإذا بصوت قائد الطائرة يرجو الركّاب الالتزام بربط أحزمة  
الأمان ، وعدم مغادرة مقاعدهم ، أو المشي في ممرّات الطائرة ، وعدم التدخين نهائياً ،  
والالتزام بضبط النفس ، ثم قال : إننا نواجه مشكلة بسبب سوء الأحوال الجوية ،  
وإن شاء الله سنتغلب عليها ، وربما نضطر للهبوط الاضطراري في أقرب مطار ، ولهذا  
نرجو الهدوء حتى لا تتعقد الأمور .

وما أن انتهى قائد الطائرة من إعلان بيانه حتى ارتسم الوجوم على وجوه الجميع ، فالشفاه ترتعد وتتمتم ، والعيون جاحظة توجه نظرات الخوف والتساؤل يمينا ويسارا ، لعلهم يجدون من يطمئنهم ، دون جدوى !!..

ونظرتُ إلى الأنسة نوال ، فوجدتُ الدموع تنهمر من عينيها المغمضتين ، وجسدها يرتعد ، وكانت شفتاها تتمتان بكلمات لا أسمعها .. وبدأتُ أتساءل بيني وبين نفسي : ماذا لو ..؟! ولا أستطيع أن أكمل ، ثم أقول : لا لا .. غير معقول ، وكأني أطرده أفكارا مخيفة تحاول أن تسيطر على ذهني !!..

وفجأة .. أحسستُ بهزة أخرى ، ثم تلتها بضعة هزات متلاحقة ، بعضها عيفة ، وبعضها خفيفة ، شعرتُ معها بأن أجهزة بدني التي بداخله ترتطم بعضها ببعض ، كما يحدث لزجاجة الدواء عندما " نرجها " !!..

وبدأتُ أدركُ أن الأمر جدّ خطير ، وأنه لا بد وأن خللاً ما قد حدث للطائرة ، ولم يفصح عنه قائد الطائرة خوفاً من إثارة الفزع بين الركّاب .. ولكن تلك الهزّات المتلاحقة كانت كافية لتخبر الركّاب بما لم يفصح عنه قائد الطائرة .. وانتابني إحساس بأننا على وشك حدوث كارثة مؤكّدة ، وأنا معرضون للفناء .. وأصبح الركّاب جميعهم بين من يبكي ومن يصرخ ومن يرتعد وقد انعقد لسانه فلا يقوى على الكلام.. ومنهم من يصلي ومن يرفع كفيه إلى السماء بالدعاء مستغيثاً برحمة الله .. ومنهم من يبدو أنه تذكّر أعماله السيئة ويشعر بالندم ، ويقول وهو يرتعد : سامحني يارب !!..

هذا الجو المرعب والمخيف جعلني أندكّر أولادي ، وخاصة الولدين اللذين تركتهما في القاهرة دون أن أرثب لهما أمر معيشتهما ، إذ أني لم أذخر مالا يكفي ليستعين به الولدان به ، إلا ذلك المعاش الهزيل ، الذي يُصرف لرجال التعليم ، الذين أفنوا شبانهم وأضاعوا عمرهم في تربية النشء ، وحتى هذا المعاش الضئيل ، لن يأخذ نجلاي منه شيئا ، حيث أنهما تخرّجا حديثا ، ولم يلتحقا بعمل بعد .. وكيف ستواجه

زوجتي نبأ الكارثة التي على وشك الحدوث ، وماذا ستفعل لتصرف المعاش الذي سيستحق لها ، وقد يستغرق صرفه وقتاً طويلاً كما يحدث دائماً بسبب البيروقراطية والروتين العقيم؟!..

كم كنت أتمنى أن تكون الآن بجواري لأقول لها : سامحيني إن كنت قد قصرتُ في حقكِ أو أسأتُ إليكِ يوماً!!..وكم تمنيتُ أن أحقق وعدي لها بأن نسافر للحج معاً!!..وظلمتُ أتساءل :ماذا سيفعل ولداي اللذان ينتظران وصولي بمطار نيويورك؟!.. لا بد أن الصدمة ستكون قاسية عليهما ، فمنذ عدة شهور ، وهما يلحَّان عليّ لكي أسافر إليهما ، وهما يأملان أن ينتشلاي من محيط المسئولية وحمل الهموم ولو لفترة وجيزة ، ونجحاً أخيراً في إقناعي بالسفر!!..

إنني أشفقُ عليهما من أن يلوما نفسيهما ، وأن يشعرا بالذنب ، وربما يظنَّان أنَّهما السبب في أن تكون نِهايي في هذه الكارثة المُفجعة .. كم أتمنى أن أقول لهما : إن الأجل محتوم ، وصدق الله تعالى إذ يقول : [ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ] ..

وبينما كنت غارقاً في هذه الأفكار ، إذا برائحة دخان تُنبئُ بأن شيئاً ما يحترق .. وكانت بعض المضيفات يجرين في ممرات الطائرة ، كأنهن يبحثن عن أدوات لمنع الكارثة ، وقد اختفت تلك الابتسامات الوظيفية المصطنعة التي كُنَّ يرسمنها على وجوههن .. وبدأت رائحة الدخان تتزايد ، وصرخات النساء تتعالى ، كما كثرت الأصوات وتداخلت بحيث لم يُعدُّ أحد يفهم منها شيئاً .. وأيقنتُ أنَّها الكارثة .. النهاية لا محالة قادمة!!.. بينما لم أشعر بما انتابني منذ قليل من خوف وهلع ، إنما شعرتُ بهدوء غريب ، وأحاسيس متداخلة ومتباينة .. منها إحساس بالندم على ما فاتني من تقصير في حق الله ، أو في حق أحد من عباده ، وإحساس بالرغبة في التصرَّع إلى الله أن يغفر لي ما بدر مني من زلات . وبدأتُ أتذكر بعض الأعمال الطيبة التي

وفقني الله لأدائها ، وكأني أدعو الله بحق هذه الأعمال الخيرة أن يغفر لي .. وانتابني إحساس بالاستسلام لأمر الله .. وبدأ الدخان يظهر أمامي ويزداد شيئاً فشيئاً ، حتى أنني لم أعُدْ أرى من الركاب أحداً من كثافة الدخان .. وبدأتُ أرددُ الشهادتين ، استعداداً للقاء الله !!.. ثم بدأ صوت الطائرة يعلو بشكل كبير حتى تضاءلتُ معه أصوات الركاب المذعورين الذين يواجهون النهاية !!..

وبدأتُ تخترقُ أذنيَّ أصوات فرقعات على فترات مختلفة ، وأزيز الطائرة .. وصرخات المذعورين ، ثم بدأتُ أشعر باختناق ، ولم أستطع إلا أن أقول : أشهدُ إلاَّ إله إلاَّ الله وأن محمداً رسول الله .. اللهم إني تركتُ في رعايتك زوجتي وأولادي ، فالطف بهم وخفف عنهم .. وظللتُ أرددُ كلمة " يا لطيف يا لطيف " .. وما هي إلاَّ لحظات ، ولم أشعرُ بشيء ولا أدري ما حدث بعد ذلك ، ولا كم من الوقت مضى قبل أن أفتح عينيَّ لأرى نفسي في مكان آخر غير مقعد الطائرة !!..

وجدتُ نفسي مستلقياً على سرير ، وأحسستُ بمن يلمس ذراعي ويهزه بهدوء ، ويناديني قائلاً : بابا .. بابا .. حسام على التليفون ، ويريد أن يكلمك .. فقلتُ في نفسي : كيف عرَفَ بالحادثة؟! .. ومتى وكيف جئتُ إلى هنا؟! .. فقال نجلي الطيب : هل نسيتَ يا بابا؟! .. أنت هنا منذ شهر تقريباً .. فقلتُ في نفسي : وماذا حدث للطائرة؟! ، وما مدى إصابتي؟! .. وماذا حدث للآنسة نوال؟! .. وكم من الركاب نجَّوا معي؟! ..

وإذا بنجلي الطيب يقول : بابا ، حسام على التليفون .. وبدأتُ أدقُّ النظر فيما حولي .. فوجدتُ أنني لستُ في مستشفى ، فأيقنتُ أن إصابتي ليست خطيرة .. وسمعتُ صوتاً صغيراً يناديني : جدُّو .. جدُّو .. " قُمْ يا جدو لتلعب معي " .. وإذا به

صوت حفيدتي الغالية " إيمان " ابنة مجلي الطيب .. وبدأت أتحسس جسدي لأعرف  
إصابتي .. وكنت أدعو الله في نفسي ألا تكون الإصابة خطيرة !!..  
وتقدّم مجلي الطيب ، وأعانني على الاعتدال في السرير .. وكم سررتُ حين  
رأيتُ ساقِي يتحرّكان ، وكذلك رأيتُ الذراعين !!.. وقلت : الحمد لله رب العالمين .

وإذا بنجلي الطيب يقول : لقد فاتتك فرصة مشاهدة ذلك الفيلم عن الحرب  
العالمية الثانية .. وشيئا فشيئا بدأتُ أفيق .. ورأيتُ أمامي بعض الدخان ، وقبل أن  
أسأل عن مصدره ، أدركتُ أنه دخان بخور ، والتفتُ حولي .. ورحتُ أتذكرُ شيئا  
فشيئا .. وأدركتُ أخيرا أن ما حدث في الطائرة لم يكن إلا مجرد حُلْم مُزعج ، وأني لم  
أعرض لكارثة الطائرة .. فلم تكن هناك كارثة ، ولا طائرة ، ولا حتى .. مطبات في  
الهواء !!..

## صَنَعَهُ .. وَاللَّا خُلُوًّا بَالُ؟! ..

الحاج عبد الله ، أو أبو أحمد كما يناديه أهل الحِمِّي ، من أمهر الحرفيين في تجارة الزجاج وتشكيله وتقطيعه ، وتكوين الأشكال الفنية الرائعة من قطع الزجاج الملون .. وهو يمارس هذه المهنة منذ كان صبياً في الحادية عشرة من عمره .. وورث هذا الفن عن جده وعن أبيه الذي تولى أمر المحل بعد وفاة الجد .. وقد تعلم الحاج عبد الله هذا الفن وأتقنه عن أبيه .. وبعد وفاة أبيه ، تولى هو أمر المحل .. ومع الأيام ، كان عشقه لهذا الفن يزداد حتى أصبح من أشهر العاملين في هذا المجال .. وقد اعتاد الحاج عبد الله أن " يُدَلِّدِن " بالغناء أثناء تقطيع الزجاج، وعمل البراويز وتكوين التشكيلات المزخرفة من قطع الزجاج الملون الذي كان ينشر انعكاسات الأضواء الملونة كلما حرك تلك البراويز والتشكيلات التي يصنعها ..

وكان من عادة أهل الحِمِّي من السكّان أو أصحاب المحلات المجاورة ، أن يجيى بعضهم بعضاً .. ومن بين هؤلاء كان " الأسطى سالم " النجّار ، الذي كان محله يقرب من ورشة الحاج عبد الله .. وقد اعتاد الأسطى سالم كلما مرّ أمام محل الحاج عبد الله ، أن يجييه قائلاً : صباح الفن على أهل الفن .. فيجيب الحاج عبد الله قائلاً : صباح الرضى على أهل الرضى !! .. ثم يواصل أداء المواويل، وهو يشعر بالنشوة والسعادة . وذات صباح ، أقبل الأسطى سالم على الحاج عبد الله ، وهو يؤدّي عمله ، وكانت أمامه لوحة كبيرة يشكّلها من قطع الزجاج الملون ، وكان يبدو عليه الاهتمام الزائد لدرجة أنه كان يقطع أداء الموال في بعض اللحظات لكي يركّز اهتمامه في اللوحة التي أمامه ، ثم يستأنف غناء الموال .. ولما رأى الأسطى سالمُ صديقَه الحاج عبد الله مشغولاً بما في يديه ، قال له : صباح الفن على أهل الفن والموال !! .. جرى إليه يا حاج عبد الله .. بتقطع الموال ليه النهاردة؟! .. فقال الحاج عبد الله : أبداً يا أسطى سالم .. أصل الحجة اللي قدامي فيها شوية شغل معقد حبتين .. فقال الأسطى

سالم : وهو من إمتى بتصعب عليك حاجد في الشعل " إوعى تكون عجزت يا بو أحمد والمهارة قلت في إيدك . فقال الحاج أحمد : فسر دنا لسه في عز شبابي ، والمهارة في إيدي عمرها ما تقل أبدًا . عيب .. داحا أصحاب الصنعة !! .. فاقترب منه الأسطى سالم ، ونظر إلى اللوحة التي يشكّلها الحاج أحمد ، فكانت مثالاً للجمال والدقة في الصنع .. فقال الأسطى سالم : ما شاء الله ، ما شاء الله !! .. اللهم صلّ على النبي !! .. تسلم إيدك يا بو أحمد .. ثم قال : إلا قوللي يا بو أحمد ، يا ترى !! المهارة دي ، السر فيها .. صنعة واللا خلوّ بال ؟!! .. فقال أبو أحمد : طبعا صنعة .. فردّ الأسطى سالم : ما قلناش حاجة ، بس الصنعة محتاجة خلوّ بال .. وإلا اتلحبط الشغل . فقال أبو أحمد : خلوّ بال مين وبتاع مين يا عم !! الصنعة هي الأساس يا اسطى !! .. آل خلوّ بال آل !! ..

فقال الأسطى سالم : طيب يا عم ، الله يعينك .. أسيبك أنا بقى للصنعة ، وأروح الورشة ، سلام يا بو أحمد .

فيقول الحاج أحمد : سلام يا خويا .. وابقى سلّم لي على خلوّ بالك .. ويضحك ويقول ساخرًا : آل خلوّ بال آل !! .. ثم يستأنف عمله وهو يغني ويقول : الفن مدرسة وفيها تتعلم .. والشغل دا هندسة والصنعة تتكلم .. وقد ترامت هذه الكلمات إلى مسامع الأسطى سالم ، الذي أنصت إليها باهتمام ، ثم هزّ رأسه متعجبًا !! ..

ومرّت إحدى سيدات الحيّ من الشابات ، وقالت : صباح الفل يا بو أحمد .. فأجاب أبو أحمد : صباح الفل والياسمين ، والخير على الحلوين !! .. ويأتي بائع العرقسوس ، الذي يُغلن عن وصوله بصوت " صاجاته " الصفراء ، ثم يقول : الخمير الشفا .. يقرب الحبيب ويمنع الجفا . والفلوس قبل العرقسوس ، واللي مامعشوش مايشربوش ، واللي ما يشربوش ما يعرفوش ، واللي ما يعرفوش ، يبقوا ما يستاهلوش ، وبقوا زيّ كليتون أو ريّ بوش !!

ويتجمع حول بائع العرقسوس الكبار والصغار ، وهم يضحكون .. ويصب لهم  
ويعمل الأكواب .. ثم يقول للحاج أحمد : السلام عليكم يا أبو أحمد .. صباح الخير  
والفن .. العرقسوس يبصّح .. فيردّ الحاج أحمد ووجهه مشرق باخسامة : وعليكم  
السلام يا أمير .. صبّ وهات الخمير .. فيأتي إليه بائع العرقسوس ويعطيه الكوب ..  
وأثناء ذلك يمرّ المعلّم حنفي الجزّار ، فيحيّي الحاج عبد الله قائلاً : صباح الخير على  
عمدة الفن والصنعة ..

فيردّ أبو أحمد : أهلاً بسيد المعلمين وعمدة الجزّارين .. تعالى يا معلّم حنفي ..

( ويخاطب بائع العرقسوس ) : صبّ يا واد الخمير ، للمعلّم حنفي الأمير .

فيقول المعلّم حنفي : تسلّم يا بو الكرم ، يا أبو أحمد يا محترم . ( ويشرب العرقسوس )  
ويقول : دائماً سابقنا بخيرك يا أبو أحمد !! ..

فيقول أبو أحمد : استغفر الله ، دا كله من خيرك وجمالك اللي مغرّفانا يا معلّم حنفي .  
فيردّ المعلّم حنفي : العفو يا خويا ، مافيش بين الحبايب جمال ولا حاجة ، ربنا يديم  
المعروف .

يقول أبو أحمد : أمّا الحتّة اللي قطعناها لنا امبارح ، كانت زيّ اللور .. والوليّة ام أحمد  
بقت تدعيلك ، وتقول : أهي دي اللحمة واللاّ بلاش .. دي ماستحملتش غلوة على  
النار .. وبقينا ناكل منها ونقول : تسلّم إيدك يا معلّم حنفي !! ..

ويقول المعلّم حنفي وهو يبتسم : بالهنا والشفا ، يا جار الهنا .. وبعد أن شرب  
العرقسوس ، استأذن قائلاً : بالإذن بقى يا أبو أحمد ، أمّا أوصل لحد الدكان .  
يقول أبو أحمد : مع السلامة يا خويا ، في أمان الله ..

ويحاسب أبو أحمد بائع العرقسوس ثم يقول له : روح صبّ شوية عرقسوس  
للاسطي سالم .

ويقول البائع : ماهو شرب .

فيقول أبو أحمد : وماله ، صبّ له تاني .

ينصرف بائع العرقسوس ، ويستأنف الحاج عبد الله ' أبو أحمد " العمل في اللوحة الكبيرة ، وهو يغني .. وكان من عادته أن يُغلق المحل الساعة الثانية بعد الظهر ، ويذهب إلى بيته للغداء ، ثم يعود للمحل الساعة الرابعة مساء .

وذات يوم ، أغلق المحل كعادته ، وذهب إلى البيت ليتناول الغداء .. وعندما طرق باب شقته ، تأخرت زوجته قليلاً حيث كانت مشغولة في المطبخ .. ولما فتحت له الباب قال لها : جرى إيه يا أم أحمد ، سايباني واقف على الباب المدة دي كلها؟! .. فقالت : معلش يا خويا .. أصلي كنت في المطبخ وإيدي مش فاضية .. ويادوب ، على ما غسلت إيدي وجيت على طول .

ودخل أبو أحمد إلى الصلاة ، فوجد على منضدة السفرة كمية كبيرة من التفاح والموز والبرتقال ، فدهشَ لوجود هذه الفواكه وبهذه الكمية .. وكانت أم أحمد قد ذهبت إلى المطبخ ، لتواصل إعداد الطعام .. بينما جلس أبو أحمد شاردًا .. وبعد قليل قام منتفضًا ، وآثار الغضب أقطبت جبينه ، وصاح بأعلى صوته : أم أحمد ، فجاءت تجري ، وبمجرد أن رآته وقد ملأه الغضب ، واتسعت عيناه وكأنهما مملوءتان بالشرر.. فارتعدت أوصالها وارتجفت بدنها ، وتملكتها قشعريرة الخوف والرعب ، وقالت : نعم؟! .. فإذا به يقول في غضب شديد: مين اللي جاب الفاكهة دي !!؟؟ .. وضرب بيده على الفاكهة التي سقط بعضها على الأرض ..

فقالت أم أحمد : اسم الله عليك يا بو أحمد !! إنت يا خويا اللي بعثتها مع الواد .. فاشتط غضبه أكثر وقال : واد مين يا وليّة؟! .. أما مابعتش حاجة مع حد؟! .. قالت أم أحمد ( وقد ازدادت خوفًا ورعبًا ) : الواد اللي جنبها وجاب معاه اللحمة والخضار ، وقال لي إن أبو أحمد باع الحجات دي ويقولك وضيبها على الغدا عشان حبيجي ومعاه ضيوف .

فصاح أبو أحمد غاضبًا : وكم ان لحمة وخضار ؟!!.. إنت يا ولية حتجنيني ؟!!.. أنا بقولك ما بعش حاجة مع حد .. ثم أمسك بتلابيبها ، وكاد يخنقها وهو يقول في ثورة غضبه : أنا لازم اعرف الحاجات دي جبتها مين !!..

فقالت : إنت يا خويا اللي بعثها مع الواد .

فيقول : إنت لسه بتقولي أنا اللي بعثها ؟!!.. وأمسك بها وراح يضربها في قسوة ، وبلا وعي وهو يقول : أنا ما بعثت حاجة ، ما بعثت حاجة .. ووقعت أم أحمد على الأرض منهارة وهي تقول : إخص عليك يا بو أحمد .. إخص عليك !!..

وهنا دخل ابنهما أحمد ، وهو شاب في العشرين من العمر ، وأسرع إلى أمه وهو يبعدها عن طريق أبيه ، وقد عقدت الدهشة لسانه .. فإنها المرة الأولى التي يرى فيها أباه وهو يضرب أمه ، تلك السيدة الطيبة التي تحترم زوجها ، ولا تعصي له أمرًا .. وقال لأبيه مستنكرًا ما حدث : إيه بابا ؟ إيه اللي حصل ؟!!.. دنا عمري ما شفتك غضبان بالشكل ده !!.. وعمري ما شفتك مذيت إيدك على أمي .. إيه اللي حصل عشان تعمل ده كله ؟!!..

وكان هذه الكلمات قد أيقظت الرجل من كابوس رهيب .. ووقف أبو أحمد مشدوهًا لا يدري ماذا فعل !!.. وأخذه ابنه أحمد بهدوء وقال له : هذي نفسك ووحد الله ، وصل على النبي .. اقعد وروق .. وخلينا نتفاهم بالعقل .. معقول إنت أبو أحمد ، اللي كل الناس بتكلم عن طبعك الهادي ، ومزاجك الرايق ؟!!.. قوللي بقى .. إيه اللي ضايقتك وخلأك تخرج عن وعيك ، وتضرب أم أحمد ، اللي طول عمرها بتحترمك وبتنفذ أوامرك ، وعمرها ما عارضتك في حاجة قلتها أبدًا ؟!!..

كل هذا وأبو أحمد شارد بفكره ، وتكاد الهواجس تفتك بعقله .. ويضرب الرجل كفاً بكف ويقول : استغفر الله العظيم من كل ذنب عظيم .. ويكرّر هذا بين الحين والحين .. فاضطر الابن أن يخاطب أمه قائلاً : إيه اللي حصل يا أمي ؟!!..

وحاولت الأم أن تكف عن البكاء ، وقالت لابنها . ما عرفش يابني .. فيه واد حه وجاب فاكهة ولحمة وخضار ، وقاللي إن أبو أحمد بيقولك وضبي الغدا عشان فيه ضيوف حيتغدوا معنا .. ولما وصل أبوك بيقول إنه ما بعش حاجة .. وبيقوللي مين اللي جاب الحاجات دي ؟ أنا ذنبي إيه بقى، يضربني بعد العمر الطويل ده ؟!..إيه الغلط اللي انا عملته عشان يضربني بالشكل ده ؟!..

فرّبت أحمد على ظهر أمه وهدأ من غضبها وقال لها : اصبري يا أمي لما يهدأ أبويا ونشوف إيه الحكاية .. واستدار أحمد إلى ناحية أبيه وقال له : وحد الله يا بو أحمد وصل على النبي ، وافتكر كويس مش يمكن إنت اللي بعث الحاجات دي وناسي ؟!.. فصاح أبوه غاضباً : إنت بتقول إيه يابني ؟!.. هو أنا مسطول للدرجة دي ؟!.. بقى معقول ابعت تفاح وموز وبرتقال ولحمة وخضار .. كل ده وانا ناسي ؟!.. لا حول ولا قوة إلا بالله !!..

وظل الحاج عبد الله يضرب كفاً بكف ، ثم يقوم ويتوجه إلى حجرة النوم وهو يقول : يا لطيف الألف ، الطف بعقلي يا رب !!.. ويدخل الحجرة ويغلقها خلفه بشدة .. بينما يجلس أحمد وأمه حائرين لا يدرين تفسيراً لما حدث .. ويقول أحمد لنفسه : إذا كان أبويا ما بعش الحاجات دي .. أمال يبقى مين اللي بعثها ، ويقصد إيه من كده ؟!..

وتدخل أم أحمد المطبخ ، وتعود بأطباق الطعام وتضعها على المائدة ، وتطلب من أحمد أن يستدعي أباه لتناول الغداء .. ويطرق أحمد الباب منادياً أباه : تعالى يا بابا ، الغدا جاهز .. ويخرج أبو أحمد والغضب مازال بادياً على وجهه ويقول : وكمان عاوزيني آكل من الأكل اللي لا بعته ولا اعرف مين اللي بعته !!..

فقال أحمد مهدئاً : طيب بلاش تاكل منه .. كل أي حاجة خفيفة من اللي في البيت . فقال أبو أحمد : قسماً بالله ، ما أدوق أي حاجة في البيت ده إلا لما اعرف مين اللي بعث الحاجات دي . ثم خرج من الشقة غاضباً وذهب إلى الورشة حيث فتحها

وجلس على كرسى ، ووضع رأسه على يده مستغرقاً في التفكير ، وبين الحين والحين ، يضرب كفّاً بكف ، وينفخ ويقول : لا حول ولا قوّة إلاّ بالله ، ويشير بيديه وكأنه يحدث نفسه .. وتمرّ إحدى السيدات وتقول : السلام عليكم يا أبو أحمد .. فلا يجيب ، لأنه لم يسمعها لكثرة ما يشغله من الفكر ، فتندهش السيدة وتنصرف لحالها .. وبعد قليل يمرّ المعلّم حنفي ، ويرى الحاج عبد الله وقد عاد إلى الخل قب موعده المعتاد ، ويراه وهو جالس مستغرقاً في التفكير ورأسه على يده ، فيقول المعلّم حنفي : الله .. إيه اللي جابك بدرى النهارده يا بو أحمد ، يعني مش عادتك؟! .. فلا يجيب أبو أحمد .. فيقترب منه المعلّم حنفي ويقول : إيه يا بو أحمد .. خير ياخويا مالك .. فيه إيه؟! .. ولكن الرجل لا يجيب ، فهو لم يشعر بوجود المعلّم حنفي .. فيقترب منه المعلّم حنفي ، ويضع يده على كتفه ويقول : إيه يا عم .. إنت مش معانا واللاً إيه؟! .. فينتبه أبو أحمد ، وينظر إلى المعلّم حنفي ويقول : نعم ، خير .. فيه إيه؟! ..

فيقول المعلّم حنفي : ياه!! .. كل ده وماسعتيش .. دنا بقى لي مدّة بكلمك وانت ، ولا انت هنا!! .. إيه يا أبو أحمد .. فيه إيه ياخويا كفى الله الشر؟! .. وغوّشّني!! .. فيقول أبو أحمد : والله مشغول شوية يا معلّم حنفي .

فيقول المعلّم حنفي : مشغول؟! .. وإيه اللي يشغلك ، لا سمح الله ، ويخلّيك سرحان خالص بالشكل ده؟! .. محتاج فلوس ياخويا؟! .. أنا تحت أمرك ( ويُخرِجُ محفظته ) اطلب ياخويا اللي انت عاوزه ولا يهّمك .. احنا طول عمرنا جيران واخوات وحبائب ، وما فيش فرق بين الاخوات وبعضها .. وانت طول عمرك راجل جدّغ وصاحب واجب وكلّك معروف .

يمدّ أبو أحمد يده معترضاً على إخراج المحفظة ويقول : كتر خيرك يا معلّم حنفي .. المسألة مش مسألة فلوس ، وخير ربنا موجود والحمد لله ، المسألة حاجة تانية خالص ، مش حاقدرا أحكيها لك دلوقت .

فيقول المعلم حنفي : طيب على أي حال ، أنا حاسبيك دلوقت شوية لما تروق ،  
وبعدين أجيلك نتكلم ثاني .. بس أحب اقولك ، مفيش حاجة في الدنيا دي تستاهل  
إنك تشيل همّ وتخط إيدك على خدك ، وتضيع الضحكة الحلوة اللي بنشوفها على  
وشك كل يوم .. دوس على الدنيا ، وارمي همومك ورا ظهرك ، وسلمها لله .. ربنا  
مايخرمناش من مواويلك الحلوة ، اللي بتشجينا .. قوم يا أبو أحمد .. قوم .. سمي وصلي  
على النبي ، وشوف شغلك .. يمكن الشغل يروق بالك !!..

ويقوم الحاج عبد الله ويقول : عندك حق .. ( وينصرف المعلم حنفي ) ، ويمسك أبو  
أحمد بأدوات العمل ، كالأزميل والشاكوش الصغير ، ويبدأ العمل ويدق على قطعة  
كبيرة من الزجاج فتكسر ، وتتحوّل إلى قطع متناثرة ، فترتد يده ، وتعتبره دهشة  
كبيرة ، ويقول في نفسه : إيه ده ؟!.. دي أول مرة تحصل !!.. ويأتي بقطعة أخرى ،  
ويدق عليها فتكسر وتتحوّل إلى قطع غير متساوية ، فيشتد غضبه ، وتتضاعف  
دهشته ، ويُلقِي بالأزميل على الأرض في غضب ، ويقول : إيه اللي بيحصل ده ؟!..  
أنا جرى لي إيه ؟!.. ويجلس على الكرسي في شبه انهيار ويأس ودهشة ، وبعد قليل  
يأتي الأسطى سالم النجار ، ويُلقِي السلام على الحاج عبد الله ، فلا يجيب .. فيقترب  
منه فيراه شارداً ، كما يرى قطع الزجاج المتناثرة على الأرض ، وكذلك الأزميل  
والشاكوش ، بينما أبو أحمد يضع رأسه على ذراع الذي يستند على حرف منصدة  
الزجاج .. فينحني الأسطى سالم ويلتقط الأزميل والشاكوش ويضعهما على المنصدة ،  
ويربت على كتف الحاج عبد الله ، ويقول له : إيه يا أبو أحمد .. خير .. مالك كفى  
الله الشر ؟!.. فيرفع أبو أحمد رأسه ، فإذا بعينه تنزل منهما الدموع ، وينظر نظرة  
كأنه حائر لا يدري أين هو ، ولا ماذا يحدث !!..

فيقول الأسطى سالم : الله الله .. إنت بتبكي يا أبو أحمد ؟!.. إيه اللي جرى .. وإيه  
الزجاج المكسور دا كله ؟!..

فيقول أبو أحمد : مش عارف ياسطى سالم إيه اللي جرى لي . إيدي بترعرش ، ومش قادر اتحكّم في الشاكوش والأزميل !!.. كل ما أدقّ ينكسر الزجاج ويتفتت زيّ مانت شايف كده !!..

فيقول الأسطى سالم : غريبة !!.. الحكاية دي ماحصلتش معاك قبل كده !!..

فيسارع أبو أحمد ويقول : أبداً والله ياخويا .. عمرها ما حصلت !!..

فيقول الأسطى سالم : يكونش بالك مشغول حبتين واللاً ما أخذتش راحتك من النوم كويس ؟!..

فيقول أبو أحمد : أيوه ، أنا مشغول شوية .

يقول الأسطى سالم : أيوه ، بس انت طول عمرك أسطى في الصنعة !!..

فيقول أبو أحمد : أيوه .. بس الصنعة برضه عاوزه البال الرايق .

فيردّ الأسطى سالم : الله الله .. ما هو ده اللي كنت باقولهولك " صنعة واللاً خلوّ بال "

تقوللي صنعة .. عرفت بقى إن خلوّ البال ضروري عشان نتقن الصنعة ؟!..

فيقول أبو أحمد : عندك حق .

الأسطى سالم : يعني اعترفت دلوقت ؟..

أبو أحمد : أيوه .

الأسطى سالم : طيب روق بقى يا عمّ .

أبو أحمد : منين حييجيني روقان البال ؟!..

الأسطى سالم : أنا اللي حرّوق لك بالك ..

أبو أحمد : ياريت ياسطى سالم !!..

الأسطى سالم : بس على شرط .. تدفع اللي اطلبه منك .

أبو أحمد : دنا ادليلك رقبتي .

الأسطى سالم : لا يا عمّ .. أما مش عوز رقبتك .. أنا عاوز ثمن التفاح والموز

والبرتقال اللي بعتّهولك البيت .

فيصرخ أبو أحمد ويقول : بتقول إيه ؟! .. هوَ اب اللي ..

فيقاطعهُ الأسطى سالم ويقول : أيوه أنا اللي بَعَتَ الفاكهة واللحمة والخضار كمان ..  
بس اللحمة والخضار على حسابي .. وأنا اللي حاكون من الضيوف اللي حيتغدوا  
معاك ..

فيقول أبو أحمد ( وقد ارتاح باله ) : الله يخرب بيت شيطانك !!.. يا راجل ، دي  
عَمَلُهُ تَعْمَلُهَا ؟!

طيرت برج من دماغي .. وختلني ضربت أم أحمد لأول مرة في حياتي !! ..  
الأسطى سالم : أعمل لك إيه ؟ ماانا كل ما أسألك " صنعة واللاَ خلوَ بال " تقوللي  
صنعة .. فحييت أديلك درس .. عشان تعرف إن خلوَ البال لا بد منه ، عشان نتقن  
الصنعة !!..

أبو أحمد : عندك حق .. يا خبر أبيض !!.. دلوقت بس ارتاح بالي .. ولازم تيجي  
تتغدى معانا ، وبالمرّة ، نصالح أم أحمد ( ويبدأ أبو أحمد في إغلاق الخل ) ، ثم يأخذ معه  
الأسطى سالم في طريقهما إلى البيت ، وينادي وهو يصعد السلم : أم أحمد ، أم أحمد ..  
فتخرج أم أحمد من باب الشقة ، ومعها ابها أحمد ، فتنظر إلى السلم فترى الحاج عبد  
الله ، ومعهُ الأسطى سالم .

فيقول لها أبو أحمد ، وهو يتسم : الضيوف جُمُ معايا .. ياللاَ جهزي الغدا ..  
فينظر أحمد وأمه إلى بعضهما مندهشَيْن .. ويدخل أبو أحمد ومعهُ الأسطى سالم ،  
الذي يقول لأم أحمد : سامحيني يا أم أحمد ، أنا اللي بَعَتَ الفاكهة واللحمة والخضار ..  
عشان أشغَلُ باله ، واشوف حيعمل إيه بالصنعة مع انشغال البال ، ومعلش يا ست ،  
حقك عليّ .. امسحيتها في أنا .

ونظر أبو أحمد إلى زوجته في خجل وقال : معلش يا أم أحمد ، سامحيني .. أنا  
غلطان .. وعشان أراضيكى اعلمي حسابك ، حنزل بكره إن شاء الله حي الصاغة ،  
وتنقى لك ثلاث غوايش على مزاجك .. ومن أول الأسبوع الحاي ، من غير مقاطعة

نسألر رأس البر ، نقضي لنا فيها أسبوعين ، عشان أصلحك .. هيه .. ساحتيني يا أم أحمد؟؟ ..

قالت أم أحمد : هوّ انا أقدر ما سماكش يا بو أحمد؟! .. ( وضحك الجميع ) .

وبعد تناول الغداء ، وأثناء تناول الفاكهة ، قال الأسطى سالم :

هيه يا بو أحمد .. صنعة واللاً خلوّ بال ؟..

فصاح أبو أحمد : خلوّ بال يا عمّ .. خلوّ بال .. ربنا ينعم علينا جميعًا بخلوّ البال !! ..

## ابنُ العمدة

كان لكتاب القرية في الزمن الماضي دور كبير في تعليم الأطفال وتربيتهم وتشكيل شخصياتهم ، والتحكّم في بعض عاداتهم وتقاليدهم وأمّاط سلوكياتهم .. وكان من عادة أهل الريف أن يرسلوا أطفالهم إلى كتاب القرية منذ حداثة سنهم ، ليتعلموا القراءة والكتابة ، وليحفظوا القرآن الكريم .. وكان شيخ الكتاب يحظى باحترام كبير من أولياء أمور الأطفال الذين يعلمهم الشيخ .. ورغم أن الأطفال كانوا يتسابقون في حفظ آيات القرآن الكريم .. إلا أنهم كانوا يرهبون الشيخ ويخافون قسوته ، فإن عصاه الطويلة تلهب أجسادهم بكل قسوة إذا ما تكاسل أحدهم في الحفظ أو أداء الواجب ، أو إذا ما أتى أحدهم عملاً يخالف أوامر وتعليمات الشيخ الذي كان الجميع ينادونه بلقب " سيدنا " .. أما أولياء الأمور وأهالي القرية فكانوا ينادونه بلقب " مولانا " .

وكان لسيدنا أو مولانا من المهابة والاحترام ما يجعل الناس تترجّل عن ركاتهم إذا ما مرّوا به ، وإذا دخل على مجلس من المجالس كان يسارع الجميع بالوقوف إجلالاً واحتراماً له .. وكثيراً ما كان عمدة القرية وكبار رجالها يطلبون رأيه في المشاكل التي تعرض لهم .. وذات يوم حضر ابن العمدة إلى الكتاب متأخراً ، وكان تلميذاً من تلاميذ الكتاب .. فأمره الشيخ بالوقوف ووجهه للحائط حوالي ربع الساعة ، ثم سمح له بالجلوس .. وكان ابن العمدة لا يتجاوز الثامنة من العمر ، وكان يتفاخر أمام زملائه بأنه ابن العمدة .. ولما جلس ، وجد الطفل الذي يجلس بجواره يضحك ويحاول أن يكتّم ضحكه حتى لا يسمعه " سيدنا " وكان اسمه " حسن " فنظر ابن العمدة إلى حسن وقال له : لماذا تضحك ؟ .. هل تسخر منّي ؟ فلم يردّ زميله .. فبادره ابن العمدة بلكمة خفيفة على ظهره قائلاً له : " طيّب ، والله العظيم ما انا عاتقك عن

الضرب ، بس لما نخرج من الكتاب" ، وهنا يبدو أن الشيخ قد سمع صوت همهمة ، فقال في غضب : مين اللي بيتكلم هناك ؟

فلم يُجِبْ أحد ، فسأل مرةً أخرى : أنا قلت مين اللي بيتكلم هناك ؟ فوقف حسن خائفاً وقال : أحمد اللي اتكلم ياسيدنا ، فقال الشيخ مخاطباً أحمد : بتكلم ليه يا أحمد ؟ قال أحمد خائفاً : لا يا سيدنا .. أنا ماتكلمتش ، دا حسن هو اللي اتكلم .

فقال الشيخ : تعال هنا انت وهو .. فخرج حسن من مقعده وذهب إلى مكان الشيخ بينما تباطأ أحمد ابن العمدة .. فإذا بالشيخ يضربه بعصاه الطويلة ضربة واحدة قائلاً : إنت لسه في مكانك .. ماسمعتيش وانا باقول ، تعال هنا انت وهو ؟ ..

فأسرع أحمد وترك مكانه ، وذهب إلى موقع الشيخ ، وهو يتحسس مكان ضربة العصا على جسده ، ويقطب جبينه من الغضب .. فبادر الشيخ بسؤال حسن قائلاً :

قول يا حسن ، أنا أعرف إنك ما بتكذبش أبداً .. إيه اللي حصل ؟

فظر حسن إلى أحمد ، الذي كانت نظراته تتوَعَدُه ، وكأنه يقول لحسن : إياك أن تقول الحقيقة .

وكان حسن يشعر بالخوف من أحمد ، وإذا بالشيخ يزعم فيه ويقول : إنت ساكت ليه يا حسن ؟ .. اتكلم .. فارتعد حسن خوفاً من الشيخ .. ولم يجد بداً من قول الحقيقة ، وذكر حسن للشيخ تهديد أحمد له بعد الخروج من الكتاب .. فنظر الشيخ إلى أحمد الذي ارتعدت فرائصه ، وبدا علي وجهه الخوف ، وقال : لا يا سيدنا ، ماتصدقش حسن .. دا كذاب .

فقام الشيخ وقال لأحمد : إخرس يا كلب .. إنت اللي كذاب .. أنا عارف حسن كويس .. عمره ما يكذب .. وهوى الشيخ بالعصا على ظهر أحمد ، وقال له :

إنت عامل لي فيها ابن عمدة ؟ .. أنا هنا مفيش عندي ابن عمدة وابن غفير .

ثار أحمد وهو يتحسس مكان ضربة العصا على ظهره ، وقال للشيخ : ما تضربنيش .. والله لو ضربتني تاني ، لازم أقول لابويا العمدة . فقام الشيخ غاضباً ، وانهمال على

أحمد ضرباً بالعصا على أماكن متفرقة من جسده ، بينما كان أحمد يصرخ ويتوجع من شدة الألم .. ثم استطاع أحمد أن يفلت من عصا الشيخ ، ويسرع خارجاً من الكتاب وهو يقول : والله لأقول لابويا العمدة ، واخليه يضربك زي ما ضربيني ..

قالها بسذاجة .. لأنه كثيراً ما رأى أباه العمدة ، وهو ينهر بعض الرجال ، وقد يضرب بعضهم إذا ارتكبوا بعض الأخطاء ، فظن أحمد الطفل بفكره الطفولي الساذج أن أباه العمدة يمكن أن يتعامل مع الشيخ كما يتعامل مع غيره من أهالي القرية .

ظل أحمد يجري ويسرع في الجري حتى وصل إلى دار أبيه العمدة ، وتعمد أن يشتد بكأوه أمام أبيه الذي كان يجلس مع بعض الأهالي ، وإلى جواره شيخ البلد ، بينما كان يقف بعض الخفراء حاملين البنادق .. فسأل العمدة ابنه : إيه ، مالك ؟ بتبكي ليه ؟ .. فقال أحمد ( وهو مازال يتحسس مكان الضرب ويكي ليستدرّ عطف أبيه . فيثار له من الشيخ الذي ضربه ) : سيدنا ضربيني بالعصا هنا وهنا وهنا ، وهو يشير إلى أماكن متفرقة من جسده ، ويشتد في بكائه .

فقال العمدة : ليه ، إنت عملت إيه ؟ .. لازم عملت حاجة غلط .. فقال أحمد : لأ ، ماعملتش حاجة .. دا الواد حسن أبو متولي اللي قاعد جاري قال لسيدنا إن أنا اتكلمت .. فقال العمدة : طيب ، وانت اتكلمت واللا لأ ؟ فطاطأ أحمد رأسه ونظر إلى الأرض خجلاً ، ثم قال : أصل الواد حسن أبو متولي كان بيضحك عليّ ، فضربته على ظهره وقلت له حاوريك لما نخرج من الكتاب . فابتسم الحاضرون ، وقال العمدة لابنه : عشان كده ضربك " مولانا " ؟ فقال أحمد : أيوه .. ولازم تيجي معايا بكره الصبح ، وتضربه زي ما ضربيني .. هو مش عارف إن أنا ابن العمدة واللا إيه ؟ ..

فنظر الحاضرون بعضهم إلى بعض وهم يتسمون ويتعجبون لسذاجة الطفل أحمد ، ثم نظروا جميعاً إلى العمدة منتظرين إجابته وكيف ستكون .. فإذا بالعمدة " وهو بغمز

بعينه للحاضرين" يقول لابنه : أبوه طبعًا ، انت ابن العمدة .. وأنا حاروح معاك الكتاب إن شاء الله بكره الصبح .

ابتسم أحمد عندما سمع إجابة أبيه ، وفرح لأن أباة سيواجه سيدنا ، وسينهرد ويؤنبه لضربه أحمد " ابن العمدة " .. وربما يضربه كما ضرب ابنه .. وحينئذ سيختال أحمد أمام زميله حسن ، وبقية الأطفال ، الذين يجب أن يعرفوا أن هناك فرقًا بين ابن العمدة وبين غيره من أطفال الكتاب .

وفي المساء ، وبعد صلاة العشاء في المسجد ، قابل العمدة شيخ الكتاب ، وجلسا معًا بعض الوقت ، وتحادثا معًا فيما حدث اليوم من أحمد في الكتاب ، واتفق العمدة مع الشيخ على أمر ما ، وعلى أن يلتقيا في الصباح إن شاء الله في الكتاب .

وفي صباح اليوم التالي ، نادى العمدة على ابنه أحمد الذي كان يتناول إفطاره ، وقال له : ياللاً يا أحمد ماتأخرش على الكتاب . فقال أحمد : إنت عش جاي معايا ؟ .. قال العمدة : طبعًا جاي معاك .. أقال إيه ! ..

وفرح أحمد لأن أباه العمدة سيذهب معه ، وسيردّ اعتباره عند سيدنا ، ويبيّن كرامته أمام زملائه من أطفال الكتاب ، ليعرفوا جميعًا أن ابن العمدة يتميز عليهم ، ولا يتساوى معهم .. وأنهى أحمد إفطاره ، وحمل الحقيبة المصنوعة من القماش ، والتي يضع فيها أدوات القراءة والكتابة والمصحف الشريف ، وخرج مع أبيه العمدة .. وكان يزهو وهو يسير مع أبيه ، وكأنه يقول لكل الناس في الطريق : أنا ابن العمدة .. أنا ابن العمدة .

ووصل العمدة وابنه أحمد إلى الكتاب ، ودخلا فوجدا الشيخ جالسًا يتصفح كتابًا .. فقال العمدة : السلام عليكم يا مولانا .. وردّ الشيخ السلام ، وهو جالس مكانه ، ولم يقم تحية للعمدة .. ووضع الكتب جانبًا ، وأمسك بالعصا وقال للعمدة : إيه اللي جابك يا عمدة .. عاوز حاجة ؟ . ثم نظر إلى الطفل أحمد الذي كان يمسك بيد أبيه ، وتبدو عليه الدهشة من أسلوب الشيخ في مخاطبة أبيه العمدة ، وكان أحمد

ينظر إلى الشيخ حينًا ثم إلى أبيه أخرى .. وإذا بالشيخ يقول لأحمد : إنت واقف عندك كده ليه يا ولد ؟! .. امشي ادخل جوّه .. فينظر الطفل أحمد إلى أبيه مستنجدًا .. ولكن العمدة يقول لابنه : ادخل يا أحمد وأنا حاتكلم مع سيدنا .. فيدخل أحمد متباطئًا وخائفًا . وهو لا يدري تفسيرًا لما يحدث أمامه .. وإذا بالشيخ يقرب من الطفل أحمد ويضربه على " قفاه " ويقول له : امشي التحرك .. إنت ماشي على قشر بيض !؟ .. فتزداد دهشة أحمد ، وينظر إلى أبيه مستنكرًا ، وكأنه يقول له : كيف تسكت وأنت تراه يضربني أمامك ؟! .. ويلتفت الشيخ إلى العمدة ويقول : هيه .. يعني ما قلتش يا عمدة عاوز إيه ، وإيه اللي جابك ؟ فيتقدم العمدة قليلا من الشيخ ويقول : إنت ضربت أحمد امبارح ليه يا سيدنا ؟! .. إنت مش عارف إنه ابن العمدة ؟! ..

عندئذ تنفرج أسارير الطفل أحمد ، وينظر إلى أبيه وهو يتسم ، فلقد آن الأوان ليثار له أبوه من الشيخ الذي ضربه وأهانته ، ونسي أنه ابن العمدة ونهض الشيخ من مقعده ، وأمسك بالعصا واقترب من العمدة ، وقال له : أبوه ضربه لأنه قليل الأدب وكذاب ويطهر إن انت ماعرفتش تربيّه كويّس .. ثم أشار إليه بالعصا وقال له : اقعد هنا .. فجلس العمدة حيث أشار الشيخ ، ثم قال سيدنا للعمدة : مدّ رجلك هنا ، وأشار إلى مكان ما على المقعد ، وأطاع العمدة أمر الشيخ ومدّ رجليه ، وصاح الشيخ قائلًا : هات الفلكه يا ولد .. فامتأ أحمد بالخوف والذعر ، وكان يختطف النظرات بين أبيه وبين الشيخ .. ورغم وجود عدد كبير من أطفال الكتاب ، إلا أن الشيخ صاح في وجه أحمد ابن العمدة وقال له : هات الفلكه يا ولد .. فلما علم أحمد أنه المقصود بالأمر ، أسرع بالجري إلى حجرة صغيرة في الكتاب ، ثم عاد وفي يده الفلكة وهو يرتجف ولا يدري ماذا سيصنع بها الشيخ .. والفلكة عبارة عن عصا غليظة ومربوط بها حبل توضع فيه رجلًا من يريد الشيخ عقابه .. ونظر الشيخ إلى العمدة نظرة غاضبة وقال له : حطّ رجلك في الفلكة .. فيقول العمدة : معلش يا سيدنا ..

سأخني .

يقول الشيخ : مفيش سماح . عشان تحرم تيجي هنا وتعرض على اللي أنا باعمله .  
يضع العمدة رجله في الفلحة ، ويرفع الشيخ العصا ، ويضرب العمدة على رجله  
خمس ضربات .. ويقول للعمدة : نزل رجلك .. قوم روح ، واوعى تكررها ثاني .  
فيقول العمدة : حاضر يا سيدنا .. خلاص حرمت .. ويخرج العمدة من الكتاب  
ودون أن ينظر حتى إلى ابنه الذي وقف مشدوها ومرعوبا مما رأى .. وبلغت الشيخ  
إلى أحمد ويقول له : اجلس يا بن ال .. عمدة .. ويجلس أحمد دون أن ينبس بكلمة .  
فإذا كان أبوه وهو عمدة القرية لم يستطع أن يقاوم بطش سيدنا ، ولم يستطع أن يدافع  
عن نفسه ، فكيف يستطيع أحمد بعد ذلك أن يعترض إن عاقبه الشيخ ؟ .  
ومنذ ذلك الوقت ، دأب أحمد على الحضور إلى الكتاب في الموعد المناسب ، ولم  
يتأخر يوما واحدا ، كما واطب على المدكرة وأداء الواجب والاجتهاد في حفظ  
القرآن الكريم ، وما أن بلغ سن العاشرة حتى كان قد حفظ القرآن كله .  
وبعد ذلك التحق أحمد بالمعهد الأزهرى الابتدائي ثم الثانوي ، وكان طالبا مثاليا ،  
ومثالا طيبا في احترام أساتذته ، وفي حُسن التعامل مع زملائه الطلاب ، ثم التحق بكلية  
أصول الدين ، واكتسب حب واحترام أساتذته وزملائه .. وتخرج بعد ذلك ، ونظرا  
لتفوقه فقد عُيِّنَ معيدا بالكلية ، ثم اجتهد في الدراسات العليا حيث حصل على  
الماجستير ثم الدكتوراة .. وتدرج في وظائف لكلية حتى أصبح عميدا للكلية .  
وذات مرة سأل أحد الطلاب في إحدى الندوات : مَنْ هو مثلك الأعلى وكيف  
أثر في سلوكياتك ؟ .. فقال : مثلي الأعلى هو " سيدنا " ، أو شيخ الكتاب ، الذي  
علمني أنه لا فرق بين ابن العمدة وابن الحفير .. وكذلك أبي ، الذي علمني كيف  
أطيع وأحترم أستاذي ولا أعترض على قراره .. وما من طالب يحترم أستاذه إلا استفاد  
من علمه ، واكتسب احترامه ، وتفوق في دراسته وحقق ما يصبو إليه .

وصفق الحاضرون من أساتذة وطلاب .. بينما راح العميد يتذكر شيخ الكتاب  
وهو يضرب أباه العمدة .. ثم ابتسم ، وقال في نفسه : رحم الله " سيدنا " .. ورحم  
الله ، أبي العمدة "

## آسِفُ .. النِّمْرَةَ غَلَطُ !!..

الأستاذ محمد عبد السلام كان معيدًا بكلية التجارة ، وكان يرفض دائمًا فكرة الزواج قبل الحصول على درجة الدكتوراه .. والآن وقد حصل على الدكتوراه ، وبدرجة امتياز ، قالت له والدته : أظن أنه قد آن الأوان لأن تتزوج .. لقد كانت حجتك الدكتوراه ، والحمد لله لقد حصلت عليها .. أرجوك ، ارحمني ، أريد أن أطمئن عليك قبل أن أموت .. لقد كانت أمنية والدك رحمه الله أن يرى أولادك ، ولم تتحقق أمنيته ، وأتمني أن تتحقق أمنيته عن طريقني أنا ، فأرى أولادك وأطمئن على استقرارك مع زوجة ترعاك وتخاف عليك ، وتملأ عليك حياتك . فأخذ الدكتور محمد بيد والدته وقبلها وقال لها : ربنا يحفظك ليّ ياماما ، أنتِ دنيائي وسعاديّ ، ورضاكِ عني هو أهم شيء لي في الدنيا .. أما الزواج ، فمازال أمامنا وقت طويل .

فقالت الأم : لا ، أنسيّت أنك تجاوزت الثلاثين ؟ ، وأعتقد أن هذا الوقت مناسب جدًا للزواج .. أريد أن أفرح بك .. ولا بد أن تأخذ قرارًا في هذا الموضوع ، والآن .. قال الدكتور محمد : يبدو أنك مصمّمة .. فقالت : نعم .

قال : وهل لديك " عروسة " تصلح لي ؟

قالت : نعم ، وهي وأسرئها ينتظرون إشارة . وهي تميل إليك ، وأعتقد أنها تحبك . قال متسائلًا : ومن هذه ؟ .

قالت : كاريمان ، جارتنا ، بنت الأستاذ أمين .. طبعًا أنت تعرفه كويّس ، وهو رجل محترم ومتدين .. قال : ليس المهم أبوها .. بل أمها .. وهناك حكمة تقول : " إذا أردت أن تتزوج ، فابحث عن الفتاة ذات الأم الصالحة ، ثم تزوجها ولو كان أبوها شيطانًا " !!..

قالت الأم : طيب سيينا من الحِكم دي دلوقت وخلينا في المهم ، إيه رأيك في كاريمان ؟ قال وهو متردد : على أيّ حال ، نفكر .

قالت: الموضوع مش محتاج وقت تاني للتفكير، أنت عارفها وعارف أبوها ، يبقى فيه إيد تاني؟! .. فقال :أمها .. أمها با ماما .. ماعرفش عنها حاجة ، وكمان بالاحظ إنها غير محتشمة في ملابسها ، وبتبالغ في وضع الماكياج .. وكذلك بنتها .. وانت عارفة إن أنا بعب الاحتشام في المرأة .

قالت الأم : على أي حال .. الرُّك على الرجل .. ولما تبقى تروح بيتك ، ابقى عودها على اللي انت عاوزه .

قال الابن :لا يا ماما .. إن ماكانتش البنت متعودّة على الحشمة في بيت أهلها يبقى صعب تعويدها في بيت الزوجية .

قالت الأم : برضه الرُّك على الرجل .. المهم ريّحني بقي وكفاية جدال .. هيد ، ماقلتلش ، إيه رأيك في كاريمان ؟

قال : أنا شايف إنها حلوة ، من ناحية الشكل .. إنما من ناحية الطّباع .. الله أعلم .

قالت الأم : مادام أبوها رجل طيّب وتمدّين .. يبقى لابد إنه ربّاه تربية كويّسة .

قال : أنا رأيي إنك تحاولي تعرفي أمها كويّس .. فإذا عجبك ، وخصوصًا في تعاملها مع زوجها ، يبقى على خيرة الله .. قالت : أفهم من كده إنك موافق ؟

قال : بعد موافقتك وبعد ما تحكمي على والدتها ، ثم قال : وانتِ عرفتِ منين إن كاريمان ميّالة ليّ أو بتحجني؟! ..

قالت : وهيّ دي حاجة تخفي على الستات يابني ؟ .. أنا باشوفها كل يوم وهيّ بتبصّ عليك وانتِ رايح ووانت جاي .. وباشوف الفرحة في عينيها لما بتشوفك .

فقال : غريبة ..! أنا ملاحظتش حاجة من دي ..!

وبعد أيام قليلة ، عاد الدكتور محمد من الكلية ، وقال لوالدته : باركلي يا ماما ، أنا بقيت أستاذ مساعد .

فقلت : ألف مبروك يابني، ربنا يعليكَ كمانَ وكمنا ، وان شاء الله حنقوَلك مبروك بالعروسة .. خلاص يا سيدي .. اطمئن ، أنا شفت أم كاريمان ودردشت معاها ، ولقيتها ست طيبة قوي ، وعلى فكرة ، سألتني عنك .. ويظهر إنهم واخدين بالهم منك .. يعني العملية جاهزة .. مش فاضل إلا إننا نتقدّم لهم .. إيه رأيك ؟

فقال : اللي تشوفيه يا ماما .. فقلت : طيب سيب لي انت الموضوع ده ، وانا حانصرف واحدد مع أمها موعد نزورهم فيه .. قال : أمرك يا ماما .

وربّت الأم مع أم كاريمان موعدًا ، وذهبت مع ابنها الدكتور محمد لزيارة أسرة كاريمان .. واستقبلهما الأستاذ أمين ، والد كاريمان ، ورحّب بهما.. وبدأ الجميع تبادل الأحاديث الودية ، ونادت أم كاريمان على ابنتها ، فجاءت وسلّمت على الضيفين ، وكان بادياً عليها السرور .

وقال الأستاذ أمين " ضمن ما قال: أنا منذ خروجي على المعاش من وزارة الزراعة ، وأنا تحركاتي تنحصر في البيت والمسجد ، وأقضي معظم أوقاتي مع القرآن الكريم والكتب الدينية .. ومليش في السياسة ، لأن أخبارها بتوجع القلب .. حتى الجرائد ، بقيت نادر لما أقرأها .. ما بقاش فيها حاجة تشدّ القراء زي جرايد زمان .. الواحد بيلاقي في الجريدة نصفها إعلانات ، وربعا تهاني وكلمات نفاق ، والرّبع الباقي يا دوب لبعض الكتاب اللي بيكتبوا بحد شديد، وبيخافوا بقولوا كلمة الحق أحسن يتحبسوا أو يتهموهم بالسب والقذف ، وإذا اتجرأ محرّر عنده صمير ، وقال كلمة جرينة يكشف فيها انحراف أو ظلم مسئول كبير ، تقوم عليه الدنيا ، ويمكن حتى رئيس التحرير ياخذ منه موقف ويضطهده .. طبعا عشان يحافظ عى رئاسة التحرير ، ويرضي اللي عينوه ، وده من أخطر عيوب تبعية الصحافة للحكومة .

فقال الدكتور محمد : الحمد لله ، أنا مريح نفسي .. واهتماماتي كلها تنحصر في عملي وبس .. أما عن السياسة ، فانا أو من بمبدأ إن أعظم سياسة ، هي البعد عن السياسة .. " ويضحك الجميع " .

وتقول أم كاريمان : أما كاريمان بنتي فبتحِب القراءة جداً ، وما بتخلّش مجلّة إلا لما بتقراها .. واللاّ التلفزيون !!.. كل البرامج عارفها ومتابعاها ، وحافضة كل الأغاني ، وساعات تفتني أغاني أجنبية !!..

وينظر الدكتور أحمد إلى والدته ، وكأنه يقول لها : اسمعي ما تقوله أم كاريمان !!.. ثم أسرعَتْ كاريمان ، وكأنها تحاول تحسين صورتها فقالت : بس أنا باتابع البرامج الثقافية والدينية والمترلية .

فقلت أم محمد : ما شاء الله !!.. أيوه كده يا بنتي ، البرامج الثقافية تزود الإنسان بالثقافة والمعرفة ، والبرامج الدينية بتعلم القيم والأخلاق ، أما البرامج المترلية فبتساعد الست في شئون البيت وفن المطبخ .

فتقول أم كاريمان : الحمد لله ، أنا عندي كاريمان بنتي ست بيت درجة أولى .. من بعد ما أخذت الثانوية العامة ، أبوها مريضيش يخلّيها تكمل في الجامعة ، وقال ان البنت حلوة وجسمها أكبر من سنّها ، وأخاف عليها من شبّان الأيام دي ( وكان زوجها ينظر ناحيتها باشمزاز ويتمنى أن تتوقف عن الحديث ) ولكنها تسترسل في حديثها وتقول : وقال خليها تقعد في البيت ، وتتقن شغل البيت عشان تبقى زوجة ناجحة .. ( ثم توجه الحديث لأم محمد ) بس وحياتك من ساعتها ما بطلت قراية .. مجلات رايحة ومجلات جاية .. وبقت تعرف حاجات ، ولا اللي متخرجة من الجامعة !!..

وكان الدكتور محمد ينظر إلى أم كاريمان ويستمع إليها باستخفاف ، كما كان ممتمصاً لللبسها الذي لم يكن مناسباً لسنّها .. وكان الأستاذ أمين مترعجاً من حديث زوجته .. أما كاريمان ، فكانت تحتلّس النظرات مع الدكتور أحمد ، وكأنها تحاول أن تُلْفِت نظره إليها ، وهو ينظر إليها بين الحين والآخر ، وكأنه يقول : ياترى !!.. هل تصلح زوجة لي أم لا ؟!..

وأخيراً وجّهت أم محمد الحديث إلى والد كاريمان قائلة : صلّوا على النبي يا جماعة .. طبعاً إنتم عارفين ابني الدكتور محمد ، وهو دلوقت ما شاء الله ، أستاذ مساعد في الجامعة ، ومالوش إلا شغله وبس .. ومن صغره وهو بيصلي ويعرف ربنا كويس .. وبصراحة بقي ، احنا جاين النهاردة عشان نطلب منكم إيد الآنسة كاريمان للدكتور محمد .. إيه رأيكم بقي؟؟ ..

عندئذ كادت كاريمان تطير من الفرحة ، وظهرت على وجهها ابتسامة الخجل ، ولم تستطع أن تخفي سعادتها .. أما أمها التي كانت تتمنى ذلك منذ زمن بعيد ، فحاولت أن تتظاهر بالهدوء ، وقالت : الحقيقة مش عارفين نقول لكم إيه . إنتم فاجتونا .. فبادر أبو كاريمان بقوله : ولا فاجتونا ولا حاجة .. أنا شخصياً كنت متوقع إنكم جاين عشان تطلبوا إيد كاريمان .. وبصراحة ، أنا كنت من زمان باتمني إن الدكتور محمد يطلب إيد بنتي ، واحنا مش حنلاقي لبنتنا أحسن من الدكتور محمد ..

ونظرت إليه زوجته نظرة غيظ ، وكنمت غيظها ، وتظاهرت بابتسامة صفراء ، ثم قالت لزوجها : مش تستنى لما نشوف رأي كاريمان الأوّل .. واللا إيه يا ست أم محمد؟؟ قالت أم محمد : طبعاً طبعاً .

فقال أبو كاريمان : إحنا فيها .. إيه رأيك يا كاريمان؟؟ ..

فنظرت كاريمان إلى الدكتور محمد نظرة خجل ، ثم نظرت إلى الأرض ثم قالت لأبيها : اللي تشوفه حضرتك يا بابا ..

فقال أبوها : اللي يشوفه حضرتي؟؟ .. يعني موافقة .. على خيرة الله .

فقال أم محمد : يبقى نقرا الفاتحة ، وبعدين نتكلم في التفاصيل .

فقال أبو كاريمان : نقرا الفاتحة .. ( ورفع الجميع أيديهم وقرأوا الفاتحة ) .

وقالت أم كاريمان لابنتها : قومي يا كاريمان وهاتي حاجة حلوة نشرئها ، فقامت كاريمان على الفور والفرحة تكاد تطير بها !! .. وبعد لحظات عادت كاريمان بالشربات ، وقدمت الصينية أولاً للدكتور محمد وهي تبسم له.. ولكن أباه بادرها

بقوله : الحاجة أولاً ياكاريما ( وأشار إلى والدة الدكتور محمد ) ، قالت كاريما :  
متأسفة ، وقدمت الشربات لوالدة الدكتور محمد وقالت لها : متأسفة يا تانت .

فقال أم محمد : لا يا بنتي ، مفيش حاجة .. أنا وابني واحد .

فقال أبو كاريما : بس الأصول أصول يا حاجة .. ولازم كاريما تعرف من دلوقت ،  
إن واجب حضرتك قبل واجب الدكتور محمد ، وإن مقدارك عندنا كبير . ( وكان  
لهذه الكلمات أثرها الطيب في نفس أم محمد ) فقالت : ربنا يعزّ مقداركم ، ويتمم  
بخير .. ونظرت إلى ابنها وكأنها تقول له : شايف وسامع ؟. ناس ولاد أصول .

أما والدة كاريما ، فكانت نظرائها وتعبيرات وجهها تختلف عن نظرات وتعبيرات  
زوجها ، ولكنها كانت مضطرة للتغاضي والتظاهر بالموافقة . لكي يتم كل شيء على  
خير ، فهذا الزواج يُعتبر صفقة رابحة بالنسبة لابنتها التي تعرف أن لها ميولاً نحو  
الدكتور محمد منذ فترة طويلة ، كما أنها تدرك تماماً ، أن رجلاً في مكانة الدكتور  
محمد ، ليس من السهل لفتاة مثل ابنتها أن تفوز بالزواج منه ، بسبب الفارق الكبير  
في المستوى التعليمي بينهما ، وبينما كانت أم كاريما مستغرقة في التفكير ، بادرتها  
والدة الدكتور محمد بقولها : إيه رأيكم لو نقدّم الشبكة يوم الخميس الجاي ، ان شاء  
الله ؟..

فقال أم كاريما : على طول كده ؟!..

فقال الأستاذ أمين : على أيّ حال دي حاجات ممكن ترتبوا مع بعض ، حضرتك وأم  
كاريما ، ولو إن أنا أفضل إن تقديم الشبكة يكون مع كُتب الكتاب في يوم واحد .  
فقال الدكتور محمد : وأنا أوافق حضرتك على هذا الرأي .

فقال أم محمد : إيه رأي الست أم العروسة ؟. فأجابت أم كاريما : مفيش مانع .

وقالت أم محمد لأم العروسة : إيه رأيك لو نزل بكرة إن شاء الله مع بعض ، أنا وانت  
وكاريما والدكتور محمد عشان تختاروا الشبكة اللي تعجبكم ؟.. وإذا كان الأستاذ

مين يحب يبجي معانا أهلاً وسهلاً .. فيقول الأستاذ أمين : لأ.. معلش ، شكراً .. أنا ماليش في الحاجات دي .. والبركة فيكم .

وفي مساء اليوم التالي ، وصل الدكتور محمد بسيارته الجديدة ذات اللون الأحمر ، وكانت كاريمان تقف في الشرفة ، وهي في شوق ولهفة لقدومه .. وملأتها الفرحة عندما شاهدته يخرج من السيارة ، ويراهها في الشرفة ويشير إليها بأن تنزل مع أمها .. فدخلت وأخبرت أمها بوصوله ، ولما لاحظت أمها فرحة ابنتها التي ترتسم على وجهها بوضوح ، قالت لها : يا بنت مش كده ، اتقلي شوية ، واعلمي حسابك ، لازم تختاري شبكة عليها العين وتليق بمقامنا .

قالت كاريمان : مش المهم الشبكة يا ماما ، المهم صاحب الشبكة .  
فتقول الأم : سيبك من الكلام الخايب ده ، ما تعمليش زي أبو كي في كلامه ، واسمعي الكلام اللي أنا باقوله .

فتقول كاريمان : حاضر يا ماما ، بس ياللابقى ، دول مستنيين تحت ..  
تقول الأم : اسمعي يا بنت انت .. ماتسربعينش .. ووقفت أمام لمرآة لتسوي بعض شعرها ، وتتأكد من استكمال مكياجها .. واضطرت كاريمان أن تجذبها من ذراعها ، وخرجتا معاً ونزلتا حيث تقف السيارة .. ولما رآهما الدكتور أحمد امتعض بعض الشيء ولم يعجبه منظرهما بالملابس الكاشفة لجزء كبير من الصدر والظهر فضلاً عن قصرها ، وكان امتعاضه من مظهر الأم أكثر .

ولاحظت والدته ما يستاء منه الدكتور محمد ، فحاولت تحويل انتباهه ، فقالت للعروس وأمها: مساء الخير يا جماعة .. وخرجت من المقعد الأمامي المجاور لمقعد ابنتها وقالت لكاريمان : تعالي انت هنا يا كاريمان مكاني ، وانا حاقعد مع مامتك وراكم ..

فقال الدكتور محمد ، ولم يعجبه ذلك : لأ يا ماما ، خليك انت جيني ، وخلي كاريمان تقعد مع والدتها .. وامتعضت والدته كاريمان ونظرت إليه بغيظ .. بينما قالت والدته : لأ ، كاريمان تقعد جنبك ، وأنا أقعد مع والدتها .. ثم قالت لكاريمان : ياللابيا

كاريمان اركبي . وركبت كاريمان بجوار الدكتور محمد ، بينما ركبت والدته في الخلف بجوار أم كاريمان ، ثم تناديه : يالآ يا دكتور محمد .. ويبدأ هو قيادة السيارة وهو غير راض عن مظهر كاريمان ومظهر أمها ، وكأنه غير مطمئن لهذا الزواج بسبب المظهر الغير محتشم لكل منهما ، ولكنه يرى أنه أمام أمر واقع ، وصعته فيه أمه ، فهو لا يريد أن يُغضبها وهو يعرف أنها تتوق إلى إتمام هذا الزواج بأسرع ما يمكن .. وتنظر إليه كاريمان نظرة ذات معانٍ ، وتظاهر بالخجل ، وهي تبسم ابتسامة الأنثى الماكرة ، وكأنها تقول له : أنا هنا .. بينما هو يفكر ، وربما يعتقد أنه تسرع في قبول هذا الموضوع ، ولا يدري كيف يتصرف ..

وتقف السيارة أمام محل الصانع ، ويخرجون من السيارة ويدخلون المحل ، والدكتور محمد مازال شاردًا ، ويسأل نفسه : هل يمكن له أن يتراجع عن هذا الزواج الذي لا يطمئن له ؟ .. ولكن ماذا يكون موقفه مع أمه التي ربما تُصدّم لو فكر في التراجع ، وربما يسبب لها إحراجًا كبيرًا قد يؤثر في نفسياتها ، وهو الحريص على راحتها وعدم إغضاها .. ولهذا سلّم الأمر لله .

وتبدأ النساء الثلاث في فحص الحليّ والمجوهرات التي باخل ، وتحدّث أم محمد مع صاحب المحل ، فيُخضِرُها بعض القطع من العقود والأساور والخواتم ، وتناولها لكاريمان قائلة : شوفي بقى ياكاريمان اللي يعجبك وقولي عليه .. فتنظر كاريمان إلى الدكتور محمد الذي كان مشغولاً عنهم بالنظر إلى ما في " الفاترينة " من المجوهرات ، ولكنه في الحقيقة كان مشغولاً بمشروع هذا الزواج الذي لا يرتاح إليه كثيرًا .. فإذا بكاريمان تقول وهي تنظر إلى الدكتور محمد : اللي يختاره الدكتور محمد .

فتقول أمها : هو الدكتور محمد اللي حيلبسها واللا انت ؟! .. وتنظر إليها نظرة ذات معنى ، وكأنها تقول لها : يابنت اتحرّكي ، وماتصيّعش الفرصة من إيدك .. اختاري

اللي انتِ عاوزاه وبزيادة شوية ، فتقول كاريمان وهي تنظر إلى الدكتور محمد : لأ ،  
الدكتور محمد يختار اللي على ذوقه .

وسمع الدكتور محمد العبارة الأخيرة التي قالتها كاريمان ، فقال وهو يتجه إلى كرسيّ  
ليجلس عليه وكان الأمر لا يعنيه : لأ ، التفضلي انتِ اختاري اللي انتِ عاوزاه ..  
فبدأت أمها تتدخل في اختيار بعض المشغولات الذهبية غالية الثمن ، بينما الدهشة  
تبدو على وجه أم محمد .. ولما تمّت عملية الاختيار التي قامت أم كاريمان بمعظمها ..  
قام الصانع بوزن القطع ثم قال : جملة الحساب ثمانية آلاف وستمائة وسبعون جنيهًا ..  
وهنا قام الدكتور محمد وهو يشعر بأن الأمر مبالغ فيه ، ونظر إلى والدته نظرة عتاب ،  
وكانه يقول لها : هل يعجبك هذا الاستغلال والجشع ؟! .. ثم نظر إلى الصانع وقال له :  
أرجو أن تختصر العملية إلى مبلغ ستة آلاف جنيه فقط .. فأحسّت كاريمان بالحرج ،  
ونظرت إلى أمها وكأنها تقول لها : شفقي يا ست ؟! .. آدي انتِ أخرجتينا ، وكذلك  
كانت أم محمد تشعر بالحرج ، ولكنها ترى أن ابنتها على حق ، وآثرت الصمت ،  
وتركت الأمر لله ، يُدبّرهُ كما يريد .. بينما قالت أم كاريمان : وهو المبلغ ده كثير  
على كاريمان ؟! .. وعلى أيّ حال ، كل واحد بيحسب قيمته !! ..

فقال الدكتور محمد في حسم : أنا مش حادفك أكثر من ستة آلاف جنيه ، واتصرفوا  
في حدود هذا المبلغ ، وبلا أيّ زيادة .

قال ذلك وكان في داخله يتمنى أن يرفضوا ، ويلغوا موضوع الخطوبة كله ، لأنه لم  
يكن مستريحًا من تصرفات أم كاريمان ومظهرها ، وكذلك مظهر ابنتها ، وكانت في  
داخله رغبة قوية في الانسحاب من هذا الارتباط ، ولكنه يخشى من إحراج والدته ..  
وكانت أمه في تلك اللحظات تشارك ابنتها في اعتراضه على ثمن الشبكة المبالغ فيه ،  
ولكن الإحراج منعها من أن تعلق على كلام ابنتها ، أو ملاحظة أم كاريمان ، وفضلت  
الصمت .

وعلى عكس ما يتمنى الدكتور أحمد ، اضطرت أم كاريمان وابنتها إلى إرجاع بعض الحُلِيِّ حتى وصل المبلغ إلى ستة آلاف إلا عشر جنيهات .. ودفع الدكتور أحمد المبلغ وتسلم الفاتورة ، وهو مكتئب لأن ما كان يتمناه لم يتحقق .. وخرجوا من المحل ، فقالت أم محمد : مبروك يا كاريمان .. مبروك يا أم كاريمان .. ربنا يتمم بخير .. وردت أم كاريمان بشيء من الفتور ، إذ لم يعجبها موقف الدكتور محمد في تحديد ثمن الشبكة بستة آلاف جنيه فقط ، وقالت : يارب .

وقالت أم محمد لابنها : مبروك يا محمد .. فأجاب بفتور : شكراً ياماما .

وركبوا جميعاً السيارة ، وكانت كاريمان في غاية السعادة ، بينما كانت أمها مقطبة الجبين .. ولم تحاول حتى التظاهر بالبهجة في هذه المناسبة .. أما والدة الدكتور محمد فكانت في دهشة وحيرة من أمر أم كاريمان .. وحاولت أن تتجاذب معها الحديث الودّي حتى تصرفها عن تجهّمها ، لكي لا يلاحظ ابنها فيغيّر رأيه ، خاصةً وهي تعلم جيداً أنه لا يقبل أمراً إلا إذا اقتنع تماماً بصحته .. وهي لا تريده أن يغيّر رأيه .

ووصل الركبُ إلى منزل كاريمان ، ونزلت كاريمان مع أمها ، ولم يتزل الدكتور محمد ، ولا والدته .. وقالت كاريمان : إيه ، مش حتزتلوا معانا واللا إيه ؟! .. فقال الدكتور محمد : معلى .. وقت تاني ، عشان عندي شوية شغل عاوز أخلصه في البيت .. فوجهت كاريمان كلامها إلى والدته طيب وانتي يا تانت ، ماتيجي تقعدني معانا شوية .

قالت : معلى يا كاريمان .. أصلي تعبانه شوية .. بعدين حابقي اتصل بيكي ، سلمى على بابا ، ثم قالت لابنها : اعطيهم يا محمد الشبكة عشان يشوفها الأستاذ أمين . فقال : العلبة كانت مع كاريمان .

فقال كاريمان : أنا سبيتها على الكرسي ، فتناولها الدكتور محمد وأعطاهما لكاريمان ، فنظرت إليه كاريمان بحنان ممتزج بشيء من " الدلع " ، وقالت : مش حتصل بيّ ؟ .. فقال : ان شاء الله ، ثم قال السلام عليكم .. قالها وكأنه يريد أن يغادرهما بأقصى سرعة .. وكانت أم كاريمان واقفة خارج السيارة والتجهم يكسو وجهها العابس .. واطلق بالسيارة بسرعة وهو ينفخ ، وكأنه يربح عن نفسه كابوساً رهيباً كان جائئاً على صدره !.. وكانت أمه قد تركت الكرسي الخلفي وجلست إلى جواره ، وأثناء الطريق لاحظت اقتضابه فقالت له :

مالك يا محمد ، انت مش طبيعي ليه !؟ .. إيه المي مضايكك يابني ..!

فتهدت تهيدة كبيرة وكأنه ينفذ عن نفسه حملاً ثقيلاً ثم قال : بصراحة أنا مش مستريح للموضوع ده وحاسس إن احنا اتسرّعنا ، وكان يجب إن احنا نستنى شوية .. أنا مش عاجبني تصرفات أمها ، وأخشى أن تكون كاريمان متأثرة بأخلاق أمها !! .. فقالت الأم : ما تبقاش متشائم بالشكل ده .. البنت لطيفة ، ووشها بشوش ، ودائماً متسمة .. أما إن كان على أمها ، انت مش حاتعيش معاها ، وعلى أي حال ما ظهرش منها حاجة تخوف ، أو تخليك تقلق بالشكل ده .

فقال : إزاي يا ماما .. انت ما لاحظتيش طريققتها عند الصايغ ، وكأنها عاوزة تاخذ اللي في المحل كله !!؟ ..

فقالت أمه : ما انت كمان حسمت الأمر ما صممت إنك ما تدفعش أكثر من ست آلاف جنيه .

فقال : طبعاً ، وكان لازم أعمل كده ، ولازم يعرفوا من دلوقت ، إن مفيش حاجة تتعمل إلا بعد موافقتي .

فقالت الأم : ربنا يابني يحميك لشبابك .. أنا دلوقت مطمئنة إنك حاتكون راجل في بيتك ، والكلمة كلمتك .. وعلى أي حال ، الزوجة يابني على ما يعوّدها زوجها .

ووصلا إلى البيت ، ودخلا الشقة ، وراح ينظر في أنحاء الشقة ، ثم قال : أنا مش عارف يا أمي انتِ مستعجلة على زواجي ليه !! بصراحة أنا متهيأ لي زوي السمك ، لو خرجت من البيت ده ، حاتخق وأموت .

فقلت : بعد الشر عنك يا حبيبي .. دي ستّة الحياة يابني .

فقال : طيب رأيك إيه يا ست الحبايب ، إن كان لابد من الزواج ، يبقى لازم نعيش هنا معاكي ، أنا ماقدرش أبعد عنك وأسيك تعيشي هنا لوحداك .

فقلت الأم : ما تبقاش عاطفي أكثر من اللازم .. يابني ، كل زوجة دلوقت بتعتبر إن بيتها هو مملكتها ، وما تحبش حدّ يشاركها في بيتها ، وخصوصاً هاتها .. وأنا يابني يهمني راحتك وسعادتك ، سواء كنت معايا أو بعيد عني .

فقال ابنها : شوفي ياماما ، المسألة دي مسألة مبدأ .. أنا لا يمكن أوافق على إنك تعيشي لوحداك وانتِ في السنّ ده .. ماقدرش أنسى إنك ضحيتي كثير عشائي ، وحرمتِ نفسك من مُتّع كثيرة في الحياة ، وتفرّغت لي من بعد وفاة بابا ، وكنّت في عزّ شبابك ، وكان يمكنك إنك تتجوزي وتعيشي حياتك .. ولكن فضلتِ إنك تضحّي وتفضلي جنبي عشان تطمئني على مستقبلتي .. وأنا فاكّر كويس لما كان جدّي وخالي يبلحوا عليكِ عشان تتجوزي ، وكانوا يقولولك انتِ لسته صغيرة ، وفي عزّ شبابك ، والزواج سُترة ، وكنّت بتقولي لهم : أنا مش عاوزة جواز ، أنا حانفرغ لابني وحاعتره هوّ ابني وجوزي وحبيبي وكل ما ليّ في الدنيا .. واطمئنوا ، أنا مش محتاجة حاجة منكم ولا من غيركم ، الحمد لله ، معاش المرحوم جوزي يكفيني أنا وابني .. وبعد التضحية دي كلها عاوزاني آجي في الآخر أتجوز وأبعد عنك وأسيك تعيشي لوحداك وانتِ في السنّ ده ؟! .. اسمعي ياماما .. لازم تعرفي إنه من رابع المستحيلات إنني أوافق على الكلام ده ، حتى لو كانت العروسة حورية من الجنة .. وأرجوك ما تحاوليش تقنعيني بغير كده .. ويكون في علمك .. أنا حاقابل الأستاذ أمين وأفهمه إن

حياتي معاكمي بعد الزواج ، ده موضوع غير قابل للمناقشة على الإطلاق !!..وان ما وافقوش ، يبقى كل واحد يروح لحاله .. والحمد لله ، احنا لسه على البر .

فقالت الأم : يابني مفيش داعي للتشدد ، وخلينا واقعيين .

فقال : عندك حق ، خلينا واقعيين ، أنا حاتصل بالأستاذ أمين دلوقت حالاً ، واحدد

معاه موعد عشان أتفاهم معاه في الموضوع ده .. وأمسك فعلاً بالتليفون ، وحاولت

أمه أن تشنيه عن عزمه دون جدوى ، وطلب الأستاذ أمين الذي قال له : أهلاً يا

دكتور محمد ، كده ياراجل تيجوا لغاية البيت ، وتمشوا من غير ما نشوفكم ؟!..

فردّ الدكتور محمد : معلش يا عمّي ، أصل كان عندي شوية شغل لازم أخلّصه .

قال الأستاذ أمين : مبروك يا دكتور ، الشبكة جميلة ، وربنا يابني يتمم لكم بخير .

قال الدكتور محمد : شكراً يا عمّي ، على فكرة ، أنا كنت عاوز اقعّد مع حضرتك

أتكلّم معاك في موضوع مهم .. ياترى ، ممكن بكرة الساعة الخامسة مساءً ؟..

فقال الأستاذ أمين : أنا تحت أمرك يا دكتور في أيّ وقت يناسبك ، وأنا في انتظارك .

فقال الدكتور محمد : شكراً يا عمّي ، السلام عليكم .. ووضع سماعة التليفون .

فقالت أمه : يابني بلاش الموضوع ده اعمل معروف ، ما تعقدش الأمور .

فقال لها : أرجوك انتِ سيّيني أتصرف صح .. لو كان عندك أولاد غيري كان يبقى

فيه كلام تاني ، لكن دا انتِ ما عندكيش إلا أنا ، وأنا ما عندكيش إلا انتِ .. ومش من

العدل بعد العمر ده كله ، والتضحيات اللي قدّميتها عشاني إني أسيبك تعيشي لوحده

حتى لو أذى الأمر إني أعيش طول عمري من غير جواز .. ويكون في علمك يا ست

الحبايب ، أنتِ ست البيت ، وحتفضلي دائماً ست البيت .

فقالت : ربنا يابني يرضى عليك ويجبر بخاطرك .

وفي اليوم التالي ذهب الدكتور محمد إلى الأستاذ أمين حسب الموعد المتفق عليه ،

حيث رحّب به ، وطلب منه الدكتور محمد أن يتحدّث معه على انفراد ، فطلب

الرجل من زوجته وابنته اللتين كانتا في استقبال الدكتور محمد أن يتركاها قليلاً ليتحدثا معاً ، فقامتا ، وكانت أم كاريمان ممتعضة لذلك إذ أنّها كانت تفضّل ألا يكون هناك أيّ تفاهم بين زوجها والدكتور أحمد في غير وجودها ، فهي تعلم أن زوجها رجل طيب وسهل ، ويمكن أن يوافق على أيّ شيء ولو كان على غير هواها .. وعندما أصبح الرجلان وحدهما في الصالون قال الدكتور محمد : أنا حيتّيت اتكلّم مع حضرتك لأني مقتنع بأن حضرتك رجل متديّن وتعرف ربّنا كويس ، وحانتقدّر موقفني تماماً . فقال الأستاذ أمين : خير يابني ، قول اللي عندك كله ، وبكل صراحة . فقال الدكتور محمد : طبعاً ، فالصراحة مطلوبة في كل شيء .. حضرتك عارف إن أنا وحيد ماما، ومن بعد وفاة والدي ، وماما وهبت حياتها كلها من أجلي ، وضحت بالكثير عشائي لغاية ما اتخرّجت ، ووقفت جنبي ، تسهر على راحتي لغاية ما حصلت على الدكتوراه .. كان ممكن إنّها تتجوّز ، زيّ كثير غيرها ما عملوا ، وما همهمش مستقبل أولادهم قدّ ما همهم إنّهم يعيشوا حياتهم ويتمتعوا بيها .. لكن ماما فضّلت إنّها تضحّي وتكرّس حياتها كلها عشان ترعاني . قال الأستاذ أمين : عارف عارف يابني ، والدتك من أعظم الأمّهات .. وياما أمّهات اتخلّوا عن أولادهم في الأوقات الصّعبة ، وما فكّروش إلّا في الاستمتاع بالحياة ، وماتت في قلوبهم مشاعر الأمومة ، ونسيّوا إن الأمومة مش ولادة ويس ، الأمومة مسئولية وتربية وتضحية وإيثار من أجل الأولاد ، وإن أعظم سعادة يمكن للآباء والأمّهات إنّهم يحسّوها ويشعروا بيها ، لما ربّنا سبحانه وتعالى يوفّقهم في تربية أولادهم ويشوفوهم بعد ما يقفوا على رجليهم ويبقى لهم مستقبل عظيم في حياتهم ، ساعتها يهون عليهم كل اللي عانوه من تضحيات واللي شافوه من تعب !!.. ووالدتك يا دكتور من نوع الأمّهات العظيمة اللي تستحقّ التكريم !!..

فقال الدكتور محمد : عظيم ، وده يطمّني إن حضرتك حاتقدّر كلامي ، وعشان التضحية اللي قامت بيها والديّ عشاني ، أنا شايف إني ماقدرش أتجوّز وأبعد عنها وأسيبها تعيش لوحدها وهيّ في السنّ ده .. فقال الأستاذ أمين : طبعًا طبعًا يا بني .  
فَسُرَّ الدكتور محمد وقال : أفهم من كده إن حضرتك موافق إن أنا وكاريمان نعيش مع ماما؟! ..

فقال الرجل : طبعًا موافق ، واللي مالوش خير في اللي ربّوه وسهروا على راحتته وضحوّا عشانه لحدّ ما يحقّق مستقبله ، يبقى مالوش خير في حدّ ثاني ، حتى لو كانت زوجته .. يا دكتور محمد ، أنا إعجابي بك زاد دلوقت أكثر ، لأني تأكّدت إنك إنسان عندك وفاء ..! والإنسان من غير وفاء ، ما ييقاش إنسان ..!

فقال الدكتور محمد : طيب ممكن أعرف رأي كاريمان في الموضوع ده ؟  
فقال أبو كاريمان : آه ، طبعًا ممكن .. عن إذّلك يا بني لحظة .

فقال الدكتور محمد : اتفضّل يا عمّي . ( ونادى الرجل على ابنته ) يا كاريمان ، تعالي . فجاءت تحمل صينية عليها كوبان من عصير الليمون ، وجاءت وراءها أمّها التي كان يدفعها حب الاستطلاع والقلق إلى معرفة ما دار بين زوجها والدكتور محمد من أحاديث ، ووضعت كاريمان الصينية أمام الدكتور محمد ووقفت أمام والدها وقالت : نعم بابا ؟ فقال والدها : اقعدني يا كاريمان ، فجلست وقد أخذ القلق يستبدّ بها وتتمنى أن تعرف ما في الأمر ، ورفعت رأسها إلى السماء وكأنّها تتمنى ألا يكون هناك أيّ عائق يعوق خطوبتها ، وجلست أمّها أيضًا وهي تتطلّع إلى معرفة ما في الأمر .

وقال لها أبوها : أنتِ عارفة إن الدكتور محمد هو وحيد والدته .. وطبعًا لما ربّنا يتمّم بخير وتنجوزوا .. مش معقول يبعد عن والدته ويسيبها تعيش لوحدها وهيّ في السنّ ده .. عشان كده الدكتور محمد بيسأل إن كنتِ موافقة على إنكم تعيشوا مع الست والدته بعد الزواج .. أنا طبعًا وافقت ، بس الدكتور محمد طلب إنه يسمع رأيك .

فاندفعت أم كاريمان وقالت : إزاي ده ؟!.. أنا بنتي لازم تعيش في بيت لوحدها .. دي لسه صغيرة ، ولازم تتمتع بحياتها بحريتها في بيتها .. فنظر إليها الدكتور محمد نظرة ازدراء ، ولاحظت كاريمان ذلك وخافت أن يغضب خطيبها .. وبادر الأستاذ أمين بقوله لزوجته : لو سَمَحْتِ ، إحنا بنكلم كاريمان ، وهي دلوقت صاحبة الشأن ، ودي حياتها هي ، مش حياتك ولا حياتي ، ثم قال لابنته : إيه يا كاريمان .. قلت إيه يا بنتي ؟

ونظرت كاريمان إلى أمها التي كانت نظراتها تنطق بالرفض ، ثم نظرت إلى أبيها ، الرجل الطيب الذي لا تعجبه تصرفات زوجته ، ولا يوافق إلا على الصحيح ، ثم نظرت إلى الدكتور محمد الذي كان ينظر إلى أسفل ويفكر ، ولا يعرف كيف ستكون إجابتها ، وقد بدا عليه عدم الارتياح لكلمات الأم .. فإذا بكاريمان تقول لأبيها : أنا موافقة بابابا، مادام ده يرضي الدكتور محمد .. وحاعتير تانت زي ماما تمام .

هنا بدت علامات الغضب والاستنكار على وجه والدتها التي خرجت من الصالون حيث كانوا يجلسون ، وامتلاً وجه أبيها بالسعادة والرضى .. أما الدكتور محمد فقد سره أن يسمع ذلك من كاريمان ، وبدت على وجهه ابتسامة صادقة سعدت كاريمان برؤيتها ، وقال لها : وأنا أوعدك بإنك مش حاتدمي على موافقتك دي أبداً ، وأشكرك على تفهّمك للموقف ، ثم مدّ يده إلى كوب ليمون وقدمه لكاريمان ، ثم استدرك الموقف وقدم الكوب للأستاذ أمين قائلاً : لامؤاخذة يا عمي ، اتفضل .. بينما ابتسمت كاريمان ، وأخذت الكوب الثاني وقدمته للدكتور محمد ، فأخذه منها وهو ينظر إليها ، وكأنه قد بدأ يُعجَبُ بِهَا وبحسن تفكيرها . وبعد أن شرب الليمون ، استأذن للانصراف ، فنظرت إليه كاريمان ولسان حالها يقول : ماتخلك معانا شوية .. ووّدعه عند الباب الرجل وابنته .

وبعد انصراف الدكتور محمد قال الرجل لابنته : برفو عليك يا كاريمان ..  
موافقتك دي عين العقل ، ورفعت راسي قدام خطيبك ، ربنا يتمم لكم بخير يا بنتي ..  
وإذا بأمها تأتي وتقول متهكّمة : عين العقل ؟ .. دي هيّ دي قلة العقل .. فيه واحدة  
عاقلة توافق على إنها تعيش مع حماتها في الزمن ده ؟ .. ابقى قابليني انت وابوك ..  
على رأي المثل .. بكره نقعد جنب الحيطه ونسمع الزبطة ..  
فقال لها زوجها : يا وليّة قولي كلمة طيبة ، تشجع البنت ( ثم يوحه الكلام لابنته )  
يابنتي ، مالكيش دعوة بكلام أمك ، واعرفي إن الدكتور محمد ده عريس لقطه ..  
تتمناه أيّ بنت ، ولو راح منك مش حاتعرفي تعوضيه ، وأنا باقولك هو ..

وذهب الدكتور محمد إلى والدته التي استقبلته وكلها شوق لمعرفة نتيجة المقابلة ،  
وكانت في غاية القلق .. ولما رأت الابتسامة على وجه ابنتها استبشرت خيراً ، وسألته  
في لهفة : هيه .. خير ، عملت إيه يابني ؟؟ ..  
فقال : كل خير ياماما ، وافقوا ، الحمد لله .. تعرفي ياماما .. أنا بدأت أقنع بان  
كاريمان دي عاقلة .. فقالت : مش قلت لك ؟! .. على خيرة الله يابني .

واتفق الدكتور محمد مع الأستاذ أمين ، بناءً على رغبة والدته في التعجيل  
بالزواج .. واتفقوا جميعاً على أن يكون الاحتفال بتقديم الشبكة وعقد القران والزفاف  
في ليلة واحدة .. وفعلاً أقيم الحفل في إحدى صالات أندية القوات المسلحة ، وحضره  
الكثيرون من زملاء الدكتور محمد وأصدقائه وأقاربه ، وأقارب وأصدقاء وجيران أسرة  
العروس ، وكان حفلاً جميلاً اشترك في إحيائه بعض المطربين والمطربات ، ولم تكن فيه  
راقصات بناءً على رغبة الدكتور محمد ، والتقطت الصور للذكرى ، وانتهالت باقات  
الورود وبرقيات التهاني ، وكانت السعادة بادية على وجوه الجميع ، العروسين ،  
ووالد العروس ، ووالدة العريس .. أما أم كاريمان فكانت تتسامر مع بعض ضيوف

الحفل ، ولكن إذا نظرت إلى أم محمد تجهمت وبدت على وجهها الكآبة والغيظ ،  
والغيرة منها ، لأن تفكيرها القاصر والحدود جعلها تعتقد أن أم محمد قد انتصرت  
عليها في مسألة إقامة الزوجين معها .. وأنها هي التي ضغطت على ابنها ليطلب ذلك .  
وأثناء الحفل ، عندما حاولت المطربة أن تجعل العروسين يشتركان في الرقص ،  
سارعت كاريمان بالوقوف للرقص وتكاد السعادة ترقص في قسما ت وجهها ، أما  
الدكتور محمد فإن وقاره واتزانه منعه من أن يستجيب للمطربة بالرقص ، واكتفى  
بتشابك الأيدي مع الراقصين من بعض المدعوين في الدائرة التي كوّنوها حول  
العروسين .. واستمر الحفل حتى ساعة متأخرة من الليل .. وبدأت مراسم الزفاف  
الذي تتقدمه المطربة وضاربو الدفوف ونافخو البوق ، وحاملو المشاعل ، حتى خرج  
العروسان من باب النادي ليركبا السيارة المزينة بالورود وشرائط الزينة ، وتقدم  
الأقارب والأصدقاء لتوديع العروسين قبل ركوبهما السيارة .. ولما جاءت أم العريس  
احتضنت ابنها بحنان بالغ ، وفي عينيها دموع الفرح والسعادة ، وفي صدرها إحساس  
بشكر الله الذي أنعم عليها ، وحقق لها أمنيّتها بزواج ابنها في حياتها .. ولما رأى ابنها  
الدموع في عينيها قال لها : إيه يا ماما ده ؟! إنتِ بتبكي ؟! يبقى نروح معاكي بقى ،  
وبلاش نروح الفندق ، وبلاش شهر غسل .. فضحكت أمّه وقالت : لأ يا بني ، دي  
دموع الفرح ، روح يا بني انت وعروستك ، ربّنا يسعدكم ، واتجهت إلى كاريمان  
وقالت لها : خدي بالك منه يا كاريمان .. وانت يا محمد ، خد بالك منها ، وان شاء  
الله لما تسافروا بكره اسكندرية تبقوا تظمتوني على وصولكم بالسلامة ، وبعدين ما  
تنسوش تتصلوا بيّ ولو مرّة كل أسبوع .

فقال كاريمان : كل أسبوع إيه ياماما ؟ قولي كل يوم .. وقبّلتها حماتها ، وقالت لها :  
ربّنا يسعدكم يا بنتي . ( وكانت أم كاريمان تنظر إلى أم محمد نظرة غيظ وغيرة )  
وجاءت لتقبّل ابنتها وقالت لها : خدي بالك من نفسك ، وابقى اتصلي بيّ كل يوم ..

قالت كاريمان : حاضر يا ماما .. ثم ركبا السيارة مع توديع الحاضرين وأصوات الزغاريد ..

وانطلقت السيارة بهما إلى الفندق الذي سيقضيان فيه ليلة زفافهما ، ثم يسافران في الصباح إلى الإسكندرية لقضاء شهر العسل .. وفي اليوم التالي وصل العروسان إلى الإسكندرية حيث أقاما في أحد الفنادق المطلة على البحر .. وفي جسة لهما في كازينو على شاطئ البحر ، قالت كاريمان : إنت مبسوط يا دكتور محمد ؟ ..

فقال لها : مابلاش حكاية دكتور دي .. لازم نرفع التكلّف بيّنّا ، إحنا بقينا زوجين .

فقالت : طيّب يبقى مش حاقول يا محمد ، حاقول يا حمادة .. إيه رأيك ؟ ..

قال : ماشي ياست وانا أقولك يا كرم ، إيه رأيك ؟ .فقالت : اللي يعجبك يا حبيبي .

فقال : اسمعي يا كرم .. قالت : نعم يا حبيبي ؟

قال : أنا عاوز واحنا في بداية حياتنا ، نتفاهم فيما بيّنّا على أسلوب حياتنا ، ونلتزم باللي نتفق عليه .. قالت : وأنا موافقة .

فقال : أيّ قارب في النهر وراكب فيه اتنين ، وماسكين مجدافين ، إذا كانوا عاوزين القارب يفضل مستمر في السير للأمام ، يبقى لايد إن حركة المجدافين تكون متناسقة ومتشابهة ومتوازنة .. أما إذا اختلفت حركة المجدافين ، يبقى القارب سيتعثّر ومش حايقدر يواصل التقدّم للأمام .. والقارب هوّ بالضبط الحياة الزوجية ، واللي يقود مجدافين هما الزوج والزوجة .. إذا ساد بينهم التفاهم والمحبة ، والمناقشة الموضوعية ، استمرت الحياة الزوجية في طريق السعادة .. عشان كدة أنا عاوز نتفق على مبادئ محددة نمشي عليها ولا نختلف أبدًا .. ممكن نختلف في وجهات النظر حول الأساليب ، لكن المبادئ تكون ثابتة لا نخرج عنها .. فاهماني؟؟ ..

قالت : قول يا حبيبي كل اللي انت عاوزه ، وانا حانفذه بالحرف الواحد ، أنا كل اللي يهمني رضاك ، وإنك تكون سعيد معايا .

فقال : طبعاً ده كلام جهيل ، ولكن لازم نحدد المبادئ . وأنا حاتكلم عن الأشياء اللي تسرني والأشياء اللي تضايقني .. وانت كمان تقولي إيه الحاجة اللي تعجبك والحاجة اللي ما تعجبكيش .

فقلت : أنا كل حاجة فيك تعجبني ، ومفيش حاجة فيك ما بتعجبنيش .

قال : أنا عاوز تكويني واقعية ، إحنا دلوقت بنخطط لأسلوب حياتنا عشان مانختلفش في يوم من الأيام .. وعلى أي حال ، أنا حابداً بنفسي ، وحاقولك على اللي أنا عاوزه منك .. أولاً .. الصّدق المطلق في جميع الحالات ، وعدم إخفاء أيّ أسرار ، لأن الكذب زيّ ما يقولوا " مالوش رجلين " ولا بد يوم ينكشف ويسبب مشاكل إحنا في غنى عنها .. ثانياً .. المحافظة على أسرار الحياة الزوجية من أهم أسباب نجاحها ، لأن أسرار الزوجين إذا خرجت عنهما لم تُعدّ سرّاً .. ويمكن تديّ فرصة للآخرين إنهم يتدخلوا في حياة الزوجين فيفسدوا بينهم ، حتى لو كان هدفهم الإصلاح .. ولاحظي إن ماما حاتعيش معنا ، ومامتك حاتزورنا كثير .. وعشان نتجح في حياتنا يبقى لا ماما ولا حماتي يجب إنهم يعرفوا أيّ شيء عن أيّ خلاف يحصل بيننا .. ثالثاً .. لازم تعرفي إني غيور ، وباعتقد إن كل زوج لازم يغير على زوجته ، وإلاّ ما يقاش بني آدم عنده كرامة ، عشان كده لازم نتجنّب أسباب الغيرة ( فابتسمت كاريمان ) يعني مثلاً الملابس لازم تكون حشمة .. وبصراحة أنا مش عاجبي الملابس اللي عندك ، وياريت توافقيني على تغييرها .

فقلت : اللي انت عاوزني أغيره أغيره ( وقد سرّها قوله لأنها أحسّت أنه يحبّها ويفار عليها ) . فقال : بارك الله فيك .. رابعاً .. رغم أني حاصل على الدكتوراه ، يمكن تقولي عليّ رجعي بعض الشيء في اللي حاقله .. أنا لا أثق في الأطباء ولا في الدواء ، في الزمن ده ، واللي بنقراه ونسمعه عن التشخيصات الخاطئة لبعض الأطباء ، والأدوية المغشوشة واللي انتهت مدّة صلاحيتها ومازالت تُباع في الصيدليات تجعلني أفقد ثقتي في الأطباء والأدوية . ولهذا فقد تعودتُ على أن أعالج نفسي طبيعياً ، بمعنى

ان أبتعد بقدر الإمكان عن أسباب الأمراض ، وأؤمن بأن الوقاية خير من العلاج ..  
كما أؤمن أيضًا بأن أخطر سبب يمكن أن يصيب الإنسان بالأمراض الصعبة هو  
الانفعال ، والفكر والنوم في حالة الغضب .. ولهذا فأنا أرى أن من أهم واجبات  
الزوجة المخلصة لزوجها ، ألا تتركه ينام وهو غاضب ، سواء منها أو من أي شيء  
آخر .. أنا عارف إن دي مهمة قد تكون صعبة على الزوجة ، وخصوصًا إن كانت  
هي كمان منفعة أو غاضبة .. لكن إن كانت بتفكر كويس لازم تحط في اعتبارها إن  
نوم الزوج وهو غاضب قد يؤدي إلى إصابته بالتهيار عصبي .. فإذا استطاعت أن  
تضبط أعصابها وتمتص غضب الزوج ، وتحاول أن تُسرّي عنه حتى تُبعد عنه الغضب  
قبل أن ينام ، تكون قد لمحت في أمرين .. الأول هو إبعاد خطر إصابته بأي مرض ،  
والثاني هو كسبها لاحترام زوجها وتقديره لها .. ولهذا أنا أطلب منك أن تجتهد في  
امتصاص غضبي إن غضبتُ ، وألا تتركيني نائم وأنا غاضب أو منفعل ، خامسًا .. أنا  
أؤمن بأن بيت الزوجية هو ملكٌ للزوجين معًا ، بمعنى أنه لا يجب على أي واحد من  
الزوجين أن يترك بيت الزوجية عند حدوث أي خلاف ، بل يمكن للزوجين الاستمرار  
في بيت الزوجية حتى أثناء الخلاف ، إلى أن تنتهي أسبابه .. وأنا عن نفسي أعدك ألا  
أطلب منك مغادرة البيت مهما حدث بيننا عن خلاف .. وفي مقابل هذا .. إذا حدث  
" لا قدر الله " أن خرجت من البيت على أثر حدوث خلاف بيننا ، وكان خروجك  
بإرادتك ودون موافقتي ، فاعلمي أنني لن أسعى أبدًا لإرجاعك إلى بيتك ، حتى لو  
أدى الأمر أن أعيش طول العمر بدون سيدات ، ثم قال : ودلوقت أحب أعرف رأيك  
في المبادئ دي ، وأحب أعرف أيضًا أفكارك فيما يعجبك وما لا يعجبك ..

وابتسمت كاريمان ابتسامة ليست كاملة الصدق ، وأفصحت عيناها عن بعض  
التحفظات على كل ما ذكره زوجها من مبادئ ومفاهيم ، ولكنها بمكر المرأة المعروف  
ودهائها الموروث ، حاولت أن تُظهر قبولها لكل ما يريده زوجها لكي لا تعكّر صفو  
الجلسة الرومانسية على شاطئ البحر .. وأخيرًا أمسكت بيد زوجها وقالت له : كل

اللي انت قلته يا حبيبي أنا موافقة عليه ، وحابدل كل جهدي عشان أحليك سعيد ، واطمنن .. مش حاخليك تمام مرة وانت زعلان مني .. بس أنا لي طلب واحد .. أنا كنت متعودّة على الخروج في بعض الأيام ، وكنت باروح النادي مع بعض صديقاتي . فقال زوجها : شوفي ياست ، أنا ما عنديش مانع إنك تروحي النادي ، بس معايا مش لوحك .

فقلت : طيب لما تكون انت مشغول وأنا قاعدة لوحدي ، ممكن أروح النادي ( ثم استدركت ) مع ماما طبعًا .. فقال : إذا كان مع ماما أو بابا مفيش مانع . قالت : حاجة تانية كمان ، حكاية الملابس دي ، أنا متعودّة على الملابس الخفيفة . فقال : في البيت البسي زيّ ما انت عاوزه .. لكن خارج البيت لازم تكون الملابس حشمة .

ولما وجدته يتحدث في هذا الموضوع بأسلوب حازم ، رأت أن توافقه فقالت : أمرك يا حبيبي .

فابتسم وقال : أنا دلوقت ارتحت ، وأرجو إن كان لك ملاحظات أو طلبات إنك تذكرها دلوقت عشان نتفاهم فيها .

فقلت : أبدًا ، أنا ماليش طلبات ولا ملاحظات ، واللي يريحك يريحني .. فأمسك بيدها وضغط عليها سعيدًا بردّها المريح وقال لها : أوعدك بأني حاعمل كل ما في استطاعتي عشان أسعدك ، وأحافظ على حياتنا الزوجية .

فقلت له بنظرة حانية : مش نروح بقي ؟ ..

فقام وقال لها : أمرك يا حبيبي .. وذهبا معًا إلى الفندق .

وكان الدكتور محمد يتصل بوالدته صباح كل يوم من أيام شهر العسل ، ليسأل عنها ويطمئن عليها .. وكذلك كانت كاريمان تتصل بوالدتها ووالدها ، وتخبرهما عن سعادتها مع الدكتور محمد ، وقضيا معًا أيام شهر العسل في سعادة وهناء . وبعد انتهاء

هذا الشهر عادة إلى بيتها حيث استقبلتهما والدته بكل الفرح والابتهاج وسألت والدته كاريمان إن كانت قد استمتعت بهذه الرحلة ودعت لها بدوام السعادة

وفي اليوم التالي زار العروسان والديّ العروسة ، وجلس الدكتور محمد مع الأستاذ أمين بينما أخذت أم كاريمان ابنتها إلى خارج الصالون لتتحدث معها على انفراد ، ولتسألها عن بعض أسرار حياتها .. وهنا نذكرت توجيهات زوجها فيما يتعلق بأسرار الزوجين ، فكانت تجيبها باختصار ودون تفصيلات ، وظلت الأم تقدم لابنتها ما تعتقد أنها نصائح بأن يكون لها شخصية وكلمة في البيت ، وأن يكون لها حرية الخروج من البيت وقتما تشاء ، وارتداء ما تريد من الملابس ، وكانت كاريمان مترددة في قبول ما تنصحتها به أمها ، لأنه يتعارض مع مبادئ زوجها .

وعاشت كاريمان مع زوجها حياة سعيدة هانئة ، وأنجبا خلالها ولدين أكبرهما " خالد " الذي يبلغ من العمر عشر سنوات ، والثاني " عمرو " والذي يبلغ من العمر ثمان سنوات .. وبدأت آثار الزمان ترسم على وجه الدكتور محمد ، حيث بدأ بعض الشعر الأبيض يكسو أجزاء من رأسه ، رغم أنه لم يتجاوز الخامسة والأربعين من العمر .. أما كاريمان التي لم تكن قد تجاوزت السابعة والعشرين ، فقد ازدادت جمالاً وبهاءً ، وتطور قوامها نضجاً وفتنة وأصبحت ذات أنوثة طاغية ومُلفتة للأنظار ، مما كان يدفع زوجها إلى عدم رغبته في كثرة خروجها ، خاصة وأن عمله بدأ يأخذ الكثير من وقته ، وأصبح في حاجة إلى الراحة في البيت ، مما كان يتناقض مع رغبة زوجته في الخروج مع ولديها وأمها .. وأحياناً كانت تترك الولدين مع جدّتهما وتخرج هي بحجة زيارة أمها .. وبدأت تلجأ أحياناً إلى الكذب لتبرير خروجها ، فمرة بحجة زيارة صديقة لها مريضة، ومرة أخرى بحجة زيارة والديها اللذين انتقلا إلى مسكن جديد يبعد عن المسكن القديم.. وهي في الحقيقة تخرج للقاء بعض صديقاتها في النادي ..

فقد بدأت تشعر بفراغ قاتل مع انشغال زوجها معظم الوقت في حجرة المكتب حيث نعدُّ المحاضرات وبقراءة الكتب والمراجع وقد سئمتُ الجلوس مع حمائها المُسنَّة التي تختلف معها في نظرتها للحياة فحماؤها تقدس الحياة الزوجية وتربية الصغار ، وكانت تبذل قصارى جهدها في رعاية حفيديها خالد وعمرو ، ومتابعة تعليمهما وتوجيههما .. وكثيراً ما كانا يرفضان الخروج مع أمهما ويفضلان البقاء مع جدّتهما في البيت حيث تحكي لهما الحكايات ، وتُحِبُّ على أسننتهما . ولذلك كان تعلق الولدين بجدّتهما أقوى من تعلقهما بوالدتهما التي كان اهتمامها في الوقوف أمام المرأة معظم الوقت ، وعمل المكياج واختيار الملابس المناسبة لخروجها .. وكان ارتباط الولدين الشديد بجدّتهما ، يتيح لكاريماان فرصة الخروج وحدها لتلتقي بصديقاتها في النادي .

و ذات يوم كانت تجلس مع بعض صديقاتها في النادي وهن يتحدثن ويثرثن وتعلو ضحكائهن ، بينما كانت كاريماان تجلس شاردة الفكر في الفراغ الذي تعيش فيه . وكان يجلس على منضدة قريبة شاب وسيم يبدو أنه رسّام لأن أمامه بعض اللوحات الورقية .. وقد رأى الشاب كاريماان وهي شاردة ، وكان منظرها يوحي بلوحة فنية رائعة ، فأمسك الشاب بكراسة رسم كبيرة كانت أمامه وأخرج القلم الفحم ، وحلق في كاريماان الشاردة ، وكان ضوء شمس الأصيل التي أوشكت على الرحيل ، قد أكسبَ شعرها لوناً يميل إلى اللون الأصفر المتزج بالأحمر ، كما أضاء جزءاً من وجهها الحميل ، مع وجود بعض الظلال الخفيفة على الجزء الآخر من الوجه ، مما شجّع الشاب الرسّام على انتهاز الفرصة ، ورسم لوحة لكاريماان كانت في غاية الروعة والإتقان !!..

وفجأة التفت إحدى الصديقات إلى ذلك الرسّام الذي كان يحتطف النظرات المتكررة نحو كاريماان ويرسم لوحته ، فغمزت هذه الصديقة إلى صديقاتها لينظروا إلى

رسام وإلى كاريمان .. ثم قامت إحداهن وذهبت إلى حيث يجلس الرسّام ونظرت إلى الصورة التي رسمها ، فإذا هي كاريمان بعينها ، وقد أضفى عليها بعض اللمسات الفنية التي جعلت منها لوحة راقية ذات معنى ، فصاحت الصديقة قائلة : أوه !!.. الله .. رائعة !!.. ثم نادى على صديقاتها وقالت : تعالوا شوفوا ، فأقبلن جميعهن بسرعة لرؤية اللوحة ، إلا كاريمان التي كانت مازالت تجلس في شرودها .. وسرعان ما أفاقت من شرودها على صوت ضحكات صديقاتها ، وهن واقفات بجوار الرسّام الشاب ، فنظرت إليهن مندهشة .. فأشرن إليها لتذهب إليهن ، فقامت وذهبت ، وكانت دهشتها أكبر عندما شاهدت اللوحة التي تصوّرها الرسّام لها في أروع صورة ، وأحسّت بالانهيار وفي نفس الوقت بالخجل .. وبأدائها الرسّام بقوله : لا مؤاخذه يا آنسة .. أنا اضطرّيت أرسم الصورة دي غصب عتي .. تسمحي لي أعرض الصورة دي في المعرض الجاي؟! .. فلم تُجِبْ كاريمان ... وصاحت صديقاتها واحدة بعد الأخرى : وماله يا أستاذ .. بس فين المعرض ده؟! .. فأعطاهن عنوان المعرض ، ثم ناول كاريمان بطاقة بعنوان المعرض وتاريخه ، وقال لها : أكون سعيد لو تكرّمت وشرفّيتني بزيارة المعرض يوم الافتتاح ، فأخذت البطاقة ولم تستطع الإجابة ، ولكن صديقة لها قالت : طبعًا حاتحضر ، واللا إيه يا كاريمان?!

فقال الرسّام : كاريمان؟! .. اسم جميل ، لوحه جميل .. فقالت : إحداهن : الله الله !!.. ده غَزَلْ بقى واللا إيه؟! .. فشعرت كاريمان بالخجل وعادت إلى حيث كانت تجلس من قبل بينما الرسّام يتابعها بنظراته الناثية ، وكأنه اكتشف ضالته المنشودة .. أما الصديقات فكن يتغامزن ، ويتهامسن ، ثم تعلقو ضحكائهن ، وأسرعن يجريّن إلى مكان كاريمان ، وقالت إحداهن لزميلاتها : يظهر إن " الهلب " شبك ، فضحككن ، بينما أحسّت كاريمان بالخجل ، وتظاهرت بأنّها لا تعرف قصدهن ، وقامت واستأذنت منهن وانصرفت .

وعندما عادت إلى البيت أسرع الولدان يَحْيَانُ أمهما ويقولان : إنتِ كنتِ فين يا ماما ؟.. وكانت شاردة ولم تسمع سؤال ولديها ، واستمرت في سيرها ، وولداها يسيران وراءها ، وسألها خالد مرة أخرى : كنتِ فين يا ماما ؟..  
فقالَت : كنت عند ماما .

فقال خالد متعجبًا : الله !!.. دي تيته اتصلت وسألت عليكِ ، وكمان جدو أمين اتصل بعد كده وسأل عليكِ ... فارتبكتِ كاريمان ، ثم قالت : لأ ، مانا رححت الأول مالقيتهاش ، وبعدين رححت عند تانت سلوى عشان كانت عيانة شوية ، فاندھش عمرو ، ابنها الصغير وقال لأخيه خالد : مش تانت سلوى هي اللي جت النهارده وسألت على ماما ، وقعدت شوية مع تيته ؟.. وماكانتش عيانة ولا حاجة ..  
وعندما سمعت كاريمان تعليق ابنها عمرو ، زاد ارتباكها .. وكانت حماتها جالسة في الصالة ، ولما سمعت الحوار الذي دار بين الولدين وأمهما ، وأحسّت بالمأزق الذي أوقعت كاريمان نفسها فيه أمام ولديها ، أرادت أن تنقذها من الحرج فقالت الجدة للولدين : تعال يا خالد إنت وعمرو وسيبوا ماما دلوقت عشان ترتاح من المشوار .. فسأل خالد جدته : هي تانت سلوى لما كانت قاعدة معاك كانت عيانة ؟!.. فنظرت الجدة إلى ناحية كاريمان التي كانت في غاية الارتباك ، ثم قالت لخالد : أيوه يا حبيبي ، وكانت جايد من عند الدكتور ، ويظهر إن ماما راحت لها بعد ما مشيت من هنا .

ودخلت كاريمان حجرتها وألقت بحقيبة يدها على السرير وهي تشعر بالحيرة ولا تدري ماذا تفعل بعد أن انكشف كذبها أمام حماتها !!.. وفجأة نظرت إلى حقيبة يدها التي ألقتها على السرير، ثم التقطتها بسرعة وكأنها تذكرت شيئًا هامًا .. ثم أخرجت الكارت الذي أعطاه لها الرسام الشاب ، وقرأته ورأت اسمه " مجدي ابراهيم " ، ورأت أن تاريخ افتتاح المعرض هو يوم الخميس القادم في الساعة السادسة مساء .. وراحت تذكر الرسام وهو ينظر إليها في إعجاب .. وتذكرت كلماته الرقيقة وهو يقول لها

" أكون سعيد لو تكرّمت وشرّفتيني بزيارة المعرض يوم الافتتاح " .. وتذكّرت أيضًا صديقتها التي أجابت نيابةً عنها بقولها : " طعّمًا حاتحضر .. مش كده يا كاريمان ؟ " ، وتذكّرت أيضًا تعليقه بقوله: " كاريمان ؟ سم جميل لوجه جميل !! " .. وابتسمت عندما تذكّرت ذلك .. وراحت تضرب بالكارت على يدها وهي تفكّر .. وكأنها تتساءل : هل تذهب إلى المعرض يوم الافتتاح ، وتلبّي دعوة ذلك الشاب الوسيم الذي انبهر بجمالها؟؟ .. كانت تستعيد تذكّر كلماته الرقيقة ونظراته الخائفة .. وتشعر بأن كلماته ونظراته قد أيقظت شيئًا كان كامنًا في داخلها .. ووجدت نفسها تذهب إلى المرأة لتفحص جمالها الفاتن ، وقوامها المشوق وأنوئتها الطاغية ، ثم تعث في شعرها وتستدبر يمينًا ويسارًا.. وبينما هي كذلك، وقعت عينها على صورة زوجها المعلّقة على الحائط والتي تُظهرُ الشعر الأبيض في أجزاء من رأسه ، وتجذ نفسها تتجهّم وكأنها أحست بأن الدكتور محمد لم يكن الشخص المناسب لها ، فهو يكبرها بحوالي ثمانية عشر عامًا ، وعمله المتواصل يشغل معظم وقته ، ولا يهتم بها كما تحب .. وكأنه لا يلاحظ جمالها وفتنتها .. ولا يُلقِي على مسامعها كلمات العزّل التي تتناسب مع جمالها .. وفجأة تخيلت أن الصورة للرّسام الشاب "مجمدي" فانفجرت أساريرها ، وغَطَّت وجهها ابتسامة مشرقة .. ولكن سرعان ما اختفت صورة مجدي وأفاقت على الحقيقة ، وأن الصورة لزوجها الدكتور محمد ، فاخفت الابتسامة من وجهها الذي كساه التجهم من جديد ، ثم ألقت بجسدها على السرير وكأنها تعيش في حلم جديد لا تدري كيف ستسير فيه ، ولا كيف ستكون نهايته!!..

وبعد قليل وصل الدكتور محمد ، وبمجرّد دخوله الشقة جرى إليه الولدان يرحبان به ، وراح يقبلهما ويحتضنهما ، وسلّم عى والدته وقبل يدها ثم قال لها : النهارده كان يوم شاق من أوّله لآخره ، ثم نظر حوله وقال لأمّه : أمال فين كاريمان؟؟ .. فقالت أمّه : في حجرتها .. ويبدو إنّها مرهقة شويّة لأنها كانت عند مامتها .

فقال متسائلاً : مرهقة ؟! .. إزاي ؟! .. وذهب إلى كاريمان وطرق الباب ودخل فوجدها راقدة على السرير بملابس الخروج ، فقال لها : مالك يا كاريمان ؟ .. فأسرعت كاريمان بوضع الكارت الذي كان في يدها ، تحت الوسادة ثم اعتذرت وقالت : لأ .. مفيش حاجة .. بس مرهقة شوية من المشوار ، وعندى شوية صداع .

فقال : سلامتِك يا كَرَمٌ .. قومي اقعدى معانا ، واشربي كوباية ليمون .. يمكن سبب الصداع إنك جعانة .. إنت اتغديتي ؟ .. قالت : لأ .

فقال : طيب قومي ياللا خلّي زينب "يقصد الشغالة" تجهّز العشا .. ياللا قومي وغيري هدومك ، فقالت وهي تتظاهر بالتعب والإرهاق : لأ معلش ، كلوا انتم وسيبوني ارتاح شوية .. وبدا على زوجها القلق ، وجلس بجوارها على السرير وسألها : إيه يا حبيبي .. حاسّة بإيه ؟! .. فقالت : شوية إرهاق .. ولما أنام شوية يمكن أروق .

فقال : تحبّي أجيب لك الدكتور ؟! ..

قالت : لأ لأ .. الحكاية بسيطة مش محتاجة دكتور ولا حاجة .

فقال : يعني مش حاتعشّي معانا ؟ .. قالت : لأ .. معلش ، اتعشّوا انتم .

فقال : طيب قومي غيري هدومك ونامي شوية ، وإن احتجت حاجة نادي علينا .. أنا حاقعد مع ماما والأولاد شوية .. أسيبك أنا بقى عشان ترتاحي .. ثم خرج .

وسأل والدته : مالها كاريمان ياماما ؟

فقالت أمّه وهي تحاول التخفيف عنه : مفيش حاجة يابني ، دي بس مرهقة من المشوار ودلوقت تروق ، ماتشغلش بالك .. وكانت كاريمان تقف خلف الباب لتسمع ما تقوله حماتها ، وحمدت الله أنّها لم تحك له ما دار بين الولدين وأمهما .. وغيّرت ملابسها وورقدت على السرير ثم أخرجت الكارت مرّة أخرى وظلت تنظر إليه وتسرح بخيالها .

وجاء موعد افتتاح المعرض ، وكان الرسّام الشاب " مجدي ابراهيم " يستقبل رواد المعرض ، وعيناه تتجهان يمينًا ويسارًا وإلى المدخل لعله يرى كاريمان ، وكان في غاية الشوق لرؤيتها .. ومرّت الدقائق عليه كأنها شهور وهو يتطلّع إلى رؤيتها .

وكانت هي حائرة تجوب الحجرة ذهابًا وإيابًا ، وتفكّر وكأنها تحاول أن تصل إلى قرار ، أتذهب إلى المعرض أم لا؟! .. وتنظر إلى صورة زوجها ثم إلى الصورة العائلية التي تجمع بينها وبين زوجها وولديها ، فتهدأ وتميل إلى عدم الذهاب إلى المعرض وتجلس على السرير .. ثم تشغل خيالها صورة " مجدي " وهو يجرها أن تحضر افتتاح المعرض ، فتشعر بأنها في حاجة إلى الذهاب إلى المعرض ، ولا تدري السبب وكأن شيئًا ما بداخلها يدفعها دفعًا إلى الذهاب .. وأخيرًا تقرّر الذهاب والاستجابة لتلبية دعوة مجدي ، فتهض بسرعة وتفتح دولاب الملابس وتبحث عن أجمل فستان ، وترتديه ثم تخرج إلى الصالة وتقول لحماتها إنها ستذهب إلى أمّها وستعود بعد ساعة تقريبًا.. وتخرج وتستقل تاكسيًا وتصل إلى المعرض ، وتتقدّم بالحُطى لتصعد درجات السلم القليلة عند مدخل المعرض ، ويبدو عليها التردّد فتراجع وتُهبط درجات السلم وتسرع عائدة وتجري وكأنها خائفة من المجهول الذي يطاردها .. وتنظر وراءها وهي تسرع بالحُطى ثم تتوقف فجأة وكان قوّة خفية قد أوقفتها وتجعلها تستدير في اتجاه المعرض ، ثم تندفع مسرعة وتصعد درجات السلم ثم تدخل بخطوات بطيئة متناقلة ويبدو عليها الارتباك الشديد ، وكأنها تصارع قوتين مغناطيسيتين ، إحداهما تشدّها إلى الخلف والأخرى أشدّ قوّة وتجذبها إلى داخل المعرض .

وترى في الداخل جمهورًا غفيرًا من رواد المعرض وقد وقف كل منهم يشاهد اللوحات المعروضة .. وفي ركن من أركان المعرض كان يتجمّع عدد كبير أمام اللوحة التي رسمها مجدي لكاريمان وهي شاردة .. وكان مجدي يشرح للرواد هذه اللوحة ، وبين الحين والآخر كان ينظر هنا وهناك بحثًا عن كاريمان .. ولما طال الوقت ولم تصل كان قد فقد الأمل في وصولها .. ولكنه فجأةً فخها من بعيد .. وعندما رآته ينظر إليها

أحسّت برعدة ثم تجمّدت خطواتها وكأنّ قدميها التصقتا بالأرض ، ووقفت حائرة لا تدري ماذا تفعل ، فهي لا تستطيع أن تعود إلى الخلف ، ولا أن تتقدّم إلى الأمام .. أما مجدي فقد ترك الرواد ، وحتى دون أن يستأذن منهم .. وأسرع خطاه إلى مكان كاريمان ، وسلّم عليها ورحّب بها وأمسك بيدها وقال لها :

أنا شاكر جدًا إنك لبيتي دعوتي .. أنا كنت قلقان خالص وخايف إنك ما تجيش ، وكان مازال ممسكًا بيدها .. وحاولت أن تسحب يدها ولم تستطع فقد كان ضاغطًا عليها وهو لا يدري ، ثم انتبه وقال لها : أنا آسف .. المفاجأة خلّني مش عارف أنا باقول إيه أو باعمل إيه !!.. ثم ترك يدها وقال لها : اتفضّلي معايا ، وشوفي صورتك عليها إقبال قدّ إيه !!..

فقال : أنا آسفة ، مش حاقد ر أقف وسط الناس ، لأني مش عاوزة حدّ يعرفني ، ثم قالت : أنا مش عارفة إزاي جيت !!..

فقال : لأن قلبك الرقيق وإحساسك المرهف رفض إنه يكسر قلب واحد زيّ حالاتي انشغل بيكي من أوّل ما شفتك في النادي ، وحسّيت إنك الإنسانة اللي بدورّ عليها ، واللي حاتكون إلهامي في كل أعمالي بعد كده .. ماتأخذنيش إن كنت باتكلّم معاك بالشكل ده ، بالرغم من إنا ماتقابلناش إلا مرّة واحدة ، ولكن يبدو إن القدر بعثك ليّ عشان ينورّ حياتي !!..

فقال : أنا مضطرة أمشي دلوقت ، ونظرت إلى يدها اليسرى التي ترتدي فيها " دبلة الزواج " وبسرعة أخفت يدها حتى لا يراها مجدي ويعرف أنّها متزوجة .

وقال لها : مش معقول بالسرعة دي " ! .. طيب مش حاتتفرّحي على لوحات المعرض ؟  
فقال : معلىش ، متأسفة .. يمكن مرّة ثانية .

فقال : أفهم من كده إنك ممكن تكرّري الزيارة ؟!..

قالت في حيرة : مش عارفة .. على حسب الظروف .

فقال : على أيّ حال أنا مش حاضط عليك .. ولكن أرجوكِ تتصلي بي ، وأكون سعيد لو وافقتي على تحديد موعد نتقابل فيه ، ثم أعطائها " كارتًا " به رقم تليفونه .. فأخذته واستأذنت منه واستدارت وانصرفت مسرعة ، بينما وقف مجدي ينظر إليها وكأنها أخذت روحه معها ، وكان يتساءل بينه وبين نفسه : هل ستعود ثانية؟! ..

وذهبت كاريمان إلى أمها حيث قضت بضعة دقائق ، ثم اتصلت بحماتها وسألته عن الولدين ، وأخبرتها بأنها قادمة إلى البيت .. وكانت بذلك تثبت لحماتها أنها ذهبت إلى أمها كما ذكرت لها ، حتى لا تساورها الشكوك ، خاصةً وبعد أن انكشف كذبها في المرة السابقة أمام ولديها .

وعادت إلى البيت وهي فرحة وتشعر بالسعادة والنشوة ، وكان عالمًا جديدًا من السعادة قد فتح بابه أمامها على مصراعيه لتعترف منه ما تشتهي من الحب ، وتعوض به ما فاتها من حرمان عاطفي .. ونسيّت في خضمّ هذه الأفكار أنها متزوجة وأن لديها ولدين ، وأن ما تفكر فيه ربما يؤدّي إلى انهيار حياتها الزوجية ويعرّض مستقبل ولديها إلى الخطر .. نسيّت كل ذلك ولم يُعَدّ يشغل بالها إلا ذلك الطارق الجديد الذي طرق باب قلبها .. وراحت تفكر في كيفية الاستجابة لهذا الطارق الجديد !! .. واستبدت بها طباع المرأة العادرة التي نسي كل شيء وتضحّي بكل شيء ، حتى بأولادها ومستقبلهم إذا صادفتها عاطفة جديدة وسيطرت على قلبها وفكرها !! .. ولا يهتمها تحطيم بيتها أو تدمير حياة زوجها ولا معاناة أولادها ولا تعرّض مستقبلهم للخطر !! ..

وعندما اجتمعت الأسرة على مائدة العشاء ، لاحظ الدكتور محمد أن تغييرًا قد طرأ على كاريمان ، فقد كان من عادتها من قبل ، بعد أن تضع " الشعالة " أطباق الطعام على المنضدة ، كانت تتولّى هي تقديم أنواع الطعام واللحوم لأفراد الأسرة ،

ولكن هذه المرة جلست معهم وهي شاردة الفكر بشكل مُلفتٍ للنظر .. فنظر إليها زوجها وكذلك حماتها وولداها في دهشة ، منتظرين أن تقدم لهم الطعام كما اعتادت من قبل ، ولكنها ما زالت في شرودها !! ..

فقال لها زوجها : إيه ياكاريمان .. إنتِ مش معانا واللا إيه ؟! ... وكأنها لم تسمعه ، فقال بصوت أعلى منادياً :كاريمان .. فأفاقت من شرودها ، وقالت : نعم .. إيه .. فيه إيه ؟! .. فقال زوجها متهكماً : فيه إيه ؟! .. إنتِ مش عارفة فيه إيه ؟! .. إنتِ مش ملاحظة إن الأكل على "الترابيزة" من مدة وانتِ سرحانة ؟! ..

فقال لها وهي مندهشة : طيب ماتاكلوا .. إيه اللي مانعكم ؟! .. فقال لها : انتِ ناسية إنك انتِ اللي بتقدمي الأكل ؟! ..

فقال : معلش ماتأخذونيش ، أصل أنا دماغى مصدعة شوية ، على أي حال الأكل قدامكم وكل واحد يمد يده وياخذ اللي هو عاوزه .. مش لازم كل مرة أنا اللي أقدم الأكل ، فقال الزوج في غضب : دي حاجة جديدة .. مالك ياكاريمان .. فيه إيه ؟! .. فقال : حايكون فيه إيه يعني ؟ باقول لكم دماغى مصدعة شوية ، فيها إيه دي ؟! .. وعن إذنكم أنا مليش نفس ، ثم قامت وذهبت إلى حجرتها .. وسكت الزوج برهة ثم شعر بالضيق وقام ، وحاولت أمه أن تقنعه بتناول العشاء ولكنه رفض وذهب إلى حجرة المكتب ، وجلس إلى مكتبه شارد الفكر يحاول أن يجد تفسيراً لما يراه من تغيير في سلوك زوجته ، ولكن دون جدوى .. وحاول أن يُبعد عن رأسه الوسواس والشكوك ، وذلك بأن يندمج في عمله .. وأخرج بعض الأوراق وأمسك بالقلم وحاول أن يكتب فلم يستطع ، فألقى بالقلم في غضب على المكتب ونهض ، وظل يمشي داخل الحجرة والفكر يكاد يُطيحُ برأسه ، ويضرب بقبضة يده اليمنى على كف يده اليسرى حائراً في أسباب التغيير المفاجئ الذي طرأ على زوجته .

أما والدته فقد احتفظت بهدونها وأطعمت حفيديها .. ثم طرقت باب حجرة كاريمان واستأذنت في الدخول فأذنت لها كاريمان .. ودخلت حماتها وعلى وجهها ابتسامة ودودة ، وجلست بجوارها على السرير وقالت لها في حنان :

إيه مالك يا كاريمان يابنتي؟! .. أنا ملاحظة إنك متغيرة حبتين ، فيه إيه؟! .. إيه اللي مضايقتك؟! .. قولي لي يابنتي ، أنا زِيّ أمك برضه!! ..

فقالت كاريمان في ضجر : مفيش حاجة .

قالت حماتها في تساؤل : أنا مضايقتك في حاجة؟! ..

فقالت كاريمان معترضة : لأ ياماما لأ . أرجوك ماتفهمنيش غلط .. أنا عمري ماشفت منك حاجة تضايقتني .

قالت حماتها : طيب أمال إيه اللي مغيرك بالشكل ده؟! .. محمد مزعلك في حاجة؟! ..

فقالت : أبداً ، هو احنا بنقعد مع بعض إلّا في المناسبات!! .. هو فاضي لي .. نصّ اليوم بيقصيه في الكلية ، والنصّ الثاني بيقصيه في حجرة المكتب .. ومابقيناش نشوف بعض إلّا يادوب ساعة الأكل!! ..

فقالت حماتها : يعني هو ده اللي مزعلك؟! .. إذا كان كده أنا لازم ألفت نظره وأكلمه ولازم تخرجوا سوا مع الأولاد زيّ الأوّل ، وانت برضه تقدري تبقي تاخدي خالد وعمرو وتروحوا النادي تروحوا عن نفسكم شوية .

فقالت كاريمان : المسألة مش مسألة خروج ، أنا بصراحة حاسة بضيق وكأني مخرقة .

فقالت حماتها : يابنتي قولي لي على اللي مضايقتك .. اتكلمي وفضفضي عشان تريحني نفسك ، واعتبريني أمك أو صديقتك ، يمكن أقدر أساعدك .. يابنتي الحياة مايتدومش على حال ، وكل إنسان ساعات يمرّ بأزمة ، أو يشعر بالضيق أو الملل من استمرار الحياة على وتيرة واحدة ، ولا بد من التغيير .. ويمكن لو سافرتم سوا إنت ومحمد والولدين في رحلة كام يوم ، يمكن تغيير الجو ده يفيدكم .. إيه رأيك؟! .. أنا حاقوم أنكلم مع محمد وأقول له ياخذ إجازة أسبوع وتسافروا سوا .

فقاطعتها كاريمان وأمسكت بيدها وقالت : لأ ياماما ، مفيش داعي .. ماتشغليش نفسك ، ومفيش داعي الدكتور محمد يعطل شغله ، أنا حابقي كويسة .. وبعد إذذك أنا حانام دلوقت عشان أقوم بدري .

فقالته هاتها : طيب يابنتي على راحتك .. تصبحي على خير .. وتركتها وانصرفت . وبدلاً من أن تنام كاريمان ، أخرجت الكارت الذي أعطاه لها مجدي ، وظلت تحملق فيه وتسرح بخيالها .. بينما ذهبت هاتها إلى ابنها في حجرة المكتب فوجدته مستلقياً على " كبة " حجرة المكتب ولكنه مستيقظ ويبدو عليه القلق ، فقالت له : أنا باحسبك مشغول بالقراءة أو الكتابة .. فقام واعتدل وقال : تعالي ياماما ، فجلست بجانبه وقالت له : قوم يابني .. روح لمراتك وشوف إيه اللي مضايقها ، واتفاهموا سوا .. وياريت يابني تسمع نصيحتي ، وتفوق شوية لمراتك وولادك .. مش معقول الشغل ياخذ كل وقتك وفيه وفيه لما بتقعدهوا مع بعض .. ولازم تاخذ بالك إن كاريمان في عز شبابها ، وبتشوف أصحابها اللي بيخرجوا مع أزواجهم وبيروحوا النادي ويتفستحوا وبيسافروا هنا وهنا .. يابني اسمع كلامي .. حاول تغير أسلوب حياتك ، وتنظم وقتك ، وزيّ ما بتدي لشغلك حقّه بيتك برضه له حق عليك ، واللي بيحصل النهارده ممكن يكون بداية لخطر يهدّد حياتكم الزوجية .. وشوف يابني ، صحيح إنت معاك دكتوراه ، يعني متعلم تعليم كبير ، لكن أنا أكبر منك وخبراتي في الحياة أكثر ، وحطّها حلقة في ودنك .. سواء الراجل أو الست ، إذا اتحرّم واحد منهم من شيء في بيته ، حايدور عليه خارج بيته .. حكّم عقلك يابني ، والحقّ قبل الأوان مايفوت وترجع تندم ، وماتنساش إنك لازم تضحّي وتتنازل شوية عشان خاطر ولادك ، ولازم تعرف إن الأولاد مش ممكن يعيشوا حياة طبيعية إلا مع الأب والأم .. وكل البيوت بيحصل فيها هزّات ، لكن الإنسان العاقل لازم يضبط أعصابه ويحكّم عقله ويحلّي الأزمة تعدي .. ويعرف فين الخلل ويحاول يعالجه عشان المركب تمشي ، والأولاد يتربّوا في جوّ صحيّ وسليم ، قوم يابني واخزي الشيطان ، وربّنا يوفّقك !!..

وكان الدكتور محمد ينصت إلى كلام والدته ونصائحها بكل اهتمام ، ويبدو أنه اقتنع بكلامها فقال مستسلماً : حاضر يا ماما ، وقام واتجه إلى باب الحجرة ثم التفت إلى والدته وقال لها : شكراً يا ماما .. تصبحي على خير .

فقلت : وانت من أهله .. وخرج محمد من حجرة المكتب بينما رفعت الأم يديها إلى السماء تسأل الله له التوفيق وتقول : يارب سلّم .

وذهب الدكتور محمد إلى حجرة النوم ، وكانت كاريمان مازالت مستيقظة وقد جفاها النوم بسبب الأفكار والأحلام التي تُحلقُ في سمانها ، وانشغالها بهذا الطارق الجديد الذي طرق قلبها وتمكّن منه ، ولا تستطيع منه فكاًكاً .. وكان يُخيّلُ إليها أنها تشعر بسعادة من نوع جديد وكأنها لم تشعر بمثلها من قبل .. كانت تحسّ بأنها ولدت من جديد ، وأن أمامها الآن فرصة ذهبية يجب ألاّ تضيّعها .. ولما أحسّت بدخول زوجها الحجرة تظاهرت بأنها مستغرقة في النوم .. وجلس بجانبها وحاول أن يوقظها ليتبادل معها الحديث لعله يستطيع أن يُصلحَ ما بينهما من نفور ، ونادى عليها أكثر من مرّة ولكنها لم تردّ وكانت ترتسم على وجهها علامات النفور وعدم القابلية لتبادل الحديث معه ، وكأنها لا تريد حتى أن تراه .. وكان هو يصارع نفسه .. ووجد نفسه أمام معادلة صعبة وطريقين متناقضين .. أولهما أن يحافظ على كرامته كرجل وكزوج يرى أنه لم يقصّر في حق زوجته أو أولاده ، ولم يهينها يوماً أو يجرحها .. وهو يوقّر لبيته كل عوامل السعادة والاستقرار ، ولم ييخل على بيته أو زوجته أو أولاده بشيء .. والطريق الثاني أن يستسلم أمام عمرد زوجته وأن يحاول إرضاءها ، ويرى في ذلك مساساً بكرامته وإخلاقاً بمبادئه .. وهنا أخذته العزة ورأى ألاّ يستسلم .. ثم تذكّر أولاده عندما نظر إلى الصورة المعلقة على الحائط وتجمع بينه وبين زوجته وولديه ، وسرعان ما عاد لمحاولة إيقاظ زوجته التي استمرت في تظاهرها بالاستغراق في النوم .. فقرر أن يتركها ونام هو الآخر .. ولكنها فتحت عينيها ، وكان الفكر والأرق وأحلام الحب الجديد قد حرموها نعمة النوم .. وبعد فترة نظرت إلى زوجها وبعد أن تأكّدت

من أنه راح في سبات عميق ، قامت بهدوء وبخطوات بطيئة وخرجت من الحجرة وهي تنظر خلفها لتتأكد من أن زوجها مازال نائماً .. ولما وصلت إلى الصالة تلفت يميناً ويساراً لتتأكد من عدم وجود أحد ، وذهبت إلى التليفون وهي تجول بنظراتها في أنحاء الصالة .. ثم تُخْرِجُ الكارت من صدرها وترفع سماعة التليفون وتطلب رقم تليفون مجدي الذي كان هو الآخر ساهراً يفكر فيها ويتمنى أن تطلبه وتكلمه .. وفجأة سمع جرس التليفون فأسرع ورفع السماعة وقال بكل شوق : كاريمان .. كاريمان .. أنا عارف إن انتِ كاريمان .. أنا كنت متأكد إنك حاططيني .. كاريمان .. رذي عليّ أرجوك .. أما كاريمان فلم تستطع أن تردّ ، ووضعت السماعة ووقفت حائرة ، هل تردّ عليه وترجمه وتستجيب لمشاعرها .. وحاولت أن تطرد هذه الهواجس التي تُهدّد حياتها الزوجية بالانهيار .. وحاولت أن تعود إلى حجرتها .. وبعد أن اقتربت من باب الحجرة نظرت إلى الخلف حيث التليفون .. وفجأة وجدت نفسها تعود مسرعة إلى التليفون وتطلب الرقم مرّة أخرى ، فird مجدي بسرعة ويقول : كاريمان، ارحميني ، رذي عليّ ، أنا عارف إن انتِ كاريمان ، فجاءتها الشجاعة وقالت : أيوه أنا كاريمان . فقال مجدي: أرجوك ، ماتقفلش السّكة .. ممكن نتقابل .. أنا عندي كلام كثير عاوز أقولهولك .. فقالت : ماقدرش .. ماقدرش .

فقال : أرجوك .. ضروري نتقابل .. أنا حانتظرك في المعرض بكره الساعة خامسة مساء .. ماحدش حايكون في المعرض لأن بكره إجازة .. أرجوك تيجي .. وبعد كده أنتِ صاحبة القرار إن كنتِ تقابليني تاني أو لا .

وبكل هدوء وضعت السماعة دون أن تجيب برأيها . ولكنها كانت كأنها تهيم وتسرح بفكرها في دنيا جديدة لها لون جديد لم تر مثله بين الألوان ، وطعم للذيد المذاق لم تتذوقه من قبل .. وذهبت إلى حجرتها لتنام .. وكيف لها أن تنام ؟! ..

وفي الصباح سطعت الشمس وأنارت حجرة النوم بأشعتها المتسللة من خلال زجاج النافذة .. وفجأة استيقظ الدكتور محمد ، فلما وجد نور الصباح نظر في الساعة فوجدها الثامنة والنصف ، فقال : يا خير أبيض !!.. الساعة ثمانية ونص ، وأنا عندي محاضرة الساعة تسعة ؟!.. فأسرع بالذهاب إلى الحمام حيث غسل وجهه بسرعة ومشط شعره ، ثم عاد مسرعاً إلى حجرته حيث ارتدى بدلته ، وأسرع إلى حجرة المكتب وجمع بعض الأوراق ووضعها في حقيبته وخرج بسرعة من الشقة دون أن يرى أحداً من أهل البيت .. وركب سيارته وانطلق بسرعة حتى يصل إلى الكلية ، وكان في غاية الضجر ، فإنها المرة الأولى التي يتأخر فيها عن عمله ، وهو معروف بالنظامه بمواعيد محاضراته ..!

والتقت أم محمد بكاريمان التي كانت تجلس في الشُرْفة ، وسألتهما :  
هل ذهب خالد وعمرو إلى المدرسة ؟.. قالت : أيوه .

فسألت حماتها : وفطروا واللاً لأ ؟..

فأجابته كاريمان وكأنها تحاول أن تداري خجلها : لأ .. مالحقوش لأن عربية المدرسة جت قبل مايفطروا فزّلوا على طول .

فقالت حماتها: كده برضه ياكاريمان ؟!..الأولاد يروحوا المدرسة من غير مايفطروا ؟!.. يهونوا عليك برضه ؟!..

فقالت كاريمان : مش مشكلة .. مش من يوم ، وعلى أي حال بياخدوا ساندوتشات من بوفيه المدرسة .. فجلست حماتها بجوارها وقالت : إزيك دلوقت ياكاريمان ؟

فنالت : الحمد لله .. أحسن .

فقالت حماتها : ما تزعليش يابنتي من محمد .. أنا عارفة إنه مزودها شوية في اهتمامه بعمله ، لكن غضب عته .. لازم تعذريه ، وتقفي جنبه .

فقال كاريمان بسخرية : أقف جنبه ؟! أعمل له إيد ؟! ده راجل معاه دكتوراه ..  
وأنا حياي الله ، ثانوية عامة لا راحت ولا جت !! ..

فقال حماتها : يابنتي المسألة مش مسألة شهادات .. دي مسألة واجبات ، وكل واحد عليه دور بيؤديه ، ورسالة بيقوم بيها وإذا كان محمد رسالته في الجامعة ، فأنت رسالتك هنا ، في البيت ، مع أولادك تربيهم وتديهم حبك وحنانك ، وتقدري برعايتك لهم توصليهم للمستقبل وتخليهم يملو عين الشمس .. وساعتها تبصّي لهم وانت حاسة بالفخر بأتهم أولادك ، وتقولي : أنا اللي ربّيت دول ، أنا اللي عملتهم .. أنا اللي وصّلتهم للمستقبل ده !! ..

ف نظرت كاريمان وكأنها لا يعجبها الحديث وقالت : آه .. وساعتها أبصر لهم وانا حاسة بالحسرة على العمر اللي ضاع هدرّ ، وعلى شبابي اللي مالحتش أتمتع بيه !! ..  
فقال حماتها في دهشة : إيه يا كاريمان الكلام اللي بتقوله ده ؟! .. يابنتي الإنسان بعد ما يخلف بتقى سعادته في سعادة أولاده .

فبادرئها كاريمان بشيء من الانفعال قائلة : يعني الواحدة تفضل طول عمرها خدامة في البيت لغاية ما يضيع شبابها وعمرها ، وتصبح عجوزة وكركوبة ، وتستنى لما يبقى حد من ولادها يسأل عنها ؟! .. وساعتها كل واحد من الأولاد يبقى مشغول بيته ومراته ، وينسى أمه اللي ضيّعت شبابها عنانده ؟! .. لا يا ست كل واحدة من حقها تعيش حياتها زي ما هي عاوزة .. والإنسان بيعيش حياته مرّة واحدة ، مش مرتين !! ..

فقال حماتها : أنا مش مصدقة وداني .. معقول كاريمان اللي بتقول الكلام ده ؟! .. ده كلام شيطان يابنتي .. ماتخليش الشيطان يسيطر على أفكارك !! ..

فقال كاريمان منفعله : شيطان إيد وبناع إيد ؟! .. هو اللي يتكلم عن حقه في الحياة يبقى كلام شيطان ؟! .. فشعرت حماتها بالأسى ، وسكنت ونظرت إلى الأرض وهي لا تدري ماذا تقول بعد أن سمعت ما لم تتوقّع أن تسمعه من كاريمان .. وحينئذ شعرت كاريمان بالحجل ، فاستدارت إلى حماتها وقالت : لا مؤاخدة تاماما . أنا آسفة .. أنا

ماقصدهش .. أنا بس انفعلت شوية .. يظهر إن أعصابي لسة تعبانة شوية .. أرجوك  
ماترعليش منّي .

فقالتم حماتها : لا يابنتي ، أنا مش زعلانة منك ولا حاجة ، أنا بس خايفة من الجهول ،  
وحاسة إن حياتكم في خطر .

فقالتم كاريمان : لا ياماما ، مفيش خطر ولا حاجة . ما تشغليش بالك .

فقالتم حماتها : إيد رأيك ، لما بيعجي الأولاد نعدّوا سوا ، وتروحوا تزوروا مامتك  
وباباك ؟ .. أهو يبقى شيء من التغيير .

فقالتم كاريمان بدهاء : والله فكرة .. ثم استأنفت بمكر : بس الأولاد بيرجعوا من  
المدرسة متأخرين .. طيب إيد رأي حضرتك ياماما لو أروح أنا لوحدي لماما الساعة  
أربعة أو خامسة أقعد معاها شوية وارجع ؟. فقالتم حماتها في استسلام : وماله يابنتي .

فقالتم كاريمان بدهاء أيضًا : بس أنا ماقلتش للدكتور محمد !! ..

فقالتم حماتها : مش مشكلة .. أنا حاقول له إن مامتك اتصلت بيكي وكانت عاوزاك  
تروحي لها وانا وافقت إنك تروحي لها .. فأقبل على حماتها نقبلها ونقول : تعيشي  
لي ياماما يا حبيبتي .. يا أحسن حماة في الدنيا ..

انفرحت أساربر حماتها وطلت أن رباردكارتمان لأمتها ربما تساعدنا على إبعاد  
الاكتئاب الذي تعانیه ، ولكنها في نفس الوقت لم تكن مطمئنة تمامًا ، ومع ذلك تمنّت  
أن يكون ذلك في صالح الأسرة التي بدأ بنائها يهتز ، وتأمل أن تحميها من الانهيار .

وعندما بلغت الساعة الرابعة والنصف ، ارتدت كاريمان واحدًا من أجمل فساتينها  
ووقفت أمام المرأة تهتمّ بتزيين وجهها وترتيب شعرها .. ثم خرجت إلى الصالة حيث  
ودّعت حماتها التي ارتسمت على وجهها علامات الدهشة وهي تنظر إلى كاريمان وهي  
تخرج وكأنها ذاهبة إلى حفل زفاف .. وسرحت حماتها قليلاً ثم قالت في قلق وخوف :  
اسر بارب !!

ومن أقرب كايينة تليفون في الطريق اتصلت كاريمان بوالدتها وقالت لها إنها ستأتي إليها ولكن بعد أن تزور إحدى صديقاتها . وإذا سأل عنها أحد من بيتها فلتخبره بأنها موجوده ولكن في الحمام أو نائمة .. ووافقتها أمها دون أن تسأل عن اسم صديقتها أو رقم تليفونها .. وانطلقت كاريمان وهي تشعر بسعادة وكأنها عصفور صغير كان حبيس القفص منذ سنوات ، وفُتح له باب القفص فخرج وطار في الجو حيث يستمتع بحريته التي حُرِم منها طويلاً ، وكأنه يقول : لن أعود إلى هذا القفص ثانية حتى ولو كان من ذهب !!..

وذهبت كاريمان إلى المعرض ، ولكنها وقفت بعيداً عنه بحوالي عشرين متراً ، وكانت تنظر إلى باب المعرض الزجاجي وكأنها تريد أن تأكد من أن أحداً لا يتردد عليه اليوم ، وإذا بها ترى مجدي وقد خرج من الباب الزجاجي وهو يتلفت في كل الاتجاهات لعله يرى كاريمان .. ولكنها شعرت بدقات قلبها تسرع وكأنها في فرع وتخشى شيئاً مجهولاً لا تعرفه ولا تطمنن إليه ، فسارعت كاريمان وانزوت وراء سيارة متوقفة أمام منزل .. وكانت تحتلس النظرات إلى مجدي وتظن في ساعتها التي اقتربت عقاربها من الخامسة .. وتملكتها الحيرة .. وكانت بصارع نفسها .. أنذهب إلى مجدي وتطفئ نارالشوق المندفق ، وتسحب لهذا المانف الذي يضغط عليها وتشبع حاجتها إلى هذا الحب ، ونودّع أيام الحرمان العاطفي الذي عانتد سنوات طويلة .. أم تقاوم هذه المشاعر الجديدة التي قلبت حياتها رأساً على عقب ؟!..

وقفت حائرة لا تدري ماذا تفعل .. ونجح عقلها في لحظة عندما تذكرت ولديها وقد عادا من المدرسة فلم يجدا أمهما ، فحلت بخطوات مسرعة إلى العودة .. وما هي إلا لحظات حتى نظرت إلى الخلف ، هناك حيث يقف مجدي أمام باب المعرض وينظر في ساعته ، ويتمنى أن يرى كاريمان إلا وبدأ معاودها الحنين ، وبدأت تستعر نار الحب الجديد في قلبها .. وأخيراً نظرت إلى " الدبلد " التي في إصعها ثم خلعتها ووضعتها في

حقيقية يدها ، ووجدت نفسها تعود في اتجاه المعرض في خطوات تسرع فيها حيناً وتبطئ فيها حيناً آخر ، وكان شيئاً ما يدفعها إلى الأمام لتواصل الخطى نحو مجدي .. وشيئاً آخر يقاومها لتعود إلى الخلف .. إلى بيتها وولديها .. واستطاع شيطان الهوى أن ينتصر عليها .. فاندفعت تجري إلى المعرض حتى رآها مجدي ، فأسرع هو الآخر إليها .. ووقفت أمامه صامتة لا تتكلم ، وكذلك هو .. ومدّ يده إليها ليسلم عليها ، ومدّت يدها .. وما أن لمست يدها يده إلا وشعرت كأن تياراً كهربياً قد سرى في يدها ، بل في كل جسدها ، فسحبت يدها بسرعة .. ولكن مجدي طمأنها وقال لها : ماتخافيش يا كاريمان .. وأخذها من يدها وسار متجهماً إلى باب المعرض ، وسارت معه بلا إرادة وبلا وعي ، وكأنها حيوان أليف نحره صاحبه .. وفتح مجدي باب المعرض ودخلا معاً حتى وصلا إلى الحجره التي يرسم فيها لوحاته ، ورفع ستارة صغيرة عن إحدى لوحاته فإذا بها صورة أخرى رسمها بالألوان الزيتية لكاريمان .. وهي أيضاً شاردة .. وكانت في غاية الروعة والجمال .. وقد بهرت اللوحة كاريمان ونظرت إلى مجدي وهي لا تستطيع أن تتكلم .. واقترب منها مجدي ، وقد عجز لسانه أيضاً عن النطق .. وسادت فترة صمت بينهما ، ولم يستطع أحدهما أن يتكلم ، بينما كانت العيون تتحدث بلغتها .. تلك اللغة التي تنطق بها العيون وتستطيع القلوب أن تترجم معانيها، لغة ليس لها صوت ، ولكن لها حسٌّ أقوى من الصوت ، وتعبير أعذب من الكلام .. وكلما نظر أحدهما في عيني الآخر كأنه كان يرى فيها ما يناديه لكي يقترب أكثر وأكثر .. وهكذا اقترب كل منهما من الآخر ، وبدأت الشفاه ترتجف ولم يُعدْ هناك مناص ، فالتقت الشفاه وراحت تغترف ما بشبع نهمهما ، ويُطفئ ظمأهما .. ولم يستطع أحدهما أن يمنع نفسه .. وهكذا تعانق العاشقان يرويان عطشهما بالقبلات والأحضان الدافئة ، وقد رحل الخوف إلى غير رجعة ، وطار الحياء حيث اختفى .. وأخيراً قال مجدي لكاريمان : أنا بحبك ، وحاسس إني مش حاقد ر أعيش من غيرك .. من ساعة ما شفتك وأنا تابد ، مابشوفش النوم .. وأنا حاسس إنك بتحبيني .. وإننا

مش حانفترق عن بعض .. إنتِ الإنسانة اللي كنت بادورَ عليها .. والحمد لله ،  
لقيتك في الوقت المناسب ، وبدأ يقترب منها مرة أخرى ولكنها لم تنتظر حتى يصل  
إليها ، بل ارتمت في أحضانه وهي تبكي .. وانهمرت دموعها غزيرة وكأنها تلوم  
الزمان الذي حرّمها من هذا الحب ، وتندب حظها الذي أوقعها مع رجل لا يعرف  
العواطف ولا يهتمّ إلاّ بعمله .. ويشتدّ بكاؤها لأنها لا تدري ماذا تفعل في هذه  
الظروف الجديدة خاصة وهي متزوجة ولها ولدان ، ومجدي لا يعرف ذلك !!..

ويندهش مجدي لهذا البكاء ، ويسألها : بتبكي ليه ؟!..

فتقول : مفيش حاجة .. وبعد أن قضيا وقتًا سعيدًا كان يشعر كل منهما بأنه في أشدّ  
الحاجة إلى الآخر قال لها : إيه رأيك يا كاريمان .. تتجوزيني ؟؟..

وكان لهذا السؤال مفاجأة مفرعة لها جعلها تفيق من أحلامها التي استسلمت لها  
فقالت : بتقول إيه ؟!..

فكرّر سؤاله قائلاً : تتجوزيني ؟!..

فقامت وقالت : أنا لازم أمشي دلوقت حالاً .

فقال مجدي : أنا ماسمعتش ردّك !!..

فقالت : مش عارفة أقولك إيه دلوقت .. بعدين .. بعدين ، وهمت بالخروج .

فقال لها : طيّب حانتقابل إمتى تاني ؟..

قالت : مش عارفة .. حسب الظروف .

قال : طيّب إديني ميعاد .

فقالت : حابقي اتصل ببيك ..

وخرجت مسرعة ، وذهبت إلى والدتها .. وجلست شاردة ، وكأنها تريد أن تريح عن رأسها كابوسًا يكاد يُشِلُّ تفكيرها .. ورأيتها أمها فانتابها القلق ، وسألها : مالك يا كاريمان ؟! ..

فأجابت : مش عارفة ياماما ، أنا في دوامة ، في مشكلة كبيرة ومش عارفة لها حل !! ..  
فقال أمها : إزاي يابنتي ؟! .. كل مشكلة ولها حل .

فقال كاريمان : لا ياماما ، إلا المشكلة اللي أنا فيها دلوقت ، صعبة ياماما صعبة !! ..  
قالت أمها : طيب قولي لي عليها يمكن أقدر أدلك على حل .

فقال كاريمان : مش عارفة أقولك إزاي !! لكن دلوقت مش حاقد أقولك حاجة ..  
يمكن بعدين .. ثم سألت أمها : فيد حد اتصل من البيت ؟

فقال أمها : لا .. إيه ياكاريمان الحكاية وغوشيتيني ؟! ..  
فقال كاريمان : الحمد لله .. ثم قالت لأمها : ماتلقيش يا ماما .. عن إذنك بقى

أروح أنا زمان الأولاد رجعوا من المدرسة .. وأمسكت بالتليفون وطلبت رقم بيتها ..  
وقالت : خالد ؟! .. إتغذيت يا حبيبي انت وعمرو ؟

قال خالد : أيوه ياماما .. تيته جهزت لنا الغدا ، واتغذت معانا .. إنت مش جايه ياماما ؟ فقلت : أيوه يا حبيبي ، أنا جايه حالاً .. ووضعت السماعة ، ثم قبلت أمها

وانصرفت عائدة إلى بيتها .  
وفي بيتها استقبلتها حماتها مستفسرة : هيه .. لعلك انبسطت ياكاريمان !! ..

فقال كاريمان : الحمد لله ، عندك حق ياماما .. برضه الخروج بيفيد ، بيعمل تغيير .  
فقال حماتها : خلاص يابنتي ، مادام الخروج بيريحك .. اخرجي ولو مرتين كل

أسبوع .  
فقال كاريمان بمكر : بس أنا مش عاوزة أضايك ، وأحملك مسئولية العيال .

فقال حماتها : مايهمكيش .. العيال دول أحفادي .. وانت عارفة المثل اللي بيقول :  
" أعلى الولد ، فاكملت كاريمان : " ولد الولد " .. وضحكت الاثنتان .. وخرج

خالد وعمرو ، وأقبلا على أمهما فَرِحَتَيْن ، وقال خالد : انتِ جيّتي ياماما ؟!.. وحشتينا .. وانخنت كاريمان عليهما وقبّلتهما ، وعندئذ دق جرس الباب ، فأسرع خالد وفتح الباب فإذا بالدكتور محمد يدخل ويحتضن الولدين ويقبّلهما ، ثم يسلم على والدته ويقبّل يدها .. ثم ينظر إلى كاريمان ويقول لها : عامله إيه النهارده ياكاريمان ؟..

وكانت كاريمان قد اقتضبت عندما شاهدته يدخل من الباب ، وكأنها لم تُعدّ تطبيق رؤيته ، أو كأنه أصبح رجلاً غريباً عنها ، فأجابت على سؤاله باختصار : الحمد لله . وحاول أن يسترضيها فقال لها : إن شاء الله بعد أسبوع واحد حاناخذ إجازة عشرة أيام ونسافر الغردقة .. ففرح خالد وعمرو ، وصاحا معاً : هيه !!.. أما كاريمان فلم تتأثر وكان هذا الخبر لم يسرها ، فقال لها زوجها : إيه ياكاريمان .. تعجبك الغردقة ؟.. واللا تحيّي نروح مكان تاني ؟..

فقالته غير مكترثة وكان الأمر لا يهمها : الغردقة واللا غيرها ، كلها واحد .. وحتى مش مهم الرحلة من الأساس ، لأن الأولاد حيتعطلوا عن المدرسة . فقال لها زوجها : إنتِ ناسية إلهم حاياخدوا إجازة نصف السنة بعد أسبوع ؟.. عشان كده أنا رتبّيت إن الرحلة تبقى في إجازة نصف السنة ، وأهي فرصة كويسة لنا كلنا نغير جوّ .

فقالته كاريمان : مش لازم عشرة أيام .. كفاية ثلاثة أو أربعة أيام . فاندهشت حماتها وقالت : أما أمرك غريب ياكاريمان !!.. حدّ يابنتي يبقى قدّامه فرصة يقعد عشرة أيام في الغردقة ، ويقول كفاية ثلاثة أو أربعة ؟!.. فقول خالد : لا ياماما ، لازم نقعد في الغردقة المدة كلها .. وينظر خالد إلى أخيه عمرو ويقول له : إيه رأيك يا عمرو ؟

فيقول عمرو ببراءة : أيوه نقعد الإجازة كلها .

فتقول كاريمان مستسلمة : خلاص ، اللي تشوفوه ، عن إذنكم .. وانصرفت إلى حجرة الأولاد ، بينما يقف زوجها حائراً ، ويقول لأمه : شايفة يا ماما البرود ؟!..

مفيش أيّ دليل على اهتمامها ولا أيّ ردّ فعل على موضوع السفر .. أنا مش فاهم هيّ عاوزة إيه بالضبط ؟! ..

فقال أمّه : اصبر يا محمد شوية .. إحنا بنحاول نصلح الأمور مش عاوزين نعقدها .. وان شاء الله لما تسافروا وتغيروا جوّ ، حايكون خير .. روح انت بقى غير هدومك .. " فمصمص " شفّتيه متعجباً ثمّ انصرف إلى حجرته وغير ملبسه ... بينما دخلت والدته حجرة الأولاد فوجدت كاريمان جالسة على سرير خالد ، وقد وضعت ساقاً فوق ساق ، في صمت وكأنها تفضّل أن تخلو بنفسها .. وكان الولدان مشغولين بتنظيم كتبهما وأدوات المدرسة ، فقالت أم محمد :

الله !! .. إنت هنا ، وانا باحسبك مع جوزك .. وجلست بجوارها ، ثمّ قالت لها : إيد رأيك في رحلة الغردقة ؟! ..

فقال في غير اكتراث وهي تهزّ ساقها بلا وعي : مائهمنيش ، الغردقة واللاً هنا ، كله زيّ بعضه ، مابقاش فيه فرق .

فقال حماتها وهي تحاول رفع معنوياتها : لا .. بكره لما ترجعي من الرحلة ، حاتشوفي فيه فرق واللاً لأ .

فقال كاريمان : ياريت تروحووا انتم وتسيبوني أنا عند ماما لغاية ما ترجعوا !! ..

فدهشت حماتها وقالت : ياخبر !! .. إيه اللي بتقوله ده ياكاريمان ؟! .. إذا كان محمد واخذ الإجازة دي وعامل الرحلة مخصوص عشانك !! ..

فقال كاريمان : لأ بجد .. أنا أفضل إن أقعد مع ماما وتسافروا انتم عشان الأولاد يبسطوا .. وانت كمان باماما .. بقى لك كثير لا بتسافري ولا بتخرجي .

فقال حماتها : هيّ أيّ رحلة من غيرك يبقى لها طعم يابتي ؟! ..

فقال كاريمان : أشكرك ياماما .

ويأتي الدكتور محمد ويقول لهم : ياللاً يا جماعة أنا جايب فيلم فيديو حايعجبكم قوي ، تعالوا ، فيفرح الولدان ويجريان وراء أبيهما .

وتقول أم محمد : ياللاً يا كاريمان نتفرّج معاهم .. وتأخذها من يدها ، وتقوم معها كاريمان وهي متناقلة وبلا رغبة .. ويجلس الجميع أمام التلفزيون ، ويضع الدكتور محمد شريط الفيديو ويقول لهم : الفيلم ده هایل ، عن الخيال العلمي .. فتنظر كاريمان بالفتاة صغيرة إلى زوجها وهي تضع يدها على خدّها وتتعبّب من اختياره لنوعية الفيلم .. فهي لا تهوى هذه النوعية من الأفلام .. ويبدأ الفيلم ، ويقوم الدكتور محمد بشرح بعض المشاهد لولديه ، فيزداد ضيق كاريمان ، فتتظاهر بأن النوم يغالبها ، ثم تقول : عن إذنكم يا جماعة ، النوم كابس عليّ ومش قادرة أقعد أكثر من كده .. وتنصرف إلى حجرتها وتغلق بابها ، ثم تأتي بحركات بيديها ووجهها تعبيراً عن امتعاضها وضيقها، وكأنها لا تطيق جوّ البيت .. ثم ترتقي على السرير ، وتُخرِجُ الكارت من بين صدرها ، وتنظر إلى اسم مجدي ابراهيم وتبتسم ثم تتخيل ما حدث بينهما من قبلات وعناق ، وتغمض عينيها لتعيش في هذا الخيال ، حتى تستغرق في سبات عميق ، حيث تُطلِقُ العنان لأحلام نومها ، ولكنها هذه الليلة ترى حُلماً كئيماً وكأنه كابوس رهيب ، إذ ترى نفسها تكاد تغرق في وسط نهر حيث يبتلعها الماء ثم يلفظها النهر فتظهر على سطح الماء مرّة أخرى ، وهي تصرخ وتطلب النجدة ، فترى زوجها وولديها على ضفة النهر ، ويقذفون إليها بطوق نجاة مربوط بحبل فتمسك به ، وترى مجدي وقد وقف على الضفة الأخرى من النهر وقد ألقى إليها بطوق آخر للنجاة وبه حبل ، فتمسك به بذراعها الآخر ، ولكن الحبل يلتف حول عنقها ويكاد يخنقها ، ويجذب زوجها وولداها الحبل لإنقاذها ، وكذلك يجذب مجدي حبله لينقذها ، ولكن حبله يكاد يُطَبِّقُ على رقبتها .. وهي حائرة بين الحبلين ، بأيّهما تمسك لتنقذ نفسها من الغرق .. وتنظر إلى زوجها وولديها تارة ، ثم تنظر إلى مجدي تارة أخرى .. وكل طرف يجتهد في جذب الحبل بقوة ليُخرِجَها إلى ضفته .. ولكنها في النهاية تضعف مقاومتها ، وينفلت الطوقان من يديها .. ثم تغوص في الماء وابتلعها النهر ، وترى نفسها وهي تهوى بسرعة إلى قاع النهر ، وتحاول بكل قوتها أن تصعد ولكنها لا

تستطيع ، وتفقد قدرتها على المقاومة ثم تتوقف ذراعها ورجلاها عن الحركة ، وينتهي بها الهبوط إلى قاع النهر .. وفجأة تستيقظ من النوم وهي تصرخ .. وتفيق لتجد زوجها وولديها وحماتها حولها وقد جاءوا جميعاً ليرؤا ماذا أزعجها .. وتحتضنها حماتها وتربت على ظهرها مخففة عنها .. ويقول زوجها : لا بد أنها رأت حُلماً مزعجاً أخافها .. ويأتي بكوب ماء ويقدمه لها فتشرب بعضه ، وتطلب أن يتركوها لتنام فيتركوها .

وفي الصباح يستيقظ الدكتور محمد ووالدته والولدان ، وتطلب أم محمد منهم أن يتركوا كاريمان نائمة لتأخذ راحتها حتى تستيقظ بنفسها ، ربما لم تستطع النوم جيداً بسبب الكوابيس المزعجة التي رآتها الليلة الأخيرة ، ويذهب الدكتور محمد إلى كليته ، ويأتي أوتوبيس المدرسة فيترل إليه خالد وعمرو .. وتبقى أم محمد وحدها .. فتذهب إلى حجرة كاريمان لتطمئن عليها ، وتحاول برفق أن توقظها ، فتستيقظ كاريمان وقد بدا عليها التعب والإرهاق ، وتقول لها حماتها : صباح الخير يا بنتي عاملة إيه دلوقت ؟.. فتقول كاريمان وهي تحاول النهوض : الحمد لله ، أحسن .. شفت حُلماً مزعج !! .. فتقول حماتها : اللهم اجعله خير .. قومي يا بنتي اغسلي وشك ، وأنا حاخلي زينب تحضّر لك الفطار .. إنت ماأكلتيش امبارح .

فتقول كاريمان : لا ياماما .. مش عاوزة آكل .. مليش نفس .. ثم تسأل : الولاد صحبوا ؟

فتقول حماتها : أوه ، من بدري !!.. وفطروا وراحوا المدرسة .

فتندهش كاريمان وتقول : ليه ، الساعة كام دلوقت ؟!!..

فتقول حماتها : الساعة دلوقت عشرة ، إحنا مارضيناش نصحكيك عشان تاخدي راحتك في النوم .

وتذكّر كاريمان الحُلْمَ فتضع يديها على جبينها وتقول : ياه ، ده كان حلم مزعج بشكل !! وتسرح بذاكرتها ثم تقول لحماتها : ممكن ياماما أروح أقعد مع ماما شوية ؟ فتجيب حماتها : وماله يابنتي .. إن كان ده يريحك روحي .. بس تحاولي ترجعي قبل ميعاد رجوع الأولاد من المدرسة .

فتقول كاريمان : طبعا طبعا ، وتترك السرير مسرعة وتتوجه إلى دولاب الملابس وتبحث فيه وهي حائرة ، أي فستان تختار هذه المرة !! .. وحماتها تنظر إليها في حيرة ، وتحاول أن تستنتج شيئا من هذه التصرفات الغريبة ، ثم تخرج إلى الصالة .. وتُخْرِجُ كاريمان فستانًا صارخًا في ألوانه وتفصيله، وتضعه على السرير .. وتذهب إلى الحمام الذي لم تقض فيه إلا دقائق معدودة .. وتعود لترتدي الفستان الذي اختارته بعناية ، ثم تقف أمام المرآة وتستدير يمينًا ويسارًا لتتأكد من حُسن مظهرها وتبالغ في وضع الماكياج وتصفيف شعرها .. وتخرج إلى الصالة حيث تجلس حماتها التي تتصفح إحدى المجلات .. وعندما ترى كاريمان تندesh لمبالغتها في المظهر والماكياج ، ولكنها لا تعلق على ذلك ، وتقول : مش تفطري الأول ؟! ..

فتقول كاريمان : لا ياماما مش مهم ، يمكن أفطر عند ماما ، وتقدم من حماتها وتقبلها ثم تقول لها مبتسمة : باي باي .. بينما تشتد حيرة حماتها التي بدأ القلق يستبد بها .. وتخرج كاريمان مسرعة وتسرع إلى الشارع وقد بدت السعادة ترتسم على وجهها ، وكأنها خارجة من سجن رهيب !! .. وتستقل تاكسيًا إلى بيت أبيها ، وتلتقي بأمها ، ولا تجلس وتقول لها : أنا قلت لحماتي إن أنا رايحة عند ماما وحاقد معاها شوية .. بس أنا بصراحة عاوزة أروح النادي عشان أغير جو .. حاسة إني مخنوقة .. وفي النادي حاقبل بعض صديقاتي أسلى نفسي معاهم شوية .. وهنا يخرج والدها الذي كان يسمع الحوار الذي دار بين كاريمان وأمها ، فيسأل ابنته : وهل جوزك عنده علم بإنك رايحة النادي ، ولوحذك !!؟ ..

فترتك كاريمان ، إذ فوجئت بسؤال والدها ، ولم تعرف كيف تجيب !! .. وهنا تدخل أمها وتقول : جرى إبه ياراجل إنت !؟ .. ما تسيبها تروح زي ماهي عاوزة .. إنت عاوزها تفضل محبوسة في السجن اللي انت حطتها فيه !؟ ..

فيقول الرجل لزوجته مستنكراً : كده !؟ .. إنت بتسمي بيت الزوجية بالسجن !؟ .. فتقول الأم : آه سجن .. مش كفاية السجن اللي أمها عايشة فيه !؟ .. فيقول الرجل : بقى انت كمان عايشة في سجن !؟ .. عال عال .. ماتلبسي وتزوقي إنت كمان وتروحي معاها النادي !! .. على أي حال السجن اللي انت عايشة فيه مالوش أسوار ، ويمكن تحرري نفسك منه في أي وقت . فقالت زوجته مندهشة : إنت بتقول إبه !؟ ..

فقال في حزم : اللي انت سمعته بالضبط .. واسمعي ، يكون في علمك ، أنا سيبتك كثير في أفكارك الهايفة على اعتبار إنها مش حاتوذي ولا تجيب . لكن لما يوصل الأمر إلى إنك تضللي بنتك بنصايحك الغلط ، يبقى لأ ، وألف لأ .. ومن هنا ورايح ، مش حاسم لك تتدخلني في حياة بنتك الزوجية ، وكفاياك بقى ، سممت أفكارها .. واستبدت بزوجته الدهشة ، وجلست على الكرسي وهي لا تصدق ما سمعته من زوجها ، وكممت الدهشة فمها فلم تستطع أن ترد .. ثم استدار الرجل إلى ابنته وقال لها : يا بنتي اللي انت بنعمليه ده غلط .. مايصحش تروحي النادي لوحده ، وبدون علم جوزك .. يابنتي ، أنا ملاحظ إنك انومين دول مش طبيعية .. إن كان فيه عندك مشكلة ، ممكن تشركيني معاك .. واعتبريني صديق ، بس أكبر منك وعنده خبرة في الحياة وممكن أفيدك ، ومهما كانت المشاكل معقدة ، لابد لها حل .

فتقول كاريمان وهي تحاول أن تخفي الحقيقة : لا يا بابا مفيش مشاكل ولا حاجة .. بس أنا كنت محتاجة أغير شوية هوا .. فقال والدها : كان ممكن تتفقي مع جوزك إنكم تاخذوا الأولاد وتروحوا النادي كلكم .

فقال كاريمان : أصل الأولاد دلوقت في المدرسة ، والدكتور محمد في الكلية ، ولما يرجع يقعد في حجرة المكتب معظم الوقت ..

فيقول والدها : برضه ده مش مبرر ، وعلى أي حال أنا قلت لك رأيي وانت حرة .. بس اسمعي نصيحتي .. حافظي على بيتك وجوزك وولادك ، واعرفي إن دول هم مملكتك اللي فيها حياتك وسعادتك وكرامتك ، والحياة بعيد عنهم مافيهش لا سعادة ولا كرامة ولا راحة بال .. أنا مش حاعيش لك على طول .. إوعي الشيطان يدخل بينك وبينهم ، وتأكدي يابنتي إن الشيطان لو سيطر على فكر إنسان حايجسر في النهاية كل حاجة .. ارجعي يابنتي لبيتك ومملكتك واخزي الشيطان ..

فتقول كاريمان وهي تخفي ارتباكها : حاضر بابا .. ثم تستأذن في الانصراف .. وتميل على أمها وتطلب منها ألا تخبر أحدًا بذهابها إلى النادي ، وتخرج .

ومن إحدى كبائن التليفونات في الطريق تتصل بالرسام مجدي ، وتخبره بأنها تريده في أمر هام، وتتفق معه على اللقاء في مرسه .. ويتم اللقاء ، ويعبر كل منهما عن أشواقه بالقبلات والأحضان الدافئة ، وكأنهما لم يلتقيا منذ سنوات .. ويجلسان .. وتمرّ لحظات من الصمت القلق ، وينظر إليها مجدي حائرًا يريد أن يعرف سبب قلقها الواضح على قسماات وجهها وحركات يديها ، ونظراتها التي توجّهها في كل الاتجاهات ، وكأنها تريد أن تبوح بشيء وتخشى النتيجة ..

ويقول لها مجدي : فيه إيه ياكاريمان ؟ .. حصل حاجة تسبب لك القلق ده كله ؟ ..

وتحاول أن تستجمع شجاعته لتصارحه بقولها : إنت مش فاتحتني في موضوع الزواج ؟ ..

فيقول: أيوه ، وانا مازلت منتظر ردك ، وعاوزك تعرفي إنك بقيتي بالنسبة لي أهم شيء في حياتي .. فقالت : يعني إنت مصمم ؟ ..

فقال : طبعًا مصمّم .. إنتِ شغلتيّني .. فيه إيه ١٩..

فقلت : في الحقيقة فيه مشكلة ، ومش عارفة أكلمك فيها إزاي .

فقال ليظمنها : مفيش أيّ مشكلة ممكن تفرّق بينا .. مادام بنحب بعض ومتفقين ..

هل فيه عقبات بالنسبة للأسرة ؟ .. إذا كان فيه أيّ عقبات نقدر نتغلب عليها ، بس

قولي إيه المشكلة ؟ قولي ، اتكلمي ١١..

فقلت وقد استبدّ بها القلق والخوف : أنا خايفة ١١..

فقال لها : خايفة من إيه ١٩.. أنا من ناحيتي ، مفيش أيّ مشكلة حاتأثر عليّ .. هوّ فيه

سؤال واحد .. إنتِ بتحبيني واللاً لأ ؟

فقلت : بحبك حب ، لا شافه حدّ قبلي ، ولا حايشوفه حدّ بعدي .

فقال : وموافقة تتجوّزيني ؟ .. فأومات برأسها بالموافقة .. فقال : خلاص ، يبقى مفيش

حاجة تقدر تقف في طريقنا .

فقلت وقد استجمعت شجاعته : المشكلة يا مجدي إن انا .. أنا .. ولم تستطع أن

تُكْمِلَ .

فقال : إنتِ إيه ؟ ماتتكلّمي .

فقلت : أنا .. أنا .. متجوّزة .. وهنا دُهل مجدي .. ونظر إليها نظرة استنكار ، ثم قال

لها : متجوّزة ١٩.. إزاي ١٩.. مش ممكن ١١.. مستحيل ١١.. ونهض واقفًا ، ومشى

بضعة خطوات وهو في حالة ذهول ويضرب كفًا بكف .. بينما تنظر إليه كاريمان في

قلق وخجل في انتظار ردّ الفعل من مجدي بعد أن صارحته بالحقيقة .. واستدار إليها

وقال مؤنّبًا : ولما انتِ متجوّزة ، ليه ماقلتليش من الأوّل ١٩.. ليه سيبتيني أحبك ، ليه

كنتِ بتقابليني ، وانتِ على ذمّة راجل تاني ١٩..

فقلت وهي تحاول أن تبرّئ نفسها : أقسم لك إن اللي حصل ده كان غضب عنيّ ..

أنا حبّيتك من كل قلبي .. وعمري ماحبّيت ولا عرفت الحب قبل ما أشوفك .. أنا

حكاية الجواز دي ماكانتش بإيدي .. ولا كان ليّ فيها رأي .. والدي راجل مترمّت ..

هوّ اللي فرض عليّ الجواز على غير إرادتي من راجل أكبر متي بثلاثين سنة .. وكنت  
باحسب إن مع الأيام الأمر حايقى طبعي .. لكن فوجئت إن الجواز بالنسبة ليّ كان  
انتقال من بيت لبيت .. ومن سجن لسجن ، ومن سجّان لسجّان .. ومن تزمت بابا  
إلى تزمت الزوج ، اللي كل أسلوبه أوامر وشخّط ونطّر ، واستبداد ، وماعدوش  
استعداد يسمع وجهة نظري ولا يدخل في أيّ مناقشة .. وأوّل ما يرجع البيت يطلب  
إعداد الغدا .. وبعد الغدا يدخل حجرة مكتبه ويقفل عليه .. وإذا حاولت أدخل  
عنده ، يشخّط ويقول لي : إنت بتعطّليني عن شغلي .. أنا مش فاضي لك ..  
ولاحظت إته بخيل جدّا ، مفيش مرّة يخلّيني أخرج معاه .. ولا يفكّر مرّة يشتري لي  
فستان جديد أو أيّ هدية لعيد ميلاد أو عيد زواج .. ويقول : دي عادات قديمة  
ومضيفة للوقت وللمال .. تصوّر ، حتى التليفزيون ، هوّ اللي بيحدّد البرامج اللي  
نشوفها والبرامج المنوعة .. والتليفون ، بيقتل عليه بالقفل .. ولو حبيت أكلم ماما  
لازم أستاذن منه ، ومرّة يوافق ومرّة يرفض .. وفي مرّة باقول له إنت ليه بتعمل كدة ؟  
قال لي : أنا كدة ، وحياتي كدة وأسلوبي كدة .. وان ماكانش عاجبك الباب يفوت  
جمل .. ولما اشتكيت لماما وبابا قالولي : نصيبك كده ، ولازم تستحملي وتعودي  
نفسك على نظام جوزك .. ولازم تعيشي وترضي جوزك .. وطلّبت منه الطلاق أكثر  
من مرّة وقلت له : ده مايرضيش ربّنا ، يانعش بالمعروف ، يانفارق بالمعروف ، وقلت  
له : أنا زهقت ومش حاقدّر أستمرّ معاك .. فقال لي : نجوم السما أقرب لك .. ولازم  
تعرفي إنك هنا لخدمتي ، وأنا سيد البيت ، والكلمة كلمتي .. ولما أحب أطلّقت أبقى  
أطلّقت بشروطي أنا .. قلت له ، أنا موافقة على كل شروطك ، بس طلقني ، فرفض  
وقال لي : لما أحب أطلّقت يبقى بناء على رغبتني أنا ، مش بناء على طلبك انت ..  
آخر ما زهقت ، خرجت عن وعيي وقلت له : أنت ظالم .. راح قايم وجاب الكرياج  
من حجرة المكتب وقال لي : أنت بتعلّي صوتك عليّ ، وانهاال عليّ ضرب بالكرياج

وأنا أصرخ وأستعطفه وأتوسل إليه .. وحكاية الكرباج دي اتكررت كثير لدرجة إني حاولت مرة إني أنتحر ، عشان أخلص من العذاب اللي أنا عايشة فيه !! ..  
وبينما كانت كاريمان تروي مجدي هذه الأكاذيب ، كان هو ينصت أحياناً ويتعجب أحياناً لقسوة ذلك الزوج المتوحش !! ..

وبعد أن انتهت من سرِّد أكاذيبها انفجرت في بكاء مصطنع ، وذرفت دموع التماسيح الكاذبة ، وتشتجت ثم تظاهرت كأنها قد أغمى عليها .. وكان مجدي يستمع إليها ، ويبدو أنه قد تأثر من الأكاذيب التي كانت ترويها ، والافتراءات المختلفة التي اخترعتها حتى تستدرّ عطفه . ولما وجدها قد أغشى عليها ، أسرع إليها ، وأتى بزجاجة عطر وقربها من أنفها .. وكان يضع العطر في يديه ثم يمرر يده على وجهها وأنفها ، وينادي عليها .. وبعد قليل تظاهرت بأنها قد بدأت تفيق ووجدت يده علي خدها ، فأمسكت بيده وظلت تقبلها ، ثم ارتمت في أحضنه وهي تقول له :  
اعمل معروف يا مجدي ، ساعدني .. أنا مليش غيرك دلوقت .. قولني إزاي أخرج من السجن اللي أنا عايشة فيه .. آديني قلت لك على المشكلة اللي في حياتي .. وحاسيبك تاخذ القرار اللي تشوفه مناسب .. أما أنا ما عنديش استعداد أرجع البيت ده تاني .. ولو حد أجبرني ، يبقى مفيش قدامي إلا الانتحار !! .. ويبدو أن هذه الأكاذيب قد انطلت على مجدي وصدقها ، واعتقد أنها مظلومة .. وبدأ يفكر .. كيف يستطيع أن يساعدها ؟! .. فحاول أن يهدئ من بكائها وقال لها : إذا كان الوضع بهذا الشكل ، لابد أن تواجهي والدك ووالدتك وتعلمي تصميمك على الطلاق .. ويمكنك رُفَع قضية طلاق .

وبمجرد أن سمعت ذلك من مجدي اطمأنت إلى أنه متعاطف معها ، وانفجرت أساريرها وقالت : عندك حق يا حبيبي ، وطوّقت رقبتة بذراعيها وحاولت أن تقبله ،

ولكنه أبعد ذراعيها وابتعد عنها قليلاً وقال لها : لاحظي إنك متجوّزة .. ومش من حقنا القبله ولا حتى اللقاء .

فقلت له مداعبة وبنظرة كلها مكر ودهاء : مانا خلاص حارفع قضية طلاق زيّ ماننت طلبت .

فقال: أنا ما طلبت كده .. أنا باقول إذا كانت الحياة بينكم مستحيلة ، يمكنك رفع قضية طلاق. فقلت : خلاص .. هوّ ده الحل ، وأنا مش راجعة البيت ، و حاروح على بيت بابا ، وأقول لهم إن أنا مصمّمة على الطلاق وإلاّ حانتحر .. ومن بكره حاروح للمحامي عشان يرفع لي القضية ، وبعد المحكمة ما تحكم بالطلاق ، يبقى اتحلّت المشكلة ، وابقى لك لوحديك يا حبيبي .. ولكن مجدي لم يردّ عليها ، إذ كان مستغرقاً في تفكير عميق ، ولا يدري ماذا يفعل إزاء هذه المشكلة ، وهذا الوضع الذي فوجئ به .. وحاولت كاريمان مرّة أخرى أن ترتمي في أحضانها ، ولكنه أبعداها في رفق وقال لها : أرجوك .. سيبني لوحدي شويّة .

فقلت : معلش يا حبيبي ، أنا عاذراك .. المفاجأة كانت كبيرة .. لكن أعمل إيه، كان لازم أصارحك .. وحاولت قبل كده ، بس ما كنتش بالاقبي الشجاعة الكافية .. لكن دلوقت أنا ارتحمت بعد ما صارحتك .. طيب يا حبيبي ، أنا حاسيك دلوقت و حاروح على بيت بابا .. وحابقي أكلمك من هناك .. باي !..

وانصرفت وهي فرحة سعيدة لأنّها ألفت عن كاهلها ذلك العبء الكبير الذي كانت تحمله .. وأزاحت ذلك الكابوس عن صدرها .. أما مجدي فقد ظل مكانه شاردًا ، ثمّ جلس على كرسيّ ووضع رأسه على يده ، وراح يفكر .. هل كل ما ذكرته كاريمان عن زوجها وعن حياتها الزوجية صحيح أم كذب .. وهل يوجد زوج بهذه القسوة والتزمّت والاستبداد؟! .. وكيف يجرؤ هذا الرجل على ضرب زوجته بالكرباج؟! .. هذه الإنسانة الرقيقة ، الجميلة ، تُضرب بالكرباج؟! .. وموت عليه

الدقائق ثقيلة كأنها شهور .. وهو لا يدري ما يجب أن يفعله .. هل يتركها ويبتعد عنها أم يقف بجانبها حتى تحصل على الطلاق ، ثم يتزوجها؟! .. إن فكره ممزق ، لا يستطيع أن يصل إلى القرار الصحيح .

وعادت كاريمان إلى أمها وقالت لها : ماما ، أنا اتخذت قرار خطير ، ومش حاتراجع فيه أبداً مهما حصل .. أنا مش راجعة البيت تاني .. فذهلت أمها لهذه المفاجأة .. وصحيح أنها كانت تشجعها وتوافقها على التمرد ، ولكن لم يحظر بالها أن يصل الأمر إلى هذه الدرجة .. فلما سألتها عن السبب قالت لها : أقولك بصراحة ؟ .. أنا زهقت من الدكتور محمد وكرهت حياتي معاه ، وماحدش حايقدر يجبرني على الرجوع للبيت ده تاني !! .. فقالت أمها : طيب وولادك؟! ..

فقالت : ما لهم ولادي؟! .. أهم مع أبوهم .

وجلست الأم في حيرة من أمرها ثم قالت لابنتها : كاريمان ، صارحيني أكثر .. فيه في دماغك راجل تاني؟! .. أنا أمك .. ماتخيش عليّ .

فقالت كاريمان : بصراحة أيوه .. شاب جنتل مان .. رقيق وحساس وحنين .. وقتان ياماما ، فتان .. وأحيتني من أول نظرة ، وأنا كمان حيتيه .

فقالت أمها : وحاتقول إيه لأبوك؟! ..

قالت كاريمان بكل جرأة : بابا مالوش دعوة .. دي حياتي وأنا حرة فيها .. وعاوزاك تفهميه .. إن حاول يغصبي على الرجوع للبيت أنا حانتحر .. وده آخر قرار لي .. وعلى أي حال ، أنا رايحة بكره للمحامي وحارفع قضية طلاق .

وبعد لحظات دق جرس التليفون ، ورفعت الأم السماعة فإذا بحماة كاريمان تسأل عنها فتقول الأم : أيوه موجودة ، وتنادي على كاريمان لترد على التليفون ، فتتردد قليلاً ثم تستجمع شجاعته وتأخذ سماعة التليفون وتقول : أيوه ياماما؟! ..

فتقول حماتها : إيه يا كاريمان ؟ .. إنت اتأخرت ليه يا بني ؟! .. إنت قلت إنك حانرجعي قبل الولاد ما ييجوا من المدرسة !! .. وأهم رجعوا من بدري . وكمان الدكتور محمد رجع وقلقان عليك .. حاجتي إمتى ؟ ..

وردت كاريمان بكل حزم : أنا مش راجعة البيت ده تاني .

فقال حماتها وقد ذهلت من ردّها : إيه .. بتقولي إيه ؟! ..

فقال كاريمان مؤكّدة : أيوه ياماما ، أنا آسفة .. أنا مش راجعة تاني ، وعن إذلك ، أنا تعبانة شوية .. ثم وضعت السماعة بكل صرامة ، وجلست وكأنها قد أنجزت إنجازاً كبيراً .. بينما جلست أمّها تنظر إليها والدهشة تكاد تعقد لسائها .. واقتربت من كاريمان ، وقبل أن تبدأ الحديث فاجأتها ابنتها بقولها : لو سمحت ياماما ، أرجوك أنا مش عارضة مناقشة في الموضوع ده .. أنا اتخذت قراري ومستحيل إني أترجع فيه .

أما حماتها فقد جلست بعد المكالمة التليفونية ، وشعرت بإحباط شلّ تفكيرها .. وظلت لدقائق والدهشة ترسم على وجهها ولا تكاد تنطق ، وخرج الدكتور محمد من حجرة المكتب فوجد أمّه في حالة من الصمت الرهيب ، وقد بدا عليها الفزع !! .. فسألها ابنتها : مالك ياماما ؟ .. فيه إيه ؟! .. فلم تردّ .

فقال : إنت كلمت كاريمان ؟ .. فأومأت برأسها ولم تستطع أن تنطق .. فاقترب منها وأحسّ بأن شيئاً غير عاديّ قد حدث وسألها : إيه اللي حصل ، هل كاريمان بخير ؟ .. فأومأت برأسها . ثم سألها : طيب ماقلتش راجعة إمتى ؟ .. وهنا نظرت إليه أمّه وتماسكت ، وقالت له بصوت خافت : كاريمان مش راجعة البيت .. فصمت الدكتور محمد قليلاً وأخفى حزنه ولم يعلّق إلاّ بقوله :

أنا كنت متوقّع النهاية دي !! .. ثم قام واتجه إلى حجرة المكتب ، وجلس على كرسيّ المكتب ووضع رأسه على يديه مستغرقاً في التفكير ، واحتمالات الأحداث القادمة .. ونظر إلى الصورة الموضوعّة على المكتب ، والتي تجمع بينه وبين زوجته وولديه ،

والابتسامه على وجوههم جميعاً ثم قال : أْفَوْضُ الأمر كله لله ، ولا حول ولا قُوّة إلاّ بالله ، وحسبي الله ونعم الوكيل .

وخرج الطفل خالد على جدّته وسألها : تيته .. فين ماما ؟ ..

فقلت له : عند مامتها يا حبيبي .

فقال خالد : وحاتيبي إمتي ؟ .. فقلت وهي تختلق الإجابات : أصلها تعبانة شويّة وحاتبات هناك النهارده .. وإن شاء الله تيجي بكره .

فقال : طيب ممكن أكلمها في التليفون ؟

فقلت له : مش لازم دلوقت ، لأني طلبتها من شويّة وكانت نايمة .

وفي الصباح ذهب الولدان إلى المدرسة ، واستعدّ الدكتور محمد للخروج ، فاستوقفته أمّه عند الباب وقالت له : يا محمد ، أنا عاوزاك تفكّر بعقلك ، وتشوف حل للمشكلة ، ولازم نراعي مصلحة الأولاد ..

فقال ابنها : وإيه المطلوب منّي ؟ ..

فقلت أمّه : تدوس على نفسك شويّة ، وتروح لكاريمان وتتكلّم معاها ومع أبوها ، وتشوفوا إيه اللي مزعلها .

فقال ابنها : أنا آسف ياماما .. ماقدرش .. أنا فهّمتها من البداية إنّها إذا خرجت من البيت يارادتها ، يبقى مش ممكن أروح لها مهمما كانت الظروف .

فقلت أمّه : يابني الأولاد لهم عليكم حق ، ولازم تضحّي عشائهم ! ..

فقال : آسف ياماما .. دي مسألة مبدأ .. عن إذنك ياماما .. ثم انصرف .

وجلست الأم تفكّر في كيفية حل هذه المشكلة .. وعندما عاد الولدان من المدرسة وتناولوا غداءهما ، نادتهما جدّتهما وقالت لخالد : تعالي ياخالد وهات عمرو معاك ،

فأتى خالد ومعه عمرو وقالت لهما : اقعدوا جنبي .. أنا عاوزة أتكلّم معاكم شويّة ..

فجلس الولدان ، وتساءل خالد وقال : خير ياتيته .. فيه حاجة خاصة عماما ؟ ..

فقال : أيوه يابني .

فقال خالد : مالها ماما .. جرى لها حاجة؟! .. وشعر الولدان بالفرع .. ولكن جدتهما طمأنتهما وقالت : لا يا حبيبي ماما بخير .. بس أنا عاوزة أعتبركم رجاله ، وتشتركوا معايا .. فيه مشكلة حصلت وعاوزين نحلها سوا .. ماما بصراحة زعلانة وبتقول إنها مش راجعة البيت تاني . فقال خالد : إزاي يا تيته؟! .. وقال عمرو : مش معقول يا تيته! ..

فقال : هو ده اللي حصل .. وأنا بافكر إني أروح لها وانتم معايا ، ونحاول نصالحها ونرجعها تاني .. وعاوزاكم تأثروا عليها .. تقولوها مثلاً : إحنا محتاجينك ياماما .. مانقدرش نعيش من غيرك ياماما .. مانسييناش ياماما .. وفضلوا تلحوا عليها لغاية ما ترق لكم ، وترجع معاكم .. إيد رأيكم بقي؟! .. تقدرُوا تعملوا كده؟! .. فقال خالد : طبعاً نقدر .. ومش حانسيها إلا لما ترجع معنا .. وقال عمرو : وأنا كمان موافق .. وإمتي حانروح ياتيته؟

فقال : دلوقت حالاً .. ياللاً قوموا اليسوا .. وأنا حاكتب ورقة لبابا عشان يعرف إن إحنا خرجنا سوا .. وذهب الولدان ليرتديا ملابس الخروج ، وجلست جدتهما تكتب ورقة لابنها وتركتها بجوار التليفون .. وجاء الولدان وانصرفا مع جدتهما حيث ذهبوا جميعاً إلى منزل الأستاذ أمين ، والد كاريمان .. وفتحت لهما والدتها .. ودخلوا .. وسألت أم محمد عن كاريمان ، فارتبكت أمها وقالت : دي خرجت في مشوار صغير وزمائها جايه .. اتفضلوا .. وسأل خالد جدته لأمه : هي ماما زعلانة ليه ياتيته؟

فقال : ماعرفش يابني .. على أي حال ، زمائها جايه ، وابقوا أسألوها .. وجلست أم محمد مع الولدين .. وكانت تنظر في الساعة بين الحين والآخر . ثم سألت أم كاريمان : هي ماقلتش رايحة فين ، أو حاجتي إمتي؟! ..

فقال أمها : لأ ماقلتش ، وعلى أي حال ، الغايب حجته معاه .. وإذا بجرس الباب يدق ، فقامت أم كاريمان ، وقالت : لازم هي .. وفتحت الباب ، وكانت فعلاً

كاريمان ، التي تجهمت عندما رأت حماتها .. أما حماتها فقد دُهِشَتْ كثيراً من مظهر كاريمان وملابسها الضيقة التي تُظهرُ مفاتن جسدها ، والأجزاء المكشوفة من صدرها وظهريها وذراعيها ، وكذلك الماكياج الزائد في وجهها .. واستطاعت حماتها أن تخفي دهشتها .. ومجرد أن رأى الولدان أمهما أسرعاً إليها يحتضنانها ويقبلانها .. أما هي فكانت فاترة في مشاعرها حتى مع أولادها ، وسلّمت على حماتها بفتور .. وجلست وجلس ولداها إلى جوارها ، وهي لا تلتفت إلى أيّ منهما .. وراحت تنظر إلى السقف تارة ، وإلى الجدران تارة أخرى دون اكتراث لوجود حماتها أو ولديها .. وحاولت حماتها أن تكسر هذا الجمود ، فقالت لكاريمان : إبه يابتي .. إبه اللي مزعلك ؟ .. أنا زعلتك في حاجة ، أو محمد زعلتك في حاجة ؟ .. فلم تردّ .. فاستأنفت حماتها : حتى لو بالفرض فيه حدّ زعلك ، اتكلمي وقولي ، وكل البيوت يابتي يحصل فيها خلافات ، ومفيش بيت بيخلو من مشكلة .. لكن كل مشكلة ولها حل .. وبرضه مطلوب من الزوجين التضحية عشان الأولاد .. وأنا مش شابفة محمد مقصر معاك في حاجة .. يبقى إبه المشكلة ؟! .. قولي يابتي .. اتكلمي ، واخزي الشيطان .. ياللاً قومي عشان تروّحي مع ولادك .

فقالت كاريمان وهي مازالت تورّع نظرائها بين السقف والجدران : آسفة ياماما ، أنا مش راجعة البيت ده تاني .. وده قراري النهائي .. فأمسك خالد بذراعها وقال مستعظفاً : لا ياماما ، لازم ترجعي معانا .. فتضايقت وتجهّمت ووقفت ولم تردّ على ابنها الذي كان يبكي ، وكذلك أخوه الصغير عمرو الذي أمسك بيدها الأخرى ويقول : لازم تبجي معانا ياماما .. وكان الولدان يذرفان من الدموع ويبكيان بكاء يذيب الصخور ، ولكنها لم تكترث لهذا البكاء أو تلك الدموع المنهمرة على وجني كل من ولديها الصغيرين .

ويقول خالد في توسّل : إحنا محتاحينك ياماما ، ويقول عمرو : ماتسييناش يا ماما !! .. وهي واقفة كالتمثال الذي لا حياة فيه ولا مشاعر ولا إحساس .. وكان أمومتها قد

تبددت ومشاعرها قد تبلدت ، وكان قلبها قد تحوّل إلى حجر من الصخر .. ولم يؤثر فيها دموع ولديها ، ولم يعرّك مشاعرها بكاؤهما ، ولا نوسلاتهما .

وكان والدها نائماً ، واستيقظ على صوت بكاء الولدين ، فنهض ووقف بعض الوقت خلف باب حجرته ، واستمع إلى نوسلات الولدين . ثم خرج إلى الصالة وقال لابنته : وبعدين يا كاريمان .. يا ترى لغاية إمتى حانفضلي راكبة دماغك ومستمرّة في عنادك؟! .. مش مؤثر فيك بكاء ولادك ودموعهم اللي على وشّهم؟! .. إزاي يهون عليك ولادك؟! .. وهم محتاجينك؟! ..

فقال كاريمان : وانا حانفضل لغاية إمتى أعيش خدّامة؟! .. الإنسان بيعيش حياته مرّة واحدة ، مش مرتين !! ..

فقال أبوها : وهيّ الأم اللي بتؤدّي رسالتها وتربّي أولادها يبقى اسمها خدّامة؟! .. إنت جيت منين المفاهيم الغلط دي؟! .. إنت ماسمعتيش إن القطة لما بتشعر بأيّ خطر يهدّد حياة ولادها بتأخذهم في أسنائها وتقفز بيهم أسطح البيوت عشان تبعدهم عن الخطر .. يعني الحيوان ما بيتخلّش عن صغاره .. و إنت إزاي يطاوعك قلبك إنك تسيبي ولادك وهم في السنّ الصغير ده ومحتاجينك؟! ..

وكانت كاريمان تتأفف وتشعر بالضجر من كلمات أبيها .. وظلّت على وقفها ثم قالت لأبيها : لو سمحت يا بابا .. دي حياتي وأنا أدري بمصلحتي .

فقال لها : متهيّأ لك .. اللي انت بتعمليه ده مش في مصلحتك ، ولا في مصلحة أولادك ، فقلت وقد اشتدّ بها الغيظ والضيق : أرجوكم ، سيوني أعيش حياتي زيّ ما أنا عابزة .. ماتحاولوش تغصبوا عليّ وإلاّ حانتحر .

فقال أبوها ساخراً : هوّ انت لسه ما انتحرتيش؟! .. إنت انتحرت فعلاً من ساعة ما سيّتي بيتك واتخلّيتي عن ولادك .. يعني إنت دلوقت في العدم ، مالكيش وجود .. وعلى أيّ حال ، أنا مش حاندخل بعد كده .. وأنا غير راضي بالمرّة عن اللي إنت بتعمليه . ولا بد حايجي يوم نحسيّ فيد بالدم وسعري بعلطتك . بس الله أعلم ،

حايكون فات الأوان واللاً لسه ، واعرفي كويس إن ولادك مش ممكن حابنسا  
تخليكي عنهم ، ولا غدرك بأبوهم .. ولما يكبروا ، يمكن ما يعرفوكيش .. وإن حد  
منهم سأل عتك في المستقبل ، يبقى كتر خيره ، وما حدش ساعتها يقدر يلومهم !!  
فقال كاريمان : مش مهم .. أنا مش محتاجهم في حاجة .. وهم يعني حابعملولي إيه ؟  
واللي قبلهم عملوا إيه لأهاليهم ؟! أنا عاوزة أعيش حياتي زي الناس اللي عايشة !!  
فقال أبوها : حيانك بعيد عن ولادك ، مصيرك حانعرفي إننا مش حياة ، إنما حاتبقى  
بالضبط موت بالحياة .. وواضح إن الشيطان مسيطر على تفكيرك وعلى بصيرتك ،  
ومش قادرة تميز بين الغلط والصح .. والعيب على أمك ، اللي ماعرفتش تربيتك  
وتوجهك التوجيه الصحح .. وكانت دائماً بتشجعك على التمرد .. وآدي النتيجة ..  
بتهدمي في بيتك وبتغدري بجوزك وبتتخلي عن ولادك في لحظات طيش .. وإن ما  
كنتيش حاتفوقني في الوقت المناسب ، حاتخسري في النهاية ، وحاتفعي الثمن غالي ..  
وأغلى مما تصوري !!.. أما أنا .. ما بقاليش عيشة معاكم هنا .. ومن الصبح إن شاء  
الله حاخذ شنطة هدومي وأسافر وأعيش في البلد .. ولما تبقى ترجعي لعقلك ،  
وترجعي لبيتك وجوزك وولادك ابقوا بلغوني .. ثم وجه حديثه لأم محمد وقال :

لامواخدة يا ست أم محمد ، ماقدرش أقول أكثر من اللي أنا قلته .. وعلى أي حال ،  
زي ما بيقول المثل " اللي بيشيل قربة مقطوعة ، بتخرّ على دماغه " واللي ما بيشوفش  
صح النهارده ، ضروري حاشوف بكره !!  
فقامت أم محمد وقالت لكاريمان : يعني مفيش فائدة ياكاريمان ؟!..

فقال كاريمان : أنا آسفة ياماما .. ده قراري النهائي .  
فقال أم محمد للولدين : ياللا ياولاد .. زمان بابا رجع البيت وفاقان عليكم .. فعلق  
الولدان بأمهما وظلاً بيكيان ويلحان عليها ويتوسلان إليها أن تعود معهما .. وهي لا  
تتحرك ولا تردّ عليهما .. وتقدمت جدّتهما وأخذت بيد كل منهما وقالت : ياللاً  
ياولاد .. وهما مارالا بيكيان وباسدان أمهما العردة معهما .. وكانت عبارات الولدين

تمزق القلوب المتحجرة التي يقولان فيها : ارجعي معانا ياماما .. ماتسييناش ياماما ..  
إحنا محتاجينك ياماما .. ولم تكثر أمهما لهذه التوسلات .. ولما وصلت أم محمد إلى  
باب الشقة ، التفتت إلى كاريمان وقالت لها : ما كنتش متصورة إن قلبك يبقى بالقسوة  
دي ، وإلك تنجردي من مشاعر الأمومة للدرجة دي ، أقولك إيه ؟! الله يسامحك !! ..  
فقال كاريمان وهي مازالت تنظر إلى الجدران : على فكره ، أنا رفعت قضية طلاق ..  
فطرت إليها حماتها نظرة ازدراء واحتقار ، ولم بردَ عليها .. وأخذت الولدين  
وانصرفت والولدان مازالا يبكيان ..

وعادت أم محمد إلى البيت ويكاد قلبها يقطر دمًا ، ووجدت ابنها مرتديًا الروب ،  
واستقباهم وقال لأمه معاتبًا : إنت برضه رُحّت لها ياماما ؟! ..  
فقال : أعمل إيه يابني ؟!.. الولاد لازم يعيشوا بين أبوهم وأمهم !! ..  
فقال : يعني وهيّ معاهم كانت بتعمل لهم إيه ؟!.. ما حضرتك عارفة .. يمكن وهم  
بعيد عنها يتربوا أفضل !! .. وأخذ الدكتور محمد ولديه ، واحتضن كلاً منهما وقبلهما  
بينما جلست أم محمد وقد أسفطت في يدها ، وسعرت بالحزن والأسى لما حدث !!

وفي اليوم التالي استيقظت أم كاريمان من النوم ، فلم تجد زوجها بجانبها على  
السرير ، فنهضت ، وتوجهت إلى دولاب الملابس ، فرائت أن ملابس زوجها قد  
اختفت ، فتأكدت من أن زوجها قد نفذ كلامه وسافر إلى البلد ، فذهبت إلى كاريمان  
التي كانت نائمة ، وأيقظتها وأخبرتها بأن أباهما قد غادر البيت وسافر .  
فقال كاريمان وهي تتساءب : تلاقيه حايقعد في البلد يومين وحايرجع تاني .

فقال أمها : لا يا كاريمان ، إنت مش عارفة أبوك لما يتطلع في دماغه حاجة بنفسها ..  
ومش ممكن حايرجع إلا إذا رجعت إنت لبيتك .. وهنا استدارت كاريمان لأمها  
وقالت بغضب : ما تحاوليش إنت كمان .. أنا مش راجعة يعني مش راجعة .. ثم  
نهست وذهبت إلى الحمام . ولما عادت إلى حجرتها بدأت تُعدّ نفسها للخروج ..

ولما خرجت إلى الصلاة ورأتها أمها سألتها إلى أين ستذهب في هذا الوقت المبكر، فقالت : أنا رايحة أعمل بعض الإجراءات الخاصة بقضية الطلاق . فقالت أمها بعد أن بدأت تفيق لخطورة الأمر: مابلش يابنتي حكاية الطلاق دي ، وحاوولي تحكّمي عقلك وتفكرّي كويس .. عشان خاطر ولادك .

فقالت كاريمان بامتعاض: وبعدين بقى؟! إحنا حانفضل اللي نقوله نعيده؟! ماخلاص ، انتهىنا .. واللآنت عاوزة تعملي زيّ بابا!؟ ..

فقالت أمها : يابنتي ولادك محتاجين لك .. ودول لسه صغيرين .

فقالت : البركة في أبوهم ، اللي طالع لي القلعة بالدكتوراه بتاعته .. وكان مفيش حدّ متعلّم إلا هوّ .. برّيتهم هوّ بقى .. أما نشوف حاسقى برّيتهم إزاي ..

فقالت أمها : ولما يكبروا مش حاينسوا إلك اتخليتي عنهم .

فقالت ساخرة : لأ اطمّني .. لما يكبروا برضه حايعرفوني ، أنا برضه أمهم .

فقالت أمها : هيّ الأم اللي تولد وترمي ولادها؟! .. الأم يابنتي ، هيّ اللي تولد وترّبي ونضحّي عشان ولادها مهما تعبت أو قاست .

فقالت كاريمان ساخرة : الله الله .. ده انت بقيتِ مصلحة اجتماعية أهو!! ..

فقالت أمها وهي تشعر بالأسى: إنت بتترّقي عليّ ياكاريمان .. أن بس صعبان عليّ الولاد ، وقطّعوا قلبي وهمّ بيكوا ، ودموعهم نازلك عليّ خدودهم ، وانت ولا حاسد بحاجة ، وكأنهم مش ولادك!! ..

فقالت كاريمان : أنا مش بأتريق ولا حاجة .. بس كل واحدة لازم تعيش حياتها بالطريقة اللي تريحتها .. ثمّ ذهبت إلى التليفون وطلت مجدي وأخبرته بأنّها تريد مقابلته للأهمية ، واتفقت معد على موعد للقاء في مرسد .

وخرجت والتقت بمجدي الذي قابلها ببعض الفتور .. ولاحظت هي ذلك ،

وحشيت أن يكون قد تغيّر بعد أن عرف موضوع زواجها .. وأرادت أن تستدرّ

عطفه ، فبكت وقالت له : تصوّر يا مجدي ، الراحل المتوحّش المفتري ، جاني عند  
ماما ، ولما مارصتتش أرواح معاه انتهجم عليّ . وفصلُ صرب في . بالأقلام  
واللكنيات . وراح ماسك الشمسية ناعداً بابا . وبرل على حسمي صرب .. ولما  
جت ماما تحوش عني راح خابطها في صدرها ، راحت وافعة على الأرض ، وقال لي  
أنا حاعرف أوزبك يا .. وشتمني بكلام فطبع ماقدرس أقوله

واندهش مجدي ولم يكذب يصدّق ما سمعه ، وقال متعجباً : معقول اللي بيحصل  
ده ؟! .. فيه أزواج بالقسوة والفظاعة دي ؟!

فقلت كاريمان لتزيد من تأثره : تصوّر ، ماما فضلت تستعطفه وتقول له : حرام عليك .  
حامتوتها .. يا أخي إن ما كتتش عاورها سيها .. فقال دي نجوم السما أقرب لها .  
ومش حاطلقها وبكره حاتيحي ونر كع تحت رجلي ، وراح ضارني برجله وخرج !!  
فقال مجدي متأففاً : أعود بالله !! .. ده مش بني آدم . ده متوحّش .. يبقى لازم  
ترفعي قضية طلاق وتخلصي منه ، وترتحي نفسك من العذاب ده ..

فقلت : ماأنا رُحّت امبارح للسحامي وبدأت إجراءات الطلاق .. والمحامي قال لي إن  
الحكم حايكون لصالحني وبأسرع وقت ، مش كده برصه يا حبيبي ؟ .. فلم يردّ مجدي ،  
وسرح بفكره كأنه يحاول أن يسوعب ما سمعه من روايات كاريمان عن زوحها .  
وكان به قليلاً من الشك في صدقها ، وفي نفس الوقت قد تكون صادقة !! ..

فقلت له كاريمان : إنت سرحان في إيه يا حبيبي ؟ . أكلها أيام أو شهر بالكثير وتحكم  
الحكسة بالطلاق ، ونتجوّز ناحسي ونمتّع محاتنا . ولم يردّ مجدي كأنه لم يسمعها لأنّه  
كان يفكر فيما ترويه ، وهل يكون صحيحاً ؟!

فقلت له : مش حانخرج سوا النهارده ؟ . مانسجي نقعد في الكازينو اللي على النيل .  
أسمعك وتسعني . وندردش مع بعض في مستقبلنا . والأيام الخلوّة اللي جايه

فقال : معلش يا كاريمان .. مش حاقدن النهارده .. عشان تعبان شوية .. وعندى لوردة مهمة عاوز أخلصها .

فقلت : طيب يا حبيبي .. أسيبك أنا دلوقت لشغلك ، وأجيلك بكره .. وقبلتد واحتضنته ، ولكنه لم يشاركها حرارة القبلة ولا دفء الأحضان .. وأخذت حقيية يدها وقالت له : باي يا حبيبي .. إلى اللقاء بكره .. وانصرفت دون أن يردّ عليها .. وجلس على كرسيّ قريب منه ، وراح يعوض في أعناق محيط عيني من الفكر نحاول الخروج منه بلا جدوى !! ..

أما كاريمان فقد بدأ القلق يساورها بسبب الفتور الذي لاحظته أكثر من مرّة على مجدي كلما اقتربت منه .. ولهذا فقد ذهبت إلى الخامي مساء نفس اليوم ، وألّحت عليه أن يبذل أقصى ما يستطيع لإنهاء قضية الطلاق بأسرع ما يمكن .. وأخبرته بأنّها ستعطيه كل ما يطلبه من أجر ، فوعدها ببذل كل ما في طاقته ، وأبلغها بأن الجلسة الأولى قد تحدّد لها موعد السبت القادم ، وأنّه أرسل لزوجها إعلاناً ، وربما يكون قد وصله بالأمس ، أو يصله غداً على أكثر تقدير .. فانفرجت أساريرها ، وأعطت الخامي مبلغاً من قيمة الأنعاب ، وانصرفت .

وفي صباح اليوم التالي وصل مُخضّرٌ إلى بيت الدكتور محمد ، وسلّم والدتد إعلاناً من المحكمة ، وطلب منها أن توفّع بالاستلام .. وبعد انصراف المخضّر ، قرأت أم محمد الإعلان الذي يوضّح موعد الجلسة لقضية الطلاق التي رفعتها كاريمان .. ففتحته أم محمد إلى أقرب مقعد لترتمي عليه وقد شعرت بالحزن والأسى .. وراحت تفكر بعين ، وقالت : الله يكون في عزبك بابي !! .. وأمسكت بالليفون وطلب كاريمان لعلها تستطيع إقناعها بالعدول عن طلب الطلاق ، وعندما ردّت أم كاريمان ، أشارت لها كاريمان بأنه لو كان المتحدث من بيت زوجها فلتقل إنّها غير موجودة .  
وفعلاً قالت أنّها بأنها حرجت ولا تعلم من سعودي .. ووضع م محمد السماعد .

وقالت في صوت خافت : كده برضه ياكاريما ؟!!.. تهون عليك العشرة ، وبهون عليك ولادك .. منك لله ..!

وعندما عاد الدكتور محمد لاحظ أن والدته حزينة وشاردة ، فسألها : مالك ياماما .. فيه إيه ، إنتِ تعبانة؟؟.. فلم تستطع أن تردّ عليه ، وأعطته الإعلان ووضعت رأسها على يديها .. وقرأ الدكتور محمد الإعلان . وابتسم في سخرية وقال لأمه : هوّ ده اللي مزعلك؟؟..!

فقال أمّه : يابني أنا كان عندي أمل لآخر لحظة إنها تفوق وترجع لعقنها .. لغاية ما وصل الإعلان ده ، عرفت إنه مفيش فايده .. أنا صعبان عليّ الولاد .. كل يوم يسألوني إن كانت أمهم حاترجع واللا لا ..!

فقال ابنها : ماتشغليش بالك ياماما .. أنا مش حاريحها .. لا حاطلقها ولا حاطلب منها الرجوع للبيت ، إلا إذا عرفت السبب .. وإن كانت عاوزة ترجع ، يبقى زيّ ما خرجت يارادتها يبقى ترجع يارادتها .

وجاء يوم الجلسة ، وانبرى محاميا يُعدّد مساوي الزوج وسوء معاملته لزوجته بضربها وإهانتها أمام الناس ، وبخله الشديد ، وعدم إنفاقه على البيت بما يكفي .. وأنه منذ زواجها حتى اليوم لم يشتر لها فستاناً واحداً ، أو هدية في آية مناسبة ، ولا يحتفل بعيد ميلادها ولا بعيد زواجهما .. وأنه يقضي كل وقته في عمله سواء في الكلية أو في البيت ، ولا يخرج معها مطلقاً ، حتى أحسّت بأنها تعيش في سجن .. ولهذا فإنها تطلب الطلاق للضرر .

وسأل القاضي الدكتور محمد فيما نُسبَ إليه ، ولم يكن الدكتور محمد قد وكل محامياً وفضل أن يدافع هو عن نفسه ، فقال للقاضي : لقد فوجئتُ بهذه الادعاءات التي لم أتوقّعها . لهذا أرجو من المحكمة الموقرة أن تؤجل القضية إلى موعد آخر لأخضّر ما يكذب هذه الادعاءات ، وإذا كان لدي المدعية آية أدلة أو شهود إثبات ،

فيمكنها إحصارها في الجلسة القادمة ، فوافق القاضي ، وأعلن تأجيل الجلسة لمدة أسبوعين لإعطاء فرصة للطرفين لإحضار الأدلة ، ثم رُفِعَت الجلسة .

وخرج الدكتور محمد من المحكمة وهو يتسم ساخراً ويقول : صدق الله العظيم ( إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ) .. بينما وقفت كاريمان مع المحامي ، يتشاوران في الأمر ، وقد كانت تحلم بأن المحكمة سوف تحكم لها بالطلاق في أول جلسة ، كما أوهمها المحامي .

وفي الجلسة الثانية نودي على الزوجين .. وكان الدكتور محمد قد أحضر معه الصانغ الذي يتعامل معه ، و" الحياطة " التي تفصل الفساتين لكاريما ، وأحضر أيضاً بعض فواتير الحلي الذهبية وملابس السيدات .. وشهد الصانغ بأن الدكتور محمد اشترى منه أكثر من مرة هدايا لزوجته التي كانت تختار الهدايا بنفسها .. كما شهدت " الحياطة " بأنها فصلت فساتين كثيرة لزوجة الدكتور محمد ، ومن ضمن هذه الفساتين الفستان الذي ترتديه الآن في المحكمة .. ومن ضمن الأدلة التي أحضرها الدكتور محمد مع الفواتير ، بعض صور الحفلات التي كانت تقيمها الأسرة في المناسبات المختلفة ، كما أحضر أيضاً جهاز تليفزيون صغير وشريط فيديو، مسجل عليه حفلات أعياد ميلاد أفراد الأسرة ، بما فيهم كاريما التي كانت تُقدِّمُ لها الهدايا العديدة في هذه المناسبات .. واستأذن الدكتور محمد من القاضي أن يعرض شريط الفيديو ، ووافق القاضي ، وبعد عرض بعض اللقطات اكتفى القاضي ، وأصدر قراراً برفض دعوى الطلاق .. خاصة وأن كاريما لم تستطع إحضار أي دليل يثبت ادعاءاتها .

وخرج الدكتور محمد وهو يتسم ، ولم يُعرَ كاريما أي انتباه .. بينما وقفت هي مع محاميتها وهي في شدة الغيظ .. وسألته : مفيش طريقة أخرى نعملها عشان نحصل

على الطلاق ، فقال المحامي : في الحقيقة فيه .. بس ده يتوقف عليك وعلى موافقتك ،  
فقلت متلهفة : اعمل معروف ، قوللي بسرعة ، وأنا موافقة على أي شيء يوصلني  
للطلاق .. فقال لها المحامي :

إذن ، تعالي المكتب النهارده الساعة سبعة مساء ، وحاقولك إيه اللي ممكن نعمله ..  
وذهبت إليه في الموعد ، وسألته بشغف : إيه بقى اللي ممكن نعمله عشان نكسب  
القضية؟! .. واتفق معها على خطة مأكرة قد تساعدنا على الحصول على الطلاق ،  
في جلسة الاستئناف .. وشرح لها تفاصيل الخطة ، فوافقت عليها ، ووعدنا أن  
يستأنف الحكم .

وبعد أيام قليلة وصل إعلان آخر للدكتور محمد بموعد جلسة الاستئناف .. وفي  
هذه الجلسة ، طلب محامي كاريمان من القاضي عقد جلسة سرية لأن موكلته تريد أن  
تُفَضِّي للمحكمة بأسرار خاصة جدًا .. وعُقدت جلسة خاصة حضرها الدكتور محمد  
وكاريمان ومحاميهما ..

وقال محاميهما : إن موكلتي تحملت كزوجة مالا تستطيع زوجة أخرى أن تتحمّله ..  
ففضلاً عن اعتداء زوجها المتكرّر عليها بالضرب والسبّ والإهانة ، إلا أنه لم يُرَاع ولم  
يُقَدَّر صبرها على ضعفه الصحي ، فهو غير قادر على إعطائها حقّها الشرعيّ كزوجة ،  
وكانت تتحمّل من أجل أولادها .. ولكنها لم تجد تقديرًا لهذا الصبر ، فاضطرت أن  
تلجأ إلى القضاء لتطلب الطلاق ، خاصةً وأنها عرضت عليه أكثر من مرّة أن يعرض  
نفسه على الأطباء للعلاج ، فكان يرفض باستمرار ، وهي كما ترى المحكمة ، مازالت  
في سن الشباب ، وتتحلّى بجمال جذّاب وأنوثة كاملة وتحشى على نفسها الفتنة ،  
وادّعي محامي كاريمان أن زوجها يعاني من مرض تناسليّ يجعله عاجزًا عن ممارسة الحياة  
الزوجية مع زوجته ، ولما كانت الزوجة في عزّ شبابها فإنها تخشى على نفسها الفتنة ،  
ولهذا فهي تطلب الطلاق ..

وسأل القاضي الدكتور محمد فيما سمعه ، قال الدكتور محمد : إن المدعية تلجأ إلى أية وسيلة لتحصل على الطلاق ، وأنا في الحقيقة لا أعرف السبب ، وهذا هو السبب في رفضي لطلب الطلاق .. لقد ادّعت في محكمة أوّل درجة أنني بخيل ، وأنني لم أشتري لها هدية ولا فستاناً منذ زفافنا ، وأنني أهينها ، وأنها حبيسة البيت ، ولقد استطعت أن أثبت كذب ادّعاءاتها ، ولهذا اقتنعت محكمة أوّل درجة ، ورفضت الدعوى ، ولهذا لجأت إلى محكمة الاستئناف ، ولجأت إلى هذه الحيلة الجديدة بالادّعاء بضعفي .. وعلى أيّ حال أنا مستعد للعرض على الأطباء المختصين لإثبات كذب الادّعاء الأخير .. فأصدر القاضي أمره بتأجيل القضية شهراً لعرض الزوج على الطبيب المختص ، وإعداد تقرير طبي مفصّل عن حالة الزوج وعرضه على المحكمة .

وعرّضَ الدكتور محمد على القومسيون الطبي لفحصه ، وأعدّ القومسيون الطبي تقريراً يقول : إن الدكتور محمد يتمتع بصحة جيدة وأنه ليس به أيّ ضعف يعوقه عن ممارسة الحياة الزوجية ومعاشرة زوجته .. وعرّضَ التقرير على المحكمة .. فأصدر القاضي الحكم بتأييد الحكم السابق ، ورفض دعوى الزوجة لطلب الطلاق .. وعندما سمعت كاريمان الحكم ، أحسّت بالهزيمة وأنها لن تستطيع أن تحقق حلمها بالحصول على الطلاق لتتزوج من حبيبها مجدي .. ووقفت خارج قاعة المحكمة تضغط على أسنانها من الغضب .. وجاءها محاميتها وأعلن أسفه ، فقالت له : مش مهم .. أنا حاعرف أتصرف ..

وسألها المحامي : حاتعملي إيه ؟ ..

فقالت في ثقة : حاعمل اللي الحامين مايقدروش يعملوه .. حاستخدم ذكاء المرأة ، وحاتشوف النتيجة .. انفصل انت دلوقت ، وبعدين حاتصل بيك ، فانصرف المحامي ، ووقفت هي تفكر وتفكر .. ثم ضربت بقبضة يدها على يدها الأخرى وقالت وكأنها وجدت الحل : وجدتها أنا حاستعمل ذكائي .. وراحت تنظر هنا وهناك بحثاً عن

الدكتور محمد ، وأخيراً لحقته خارج المحكمة وهو يستعد لركوب سيارته .. فجرت إليه ونادت عليه ، وكان قد بدأ يتحرك بالسيارة ، ثم توقف عندما سمعها تناديه .. ونظر إليها في دهشة .. فمالت إليه من نافذة السيارة ، وبنظرة ماكرة لعوب ، قالت له : عندك مانع تقابلني بكره الساعة ستة في النادي ، مطرح ما كنا بنقعد سوا ومعانا الولاد؟؟ ..

فقال لها : ممكن أعرف السبب !!! ..

فقالت وهي تتصنع الابتسام : بس لما تيجي حاتعرف كل حاجة .. بس ماتجيش الولاد معاك ، ممكن ؟.. ففكر لحظات قليلة ثم قال : ممكن ، مفيش مانع .  
فقالت له بمزيد من المكر : إوعى تتأخر ، الساعة ستة تمام في النادي .  
فقال : إن شاء الله ، ثم انطلق بالسيارة عائداً إلى البيت .. وحكى لأمه أن كل محاولات كاريمان للحصول على الطلاق قد باءت بالفشل .  
فقالت : الحمد لله .. ربنا كريم .

ثم قال : بس فيه حاجة غريبة حصلت ، ومش عارف لها تفسير !! ..

فقالت أمه في دهشة : وإيه هي ؟ .. !!

فقال : بعد ما خرجت من المحكمة وركبت العريية ، فوجئت بكاريمان بتنادي عليّ .. وجتْ وطلبت إني أقابلها في النادي بكره الساعة ستة ، ومش عارف إيه هدفها من المقابلة دي !! ..

فقالت أمه : يمكن يابني رجعت لعقلها ، وعاوزة تفاهم معاك عشان ترجع لولادها .. والله يابني يبقى خير .. ولو كان ده صحيح ولقيتها عاوزة ترجع البيت ، ماتعقدش الأمور ، وخليك متسامح عشان خاطر ولادكم ، وتوجهت إلى السماء بالدعاء قائلة :  
يارب اهديها يارب .

فقال الدكتور محمد : أنا برضه مش قادر أستنتج الهدف من المقابلة دي .. ولكن على رأيك ، ممكن يكون ربنا هداها !! ..

وفي اليوم التالي اتصلت كاريمان بمجدي وطلبت منه ضرورة مقابلتها في النادي الساعة الخامسة والنصف مساءً لأمر في غاية الأهمية .. وتوسلت إليه أن يحضر ، فوعدها بالحضور .. وذهبت هي إلى النادي في الساعة الخامسة والربع ، وكانت ترتدي أكثر فساتينها شيكاً ، وتفتنت في وضع الماكياج ليزداد جمالها .. وجلست في النادي تفكر في الخطة التي رسمتها ، وهي تبسم ابتسامة المكر والدهاء ، وتضع ساقاً فوق ساق ، وتهزّ ساقها .. وفي الساعة الخامسة والنصف جاء مجدي ووجدها في انتظاره .. فسلم عليها وجلس بجوارها ثم قال متسائلاً :

خير .. إيه بقى الأمر اللي في غاية الأهمية ؟؟؟!!

فقالت بدلال : ماتستعجلش .. بعد نصّ ساعة فقط ، حانعرف كل حاجة .. أنا محضّرة لك مفاجأة هايّلة ، حانعرف منها أنا بحك قدّ إيه .. فقال : طيب ما تديني فكرة عنها .. فقالت : وتبقى مفاجأة إزاي إذا قلت لك عنها دلوقت ؟ .. ونادى مجدي على " الجرسون " الذي جاء ، وسأل مجدي كاريمان عما تريد أن تشربه ، فقالت بكل فرح : أحلى شربات في الدنيا !!

فقال مجدي للجرسون : هات لنا اتنين فراولة .. وراح مجدي ينظر إلى كاريمان التي يبدو عليها السرور .. وراح يتساءل في نفسه : ياترى !! إيه المفاجأة اللي بتقول عليها ؟!! .. وجاء الجرسون بالفراولة ، ووضعها على المنضدة وانصرف .. وكانت كاريمان تنظر في الساعة بين الحين والآخر ثم تنظر إلى مدخل النادي ترقّب مجيء زوجها ..

وفجأة فرحت وقالت : استعد يا مجدي للمفاجأة .. وبعد لحظات جاء زوجها وقال : السلام عليكم .. ثم نظر إلى مجدي الذي كان يجلس بجوارها ، وكأنه يريد أن يسألها عنه ، وظن أنه قد يكون أحد أقاربها الذي أحضرته ليوفق بينهما .. ووقف

مجدي بكل احترام ، وسلم على الدكتور محمد وهو لا يعرفه . وقد تملكته الدهشة هو  
أيضاً .. والرجلان لا يدريان شيئاً .. وانتظر الدكتور محمد أن يدعوه أحد للجلوس ،  
ولكن لم يحدث .. فقال لكاريمان :

آديني جيت في الموعد حسب طلبك .. ياترى ، أقدر أعرف سبب المقابلة ؟ ..  
فقالتم بمكر ودهاء : طبعاً .. دلوقت حالاً حاتعرف .. ثم نظرت إلى مجدي وقالت له :  
أقدم لك الدكتور محمد عبد السلام ، جوزي .. فبدأ على مجدي الدهول وعُقد لسائده  
من المفاجأة .. ثم ابتسمت ابتسامة صفراء ، ونظرت إلى الدكتور محمد وقالت له :  
أقدم لك الفنان الكبير الأستاذ مجدي ابراهيم ، حبيبي .. اللي أنا طالبة منك الطلاق  
عشان أتجوزه ..

ومجرد أن سمع الدكتور محمد ما نطقت به كاريمان ، وكأن ساعة قد نزلت عليه  
من السماء .. وشعر بدوار وكاد يسقط على الأرض .. وترجح قليلاً وهو يحاول أن  
يتماسك ، واستند على المنضدة .. وأسرع إليه مجدي وسائده ، حتى لا يقع على  
الأرض .. وكان مجدي هو الآخر في غاية الدهول .. وبعد أن تماسك الدكتور محمد ،  
نظر إلى كاريمان باحتقار وهو يستند على المنضدة ، ومازال مجدي يسنده ، وقال لها  
زوجها : هو ده سبب طلبك الطلاق ؟ .. لو كنت أفصحت عن هدفك من البداية ما  
كنتش ترددت لحظة في إني أطلقك .. وإن كنت رفضت الطلاق المدة اللي فاتت فده  
كان عشان الأولاد ما يُحرمُوش من أمهم ، وكنت باقول يمكن ترجعي لعقلك ،  
وتقدري مسئولية البيت والأولاد .. ولكن مادمت عرفت السبب دلوقت .. فبكل  
بساطة أقولك : إنت طالق .. طالق .. طالق ، وخلال أيام قليلة حاتوصلك ورقة  
الطلاق .

وابتسمت كاريمان ابتسامة المنتصرة ، التي فجرت قبلة شديدة الانفجار ،  
واستطاعت بها أن تحقق ما فشلت فيه في الحكمة ، وعجز عن تحقيقه الخامي .. وحاول  
الدكتور محمد الانصراف ، ولكنه كان مازال متأثراً بالصدمة التي وجهتها إليه ..  
وسانده مجدي ، وقال له : اسمح لي أوصلك ، وسانده وسار معه حتى خرج من باب  
النادي ووصل إلى السيارة ، وحاول الدكتور محمد أن يفتح باب السيارة ، ولكنه لم  
يستطع ، واستند على السيارة ، ووجد مجدي أن أعصاب الدكتور محمد المنهارة ربما  
لاتساعده على القيادة ، فقال له : أرجوك ، اسمح لي أسوق بدالك وأوصلك لغاية  
البيت .. فنظر إليه الدكتور محمد ، ولأنه كان فعلاً في حالة لا تسمح له بقيادة  
السيارة ، فقد وافق .. وساعده مجدي على دخول السيارة ، وأجلسه على المقعد  
الأيمن الأمامي .. وتولّى مجدي القيادة .. وكان الدكتور محمد يرشده إلى الطريق حتى  
وصلت السيارة أمام البيت .. وخرج مجدي ، وساعد الدكتور محمد على الخروج من  
السيارة .. وقال لمجدي : أنا شاكر يا أستاذ ..

فقال مجدي : أنا آسف يا دكتور .. أنا فوجئت زيّ حضرتك تمام .

فقال له الدكتور محمد : معلش ، بس أنا صعبان عليّ إن إنسان زيّك بهذه الروح  
الطيبة والإنسانية ، يمكن أن تخدعه هذه الحية زيّ ما خدعتني .. أنصحك إنك تفكر  
ألف مرّة .. قبل ما نصبح ، الضحية الثانية .. ومرّة أخرى أشكرك ، ومدّ يده  
وصافحه ، ودخل إلى البيت حيث صعد به المصعد .

أما مجدي فقد ظل واقفاً مدهولاً مما حدث ، وشعر بالحيرة .. ماذا يفعل الآن؟! .  
هل يعود إلى النادي حيث تنتظر كاريمان أم ينصرف عنها؟ .. واستقل تاكسيًا وعاد  
إلى النادي ، ووقف على بُعد ينظر إلى كاريمان التي كانت تنتظر عودته بقلق بالغ ..  
ولكن مجدي تذكّر ما فعلته ، وحرأتها البالغة التي كادت تصيب زوجها في مقتل ..  
ووجد نفسه قد امتلأت بالكراهية والاحتقار لهذه المرأة التي غدرت بزوجها وتخلّت  
عن أولادها .. وهزّ رأسه وهو ينظر إليها من بعيد ، وقال بصوت خافت : مش ممكن

تكون دي إنسانة .. دي شيطانة .. لأ ، دي ألن من الشيطان .. ثم انصرف وخرج من النادي ، وقرّر أن يتعد عنها .

ظَلَّت كاريمان تنتظر ، وتنتظر في ساعتها .. ولما فقدت الأمل في عودته كادت تُجَنّ ، وسيطر عليها شعور بالخوف والقلق ، أن تكون المفاجأة قد أثرت عليه .. فخرجت من النادي مسرعة ، وذهبت إلى مرسمه فلم تجده . وعادت إلى البيت في حالة هستيرية .. وظَلَّت تتصل بمجدي تليفونيًا .. وكان مجدي ينظر إلى التليفون ولا يردّ .

وظَلَّت على هذه الحال عدّة أيام ، تتردّد على النادي ، وعلى المرسم ، فلا تجد لمجدي أثرًا .. وكانت تبدو عليها العصبية في كل تصرفاتها .

وذهب مجدي ذات يوم إلى النادي ، فوجد بعض صديقاتها اللاتي رآها معهن أوّل مرّة .. وذهب إليهنّ ، وقال لهنّ متسائلاً : تسمحو لي أسألكم كام سؤال ؟.. فقالت إحداهنّ : قوي ، اتفضل يا أستاذ مجدي .. فجلس وقال : إنتم تعرفوا الدكتور محمد عبد السلام ، زوج السيدة كاريمان ؟ .. فقالت : طبعًا .. كلنا نعرفه .

فقال مجدي : إيه رأيكم فيه ؟ .. يعني في معاملته لكاريمان ؟ .. فقالت أخرى : أوه .. يابخت كاريمان بالدكتور محمد .. ده راجل جنتل مان ، ولطيف ورقيق جدًا ، واحنا بنحضر معظم الحفلات اللي بيعملها في عيد ميلادها ، وعيد جوازهم ، وبيعاملها بكل احترام .. حتى أولاده الصغّيرين متأثرين بأخلاقه وأسلوبه . وسأل مجدي : وأولادهم قدّ إيه ؟ ..

فقالت إحداهنّ : عندهم خالد ، اتناشر سنة ، وعمره عشر سنين .. إنما إيه ، آخر أدب .. طالعين لأبوهم بالضبط

فقال إحداهنّ : إنما أنت بتسأل الأسئلة دي كلها ليه ؟؟؟!! ..

فقال : لا أبدًا ، مفيش حاجة .. على أيّ حال ، شكرًا .. وتركهنّ وانصرف ، وهزّ رأسه مقتنعًا أخيرًا بأن كاريمان كانت كاذبة في كل ما ذكرته عن زوجها ، وأنها أخفت عنه أن لديها أولادًا .. وكانت على استعداد للتخلّي عن ولديها .. وحمد الله أن عرف الحقيقة في الوقت المناسب ..

وذات مساء اتصلت به كاريمان ، وكان يُعدُّ بعض الحقائق للسمر .. ولما سمع رنين جرس التليفون ، نظر إليه متردّدًا .. وبعد حظّات رفع السماعه فإذا بها كاريمان تسأله بلهفة : مجدي .. إنت فين يا حبيبي ؟ .. أنا قلبت عليك الدنيا ورحت لك المرسم كثير ، وسألت عليك في النادي .. أنا عاوزة أشوفك ضروري .. مجدي .. مجدي .. إنت ما بتردّش ليه ؟ .. ولم يجد مجدي ما يرّدّ به عليها ، ووضع السماعه .

وجنّ جنونها .. كيف يتحوّل عنها بهذه السرعة ، وهي تحبّه كل هذا الحب ؟ .. وقرّرت ألا تستلم ، وذهبت في الصباح إلى المرسم فوجدته مغلقًا .. فسألت بواب العمارة عن الأستاذ مجدي فقال لها : الأستاذ مجدي سافر امبارح بالليل .. فصدّمت بهذا الخبر ، وقالت : سافر فين ؟ ..

فقال البواب : أنا سمعته يقول إنه مسافر إيطاليا ، وإنه حايقعد هناك سنتين ثلاثة .. فكاد يُغشّي عليها ، واستندت إلى الحائط .. واقترب منها البواب وقال لها : سلامتك يا هانم .. أجيّب لحضرتك كرسي ؟ ..

فقال له : لا شكرًا .. وتعاملت على نفسها ، ومشّت وهي تشعر بمرارة الفشل والإحباط .. فقد هجرها حبيبها الذي عقدت عليه الآمال .. وتبدّد الحلم الذي كانت تعيش على أمل تحقيقه وأن تنعم بحياة سعيدة مع حبيبها مجدي .. وشعرت بأن الدنيا كلها قد تحلّت عنها .. وماذا تفعل بعد أن تركت بيتها وأولادها ، وبعد أن طلقها زوجها ؟!! ..

وعادت إلى أمها وعلامات اليأس بادية على وجهها ، ونظرت إليها أمها ولم تتعق ،  
وسلمتها قسيمة الطلاق التي وصلت اليوم .. وجلست متهاوية على أقرب مقعد  
ووضعت رأسها على يديها وهي تشعر بالندم على ما وصلت إليه .. فلا هي حافظت  
على بيتها وحياتها السعيدة بين زوجها وولديها ، ولا فازت بتحقيق حلمها مع مجدي ،  
الذي اكتشف أخيراً أنها لا تستحق حبه ، فتركها وهاجر .

وبدأت تفكر وتعيد حساباتها من جديد .. وكيف لها أن تصلح ما أفسدته ..  
وظنت أن الدكتور محمد بإنسانيته وطيبة قلبه ، يمكن أن يتجاوز عن أخطائها وأن  
يرحب بعودتها إلى بيتها .. وهي تعلم أنه يحبها ، وأنه يمكن أن يسامحها ، حتى ولو كان  
من أجل الأولاد .. وظلت بجوار التليفون ، تنظر إليه وهي مترددة .. وأخيراً رفعت  
السماعة وطلبت الدكتور محمد الذي كان يستعد هو وولداه وأمه للسفر لقضاء  
العطلة الصيفية في الإسكندرية .. ولما سمع جرس التليفون رفع السماعة وقال : آلو ..  
فقالت كاريمان : دكتور محمد ، أرجوك ما تقلش التليفون واسمعي .. أتوسل إليك ..  
أنا باعترف إني أخطأت في حقك وحق الأولاد .. وإن الشيطان قدّر يضحك عليّ ..  
وأنا دلوقت عرفت غلطي .. وربنا بيسامح ويقبل التوبة .. أرجوك سامحي .. خليني  
مع الأولاد .. وأعدك إني حاكون خدامة لكم كلكم .. أرجوك يا دكتور محمد .. ردّ  
عليّ .. قول إنك سامحتني .. فقال الدكتور محمد : آسف .. النمرة غلط .. ووضع  
السماعة .

ولم تياس كاريمان من إعادة المحاولة .. وذهبت بنفسها في الصباح إلى بيت  
الدكتور محمد ، فقابلها البواب ، وسألته : الدكتور محمد موجود ؟..

فقال البوّاب مندهشًا : إنتِ ما تعرفيش واللاً إيه يا هانم ؟ .. الدكتور محمد سافر  
امبارح بالليل هوَ والأولاد والست الكبيرة .. فكادت تصرخ ، وسألت البوّاب :  
ما تعرفش سافروا فين ؟ ..  
فقال البوّاب : الله أعلم !! ..

فمشت والدنيا تدور برأسها .. ويلفها الدم ، بعد أن خسرت كل شيء ، ولم يعد  
في إمكانها إصلاح ما أفسدته .. فقد فات الأوان !! .. وراحت تمسك برأسها وتحفي  
وجهها وهي تصرخ ، وتتخيل والدها وهو يقول لها : إنتِ لسة ما انتحرتيش ؟ إنتِ  
انتحرتِ من يوم ما سيبت بيتك وجوزك ، واتخلّيتِ عن ولادك . وتذكّر الدكتور  
محمد وهو يرد عليها في التليفون ويقول : آسف .. النمرة غلط .. آسف ، النمرة  
غلط .. آسف ، النمرة غلط !! ..

● الإهداء .....	٣ -
● المقدمة .....	٥ -
● للشرفاء فقط .....	٦ -
● مطبات في الهواء .....	٣٠ -
● صنعة واللاّ خلوّ بال .....	٤٨ -
● ابن العمدة .....	٥٩ -
● آسف ، النمرة غلط .....	٦٦ -
* الفهرس .....	١٤٣ -

ترقبوا الكتب القادمة :

- \* صَرَخَاتٌ فِي الْهَوَاءِ الْمُلَوَّثِ ..
- \* الْمُتَفَوِّقُونَ فِي مَدْرَسَةِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ . ( الثمن مُدَعَّم )
- \* عَرَفْتُ اللَّهَ فَأَحْبَبْتُهُ !! ( الثمن مُدَعَّم )
- \* التَّيْسِيرُ مَأْرَبِي ، فِي تَفْسِيرِ الْقُرْطُبِي . ( الثمن مُدَعَّم )
- \* الْهَدَايَةُ وَالنَّجَاةُ ، فِي أَحَادِيثِ رَسُولِ اللَّهِ . ( الثمن مُدَعَّم )

## الكاتب في سطور :

- من مواليد القاهرة عام ١٩٣٦ . حصل على دبلوم المعلمين الخاص عام ١٩٥٨ ، والدراسات التدريسية التكميلية بكلية المعلمين عام ١٩٦٤ وتخرّج في معهد الإعداد والتوجيه بجامعة الأزهر عام ١٩٦٥ .
  - درس البرنامج التدريبي لمعلمي اللغة الإنجليزية بالجامعة الأمريكية عام ١٩٧٤
  - شارك في العمل الفدائي ضد الإنجليز في منطقة القنال عام ١٩٥١ ، ولم يكن قد تجاوز الخامسة عشرة من عمره ، وشارك في نفس العمل الفدائي عام ١٩٥٣ ، كما شارك في مقاومة العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ .
  - عمل مدرساً للغة الإنجليزية في محافظتي الدقهلية والقاهرة منذ عام ١٩٥٨ ، وتدرّج في وظائف التربية والتعليم حتى أصبح مديراً لإدارة التعليم الخاص بإدارة عابدين التعليمية بالقاهرة .
  - شارك في العمل النقابي منذ عام ١٩٦٤ ، وأصبح نقيباً للمعلمين في إدارة عابدين التعليمية في دورة عام ١٩٩٣ ، وفي دورة عام ١٩٩٧ ، وفي دورة عام ٢٠٠٠ .
  - كان أوّل من حصل على لقب " المعلم المثالي " في مصر عام ١٩٦٥ ، في محافظة لدقهلية .
  - حصل على لقب " المعلم المثالي " على مستوى الجمهورية عام ١٩٧٤ .
  - نال تكريم وزارة التربية والتعليم باعتباره من رواد التعليم ، في أعوام ١٩٩٦ و ١٩٩٧ و ١٩٩٨ و ١٩٩٩ و ٢٠٠٠ ، كما نال تكريم نقابة المهن التعليمية باعتباره من رواد العمل النقابي في أعوام ١٩٩٦ و ١٩٩٧ و ١٩٩٨ و ١٩٩٩ و ٢٠٠٠ .
  - مارس فن التمثيل والإخراج المسرحي لعدّة سنوات ، وحصل على جائزة التفوق الممتازة في التمثيل الصامت من جامعة عين شمس عام ١٩٥٨ .
  - قدّم عدّة عروض مسرحية من تأليفه وإخراجه بمدينة " مرات " بالمملكة العربية السعودية بين عامي ١٩٧٥ و ١٩٨٠ وكتب العديد من القصص والمسرحيات والأغاني والأزجال .
  - كتب عدّة مقالات في بعض الجرائد والمجلات المصرية ، وفي جريدة " صوت السلام " وجريدة " بلادي " في ولاية نيو جيرسي بالولايات المتحدة الأمريكية .
  - من مؤلفاته : كتاب " نهاية إسرائيل في القرآن الكريم - بين النبوءة والأرقام " وكتاب " دمار أمريكا قادم قادم - في الكتب السماوية " وكتاب " صرخات مكتومة " .  
( كُتِبَ تحت الطبع للمؤلف )
- صرخات في الهواء المملوث - المفوقون في مدرسة محمد بن عبد الله ( الثمن مدعّم ) - عرفستُ الله ، فأخبرنيّه ( الثمن مدعّم ) - التيسيرُ مأربي .. في تفسير القُرطبي . ( الثمن مدعّم )  
( حقوق الطبع محفوظة للمؤلف ) " الطبعة الأولى "